

حکایات ادرویتہ

حسین قدری



01255622



Biblioteca Alexandrina



مطبوعات الشعب

التزام والماور الإسلامية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للصحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

والنشر العام على التحرير

جمال الدين زكي

سُئِظِل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام
الناض تنبأ مكانها التاريخية والحصارية ..
فزعاً لمر الفكر والثقافة والنسب ..



الإدارة . ٩٢ شارع قصير العيش - القاهرة

ت ٣٥٤٤٤١ / ٣٥٥٧٧٣ / ٣٥٤٣٨٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٥١٨١٠

قطاع النشر ٢٥٥١٥٩٩



رقم الماكس ٣٥٤٤٨١١ - ص. ١٤٠ / رقم بريد ١١٥١٦

حکایت اورویتہ

حسین قدری

الإهداء

كنت دائماً مشغولاً ببناء مستقبلى ، لذا
فلم يكن هناك وقت كثير للحب فى حياتى ،
فلم أحب غير ١٦٨ مرة فقط ، حتى الآن ..
ولا أظن أن الوقت سوف يتسع أمامى لكى
أهدى لكل واحدة منهن كتاباً من كتبى .. لذا
فإننى أهدى هذا الكتاب إلى صاحبة أول
وأعظم حب فى حياتى كلها ، التى كانت فى
نظرى ملخصاً لكل نساء العالم ..
إلى أمى فريدة هانم .. ست الستات فى
الدنيا كلها ..

حسين قدرى

حكايات أورپیة





غدّ بظهر الغيب واليوم لى
وكم يخيب الظنّ بالمؤمل
ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنياى ولا أجتلى

هذا هو شعارى ودستورى فى الحياة .. الحياة
أقصر من ألا نسعد بها .. كن جميلاً تر الوجود
جميلاً .. وقد كنت واحداً من السعداء الذين اكتشفوا
هذه الحقيقة مبكراً جداً .. فقد سعدت بكل لحظة فى
حياتى .. كنت طفلاً سعيداً وصبيّاً سعيداً وشاباً سعيداً
ورجلاً سعيداً .. كنت سعيداً فى حياتى الدراسية وفى
حياتى الرياضية وفى حياتى الإجتماعية وحياتى
العائلية وحياتى العملية .. حتى هجرتى سعدت بها
وفيهما .. وحين قررت أن أهجر الوظيفة وأنفرغ
للكتابة السعدت بتفرغى وبأن الـ ٢٤ ساعة كلها قد
أصبحت ملكى أنا ..

كنت دائماً متفانلاً مستبشراً مشرقاً ، قلبى مفتوح
للحياة وللدنيا وللحب .. أحببت كل من حولى وكل

ما حولى .. أحببت فكرة أننى « موجود » وأننى « حى » . وأحببت نصيبى وحظى من الحياة ومن الدنيا ورضيت به ولم أطمع أبداً فى أكثر منه .. فكان الله يكافئنى على قناعتى ورضائى بأن يعطينى أكثر وأكثر . وكانت السعادة التى أعيشها أكثر من أن « أحتملها » وحدى ، فكانت دائما تفيض على من حولى ، ومن جاور السعيد يسعد ..

ومن بين أسباب سعادتى كصحفى وككاتب أن ربنا يجعل لى فى كل خطوة حدودة تحكى ، ويضع فى طريقي فى كل مشوار حكاية تكتب .. وعندى فى عينى وفى دماغى جهاز استقبال شديد الحساسية يجعل من كل ما يقابلنى فى حياتى مادة صالحة للكتابة ولأن أشرك معى القراء فيها حتى يعيشوها كما عشتها أنا وقت حدوثها ..

وسنوات الهجرة فى إنجلترا ، ١٧ سنة ، كان لى فيها كل يوم قصة وحدوتة وحكاية .. نشرت بعضها فى وقتها ، ونشرت بعضها مؤخراً بعد أن جاء أوانها .. وهذا الكتاب هو حصيلة حكاياتى الأوروبية التى حدثت لى فى سنوات الهجرة فى أوروبا ..

أرجو أن يعجبكم ...

حسين قدرى

الـ « هاينبارك » ..
يوم الأحد !



دنيا بأكملها .. عالم مصغر .. مدينة ملاهى ..
 سيرك بلا ترخيص ، ذلك الذى يحدث فى حديقة
 الـ (هايد پارك) فى لندن يوم الأحد من كل
 أسبوع .. زحمة .. هيصة .. ناس يتتفرج على
 ناس .. لا أحد يدرى بالضبط من يذهب لمشاهدة
 من ؟ هل كل هؤلاء السياح الأمريكيين والكنديين
 والإيطاليين والفرنسيين والعرب والألمان ومن كل
 الجنسيات التى تخطر ولا تخطر على بال .



هل كل هؤلاء هم الذين يذهبون لمشاهدة خطباء الـ (هايد
 پارك) يوم الأحد ؟ أم أن الخطباء أنفسهم هم الذين يذهبون
 ليتفرجوا على هذه الخلطة والمزيج المدهش من السياح ، وليضعوا
 أنفسهم أمام كاميراتهم وعدساتهم وهم فى مواقف الزعامة والخطابة
 والتشجيع والصراخ والتلويع بالأيدى والقبضات ؟ أم أن هناك نوعا
 ثالثا من الجمهور السلبي المشاهد الذى يضع يديه فى جيوب معطفه
 ويتسلى بالفرجة على الاثنين معا : الخطباء ، والسياح ؟!

دنيا .. عالم .. مدينة ملاهى .. ناس بنتفرج على ناس ،
وناس بنتفرج على بعضها .. ●

نوعية جماهير الـ (هايد پارک) نوعية غريبة جدا ..
خليط ومزيج من كل جنسيات العالم تحتشد فى هذه المساحة الكبيرة
المخصصة لخطباء يوم الأحد .. أزياء من كل صنف وشكل
ولون .. كاميرات تصوير وكاميرات سينما وكاميرات تليفزيون
وكاميرات (أوريكون) تسجل الصورة والصوت معا .. آخر
صيحة فى طرازات كاميرات التصوير ، وكاميرات أخرى أشبه
بالعلب الصفيح ، لعلها كانت (أول صيحة) فى عالم
الكاميرات !! .. بنات وفتيات وسيدات وحسناءات من كل جنس
وملة ولون يتكلمن بكل لسان وكل اللغات الحية والميتة ، وكرنقال
هائل من الأزياء المتجانسة والمتنافرة تبدأ بالبنتلونات الـ (چينز)
والبلوزات الـ (تى شيرت) فى عز البرد ، وتنتهى بالفراء
والفيزون والاستراكان الفاخر الشيك جدا الذى تكفى مجرد مشاهدته
من بعيد لكى يبعث فى المشاهد نفسه الدفء !

الظاهرة المشتركة فى الخطباء جميعهم - لدهشتى
الشديدة - هو أنهم ، بشكل عام ، مبهلين ومنكوشين ورثى الثياب
وذقونهم غير حليقة ، كأنهم كانوا مستغرقين فى عز النوم ثم
تذكروا فجأة أن اليوم هو الأحد فهبوا مسرعين ليضعوا عليهم أول
ما طالته أيديهم من ثياب دون أن يجدوا وقتا ليغسلوا وجوههم أو
ليهندموا أنفسهم !

والخطيب لابد له من منصة ، لكن المنصات هنا متواضعة

وبسيطة : صندوق كوكاكولا مقلوب ، كرسي خشب لا ظهر له
ولا مساند ، سلم مزدوج ، برميل خشبي ، أى حاجة والسلام يصعد
فوقها الخطيب ليبدو أعلى قليلا حتى يكون هدفا واضحا لعدسات
التصوير والكاميرات !!



وتشقى اللفظ الشديد فى ركن الخطاب فى الـ (هايد پارك)
فجأة صرخة مدوية فتظن أن حادثاً قد وقع أو أن حريقاً قد شب
أو أن فندق الـ (هيلتون) قد مال وانكأ على جاره فندق (دور
شستر) .. لكنك تكتشف أن هذه الصرخة العالية ليست إلا نداءً من
خطيب جديد اعتلى منصته ويستدعى الجماهير - وعدسات
التصوير - إلى حيث يقف .. ويلبى جزء من الجماهير النداء
مسرعين وكاميراتهم مشرعة ومشهرة فى أيديهم ، ييغون التصوير
أكثر مما ييغون الاستماع ، وييغون التسلية والفرجة أكثر مما
ينظرون مناقشة جدية فى موضوع ما ..

ولأن المسألة كلها كما يبدو تمثيل فى تمثيل ؛ فإننى - بعد
سنة (أحاد) متتالية فى الـ (هايد پارك) - قد اكتشفت أن كل
خطيب يكون معه مساعد أو (صبي) يسخن له الجو فى الجماهير
ويحركهم ويستفزه للمشاركة ، بأن يقوم هو المساعد ، بنكش
الخطيب وتوجيه أسئلة محرجة مستفزة إليه ، على اعتبار أنه واحد
من الجمهور المستمع الذى احتشد حوله ، والخطيب يحاور ويداور
ويرد على الاسئلة ثم يسأل الجمهور : هل من أسئلة أخرى حول
الموضوع الذى بات واضحا الآن أنه سيتكلم فيه ؟ .. وغالبا
ما تشارك الجماهير الملففة فى المناقشة ، وغالبا ما تعارض الآراء

الى يبيديها الخطيب المتحمس .. وأتصور أن ذلك بالضبط ما يريده هو ، فهو لا يريد الدأيد بقدر ما يريد المعارضة حتى (تحمى) المناقشة ويزداد الجدل ..

خطيب من الخطباء متحمس جدا وزعلان للغاية من « الزحمة » التى أصبحت عليها لندن الآن ، فلندن منذ سنوات قليلة - والعهد على الخطيب طبعاً - كان تعدادها ثلاثة ملايين ، ثم قفزت فجأة إلى خمسة ملايين ، تم سبعة ، حتى وصلت الآن إلى ٩ ملايين ، وستصل فى سنة ٢٠٠٠ - ده الخطيب الى يقول ولسن أنا - إلى ٢٤ مليوناً !! .. ولم بعد الانجليز أصحاب لندن الأصليون يجدون أماكن لا فى الأونوبيس ولا فى ال (أندرجراوند) ولا فى أى نوع من أنواع المواصلات ، ولم تعد التاكسيات تفهم لهم ولا الخبز الذى تنتجه مخابز لندن كافياً لهم ولهؤلاء الدخلاء الذين اقتحموا لندن وزاحموا سكانها الأصليين فيها !!

وكان الحل الوحيد فى تقدير الخطيب المفوه هو تجميع كل هؤلاء الدخلاء فى حديقة ال (هابديارك) وإحراقهم أحياء فى يوم محدد كل أسبوع ، على أن يكون غير يوم الأحد (حتى يترك يوم الأحد للخطباء !!) .. وناشد أهالى لندن الأصليين أن يبلغوا البوليس عن أى أحد يعرفونه من هؤلاء الدخلاء الغرباء !!

أفقلت دفري بسرعة ووضعت قلمى فى جيبي وانسحبت مسرعاً بعد أن وجدت الخطيب يركز نظرايه على ، وخفت أن يكتشف أنني أنا السبب فى زحمة لندن وأننى أنا السبب الوحيد والمباشر الذى جعل تعدادها يصل إلى ٩ ملايين الآن !!

خطيب آخر يهاجم أمريكا بعنف شديد ويهاجم فكرة أنها بلد الحرية والديموقراطية والمساواة : « حرية فيتنام وديموقراطية كوريا ومساواة البيض والزنج » !! الغريب أن عددا كبيرا من مستمعي هذا الخطيب كانوا من السياح الأمريكيين الذين وقفوا يسمعون ويضحكون ، وفي كثير من الأحيان يمازحونه ويبادلونه القفشات والنكات والتريقة المتبادلة من الجانبين .. والمسألة من الناحيتين تبدو ودية جدا : الخطيب يشتم أمريكا والأمريكيين ، والأمريكيون يشتمونه ويسخرون منه .. والجميع مبتسمون ومرحون وسعداء كأنهم يشتركون في پروقات تمثيلية أو مسرحية تجهز للعرض !

●
وذلك الفتى الإسرائيلي الذي اعتلى سلما خشبيا مزدوجا ووقف وراءه فتى آخر يرفع العلم الإسرائيلي الأبيض بنجمته السادسة : كلاهما لا يزيد على السابعة عشرة .. والفتى الخطيب منطلق جدا ومتكلم جدا ، لكن حججه وأسانيده التي يسوقها واهية جدا وساذجة جدا : العرب هم الذين يقتلون الإسرائيليين ، والمصريون والسوريون هم الذين هاجموا إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ دون أن « يندروا » إسرائيل قبلها - هكذا (!!) - والإرهابيون العرب هم الذين يختطفون الطائرات ويهددون أمن العالم كله .. هل سمع أحد منكم عن إسرائيلي واحد خطف طائرة ؟!!

الجماهير التي تقف لتستمع إلى الفتى الإسرائيلي يبدو واضحا أن أغلبها عرب : عدد من الفتيات العربيات يبدون

طالبات يدرسن فى إنجلترا ، ويبدون فاهمات لما يقوله الفتى الخطيب باللغة الإنجليزية ، لكنهن لا يجدن الشجاعة للرد عليه .. وعدد آخر من العرب الزوار والسياح واضح تماما أن شكل العلم الإسرائيلى قد اجتذبهم لكنهم لا يفهمون ما يقوله الفتى الخطيب ، لذا فهم لا يعرفون كيف يردون عليه .. لكن التى تصدت له كانت سيدة إنجليزية عجوز هاجمته بشراسة وعنف ، حتى لقد تصورت فى لحظة أنها سوف تهجم عليه لتجتذبه من فوق سلمه لتنهال عليه ضرباً ! .. قالت له أنها إنجليزية هاجرت إلى إسرائيل بعد أن أعلنت كدولة عام ١٩٤٨ هى وزوجها وطفليها بعد أن خدعتهم الدعايات التى نشرتها إسرائيل كأرض للميعاد .. لكن هذا الميعاد لم يكن إلا ميعاد ولديها ، فقد فقدت واحدا منهما فى حرب ١٩٦٧ ، وفقدت الثانى فى حرب ٧٣ ، بعد أن فقدت الزوج نفسه فى حرب ١٩٥٦ .. لقد هدمت إسرائيل حياتها وهى لم تكذب تبدأ ، وهامى تجد نفسها وحيدة تماما الآن وهى فى هذه السن : « لقد قتل إبنى الأكبر فى حرب ١٩٦٧ وهو فى مثل سنك ، وكان يجب أن تموت أنت أيضا وتنكسر رقبتك قبل أن تصعد على هذا السلم لتقول هذا الكلام السام لتشجع زوجات أخريات على أن يهاجرن إلى إسرائيل ليعدن منها بعد سنوات محططات مثلما تحطمت أنا !!

الخطيب الآخر راح بلا مناسبة يهاجم الأمريكيين ويتهمهم بأنهم شعب غبى متأخر ، ويقول أن الشعب الإنجليزى هو أذكى شعوب العالم لذا يجب أن يقود هو العالم ويحكم هو العالم !!

وتتصدى له فتاة كندية شابة لتسأله بدهشة شديدة : « إن الله قد خلق الناس جميعا وفيهم الأنكباء وفيهم الأغبياء ، فلماذا تظن

نفسك عبقريا ؟ » فيرد باستغراب لسؤالها : « لأننى إنجليزى ،
وذلك يكفى » !! ويضج الجمهور الملتف حوله بالضحك وتأخذ
المناقشة شكلا مرحا حين نسأله الفتاة الكندية الطريفة : « إنك لاتبدو
إنجليزيا ، فأين ولدت ؟ » فيرد : « أنا لم أولد .. لقد جئت من
أنبوبة اختبار » فنرد الفتاة على الفور : « إذن ينبغي أن نعود فورا
إلى المستشفى الذى جئت منه ، أنت نتيجة فاشلة لـ (عبنة)
رديئة » !!



أيها السادة القراء : فلتعلموا إن لم تكونوا تعلموا ،
والحاضر منكم يعلن الغائب ، أن الموقع أدناه كاتب هذه السطور
قد فاز بالجائزة الأولى فى المعلومات العامة مع مرتبة الشرف ،
والشهادة أو (الدبلوم) التى أمامى على مكتبى الآن فى هذه اللحظة
هى الدليل على ذلك !!

السيدة العجوز الطيبة التى تذهب كل يوم أحد إلى الـ (هايد
پارك) ومعها (كرسى پلاچ) منخفض لتجلس عليه بهدوء
ووداعة دون أن تخطب أو تزعم أو تنشر أى ضجة ، فقط تفتح
ملفاً كبيراً فى يدها وتبدأ توجه منه نفس الأسئلة كل يوم أحد
للجمهور الذى يلتف حولها .. الأسئلة فى المعلومات العامة : « من
الذى بنى برج أيفل ؟ من الذى حرق روما ؟ أين يقع أطول كوبرى
فى العالم ؟ ماهى عاصمة أفغانستان ؟ ماهى ترجمة عبارة (جود
باى) باللغة العربية ؟ .. وطبعا كان هذا هو السؤال الذى جاوبت
أنا عليه بسرعة وطلاقة ، فاستحققت الجائزة التى قدمتها لى السيدة
العجوز الطيبة : قطعة شوكولاتة صغيرة ثمنها خمسة بنسات +

سارة صنعنها بيدها من الورق المقوى لكي أشبكها في عروة سترني
هذه الشهادة أو الدبلوم لكي أبرزها وأضعها فوق مكتبي في
الحريدة !!

والمظاهرات أيضا لها نصيبها في (هايد پارك) الأحد ..
المظاهرة الأولى كانت غرائتها في أنها لا تقول شيئا ولا تهنف
لشيء ولا توزع منشورات ولا بيانات ولا حاجة أبدأ : مجرد
أعلام ملونة لا تدل على شيء محدد ، ترفعها فتيات حسناوات
شكلهن يعرى المرء بالانضمام إلى المظاهرة حبا في الجمال
« وبأبدا » له .. وطلة كبيرة بدق عليها أيضا حسناء حمراء
السعر .. ويخرج المظاهرة من حديقته الـ (هابيد پارك) ووراءها
جمع كبير بيزاند باسمرار ، وتلف حول الحديقة في ٣ ساعات
كاملة قبل أن يعود إلى نفس المكان الذي بدأت منه في الـ (هابيد
پارك) .. وأصحاب العفول في راحة !

أما المظاهرة الثانية فقد كانت أكثر إيجابية لأنها كانت تقول
شيئا .. كانت مطاهاهه ضد نظام الحكم في إيران نطالب بالإفراج
عن المعتقلين السياسيين في سجون طهران الذين يرفعون
صورهم ، وأيضا يرفعون لافتات مكتوبة باللغة الفارسية ويزعون
منشورات باللغتين الفارسية والإنجليزية ويهتفون هافات منظمة
في مكبرات صوت الكرونة يحملونها في أيديهم ..

المهم في الموضوع أن أغلب المظاهرين الإيرانيين كانوا
يحفون وجوههم وراء أقنعة من الورق المقوى تخفي الوجه كله إلا
من فحنس صغيرين نندو منهما العينان .. والبوليس الإنجليزي

يحيط بالمظاهرة من كل جانب لكنه لا يتدخل على الإطلاق ..
ولماذا تخفون وجوهكم ؟ « أسأل واحدا من المتظاهرين فيرد:
« المخابرات الإيرانية يهملها أيضا إلتقاط صورنا لمعرفة من
نحن » !!

رجل سمين أصلع يحمل كل صحف الأحد تحت إبطه .. كان
يتنقل من دائرة إلى أخرى يسخر من كل خطيب ويقاطع كل متكلم
ويسبه ويشتمه ويشوشر عليه ، ويبدو كما لو أنه يجد لذته في
مضايقة الخطباء .. ثم ، كما لو أن اللعبة نفسها قد أعجبتة فقرر
فجأة أن يتحول إلى خطيب هو الآخر ، فزقق بعنف فتعلق
المستمعون حوله بسرعة ، وفتح عقيرته بأعلى صوته يشتم العرب
بكل قسوة وعنف وشراسة .. وحين لمح وجوها عربية في
المتحلقين حوله زادت شراسته إلى حد محاولة الإعتداء عليهم
فعلا .. وهنا فقط تدخل رجال البوليس الإنجليزى المنتشرين في
الـ (هايد پارك) يرقبون ما يجرى، ونهرته ضابطة الشرطة
الوسيمة الحسنة بحزم وصرامة وقالت له على مسمع من كل الناس
أنه حتى الحرية في الـ (هايد پارك) لها تقاليد ولها آداب وأنه ليس
من حقه أن يتناول على الناس بأى صورة وإلا فإنها سوف تضطر
إلى القبض عليه !! .. وتركته وعادت إلى مكانها تراقبه من
بعيد .. فزاد هياج الأصلع السمين وصرخ بأعلى صوته بوجه
الكلام إليها على البعد بأنه يعرف جيدا قانون هذه البلاد ، بل
ويعرف القانون أكثر منها هى ضابطة البوليس ، وأن البوليس
الإنجليزى ورجال سكوتلنديارد فى هذه البلاد يحمون العرب منذ
عدة سنوات من أجل نفوذهم ، لكننا لا نريد أموالهم ، فليتركوا لنا

بلادنا وليرحلوا فنحن لا نريدهم هنا .. فليرحلوا فليرحلوا
فليرحلوا !!

●
الإنطباع الذى خرجت به بعد ستة أيام أحد فى الـ (هايد
پارك) هو أن أغلب الخطباء مجانين ، أو على الأقل ليسوا
طبيعيين .. ناس غاويين شهرة وغاويين تصوير وغاويين تمثيل
وكان نفسهم يطلعوا ممثلين لكن الفرصة لم تواتهم والحظ أخطأ
الطريق إليهم ، فلم يجدوا إلا مسرح الـ (هايد پارك) ليمثلوا عليه
مجانا ، أمام جمهور لا يدفع شيئا إلا التريقة عليهم والسخرية
منهم !!

دنيا .. عالم مصغر .. مدينة ملاهى .. سيرك بلا ترخيص
الـ (هايد پارك) يوم الأحد !!

هاجر منذ
٣٥ سنة..
والسبب :
صورة !..



لا تصدق أن أحدا ممكن أن يترك وطنه ليهاجر إلى
وطن آخر لمجرد السياحة والفرجة وتغيير المكان .
الوطن هو « الأم » ولا يهجر أحد أمه إلا إذا كان
هناك سبب أقوى من حب الأم يدفعه إلى تركها .



المهاجرون من الوطن الأم وراء كل منهم قصة

وحكاية ..

لكن « عاطف » لم يكن لديه سبب واحد يدعو به إلى الهجرة من
مصر ، بالعكس ، توفرت لديه كل الأسباب التي تربطه بوطنه
وتجعله « لا » يفكر في تركه : ابن ناس من أسرة ثرية ، والده من
أصحاب الأسماء الشهيرة على امتداد الوطن العربي والإسلامي
كله : الشيخ « مصطفى إسماعيل » أشهر من رتل القرآن خلال
الأربعين سنة الأخيرة . « عاطف » نفسه طالب متفوق في كلية
الطب موشك على التخرج طبيا .. ليس ذلك فقط ، بل إنه بطل
مصر في ألعاب القوى لسنوات عديدة سابقة ومحتمل لسنوات عديدة

مقبلة .. شاب وسيم ومرح محبوب من أصدقائه ومن كل الناس ..
فما الذى حدث إذن حتى يجد « عاطف » نفسه فى عام ١٩٩٤
مواطناً ألمانياً يعيش فى المهجر منذ أكثر من ٣٥ عاماً ؟!

●
حين حصل « عاطف » على الشهادة التوجيهية - الثانوية العامة الآن - فى آخر دفعة تخرجت من المدرسة الثانوية العسكرية فى القاهرة فى عام ١٩٥٢ ، كان الامتداد الطبيعى له بعد ذلك هو أن يلتحق بالكلية الحربية ليكون ضابطاً بالجيش المصرى . لكن « عاطف » لم يكن يريد أن يصبح ضابطاً ، وإنما كان يحب أن يصبح طبيباً ، فى الوقت الذى لم يكن مجموعته فى التوجيهية يسمح له بالالتحاق بكلية الطب .. كان « عاطف » فى ذلك الوقت من أبطال مصر الدوليين فى ألعاب القوى ، وذهب إلى ألمانيا الغربية مع الفريق المصرى ليشارك فى دورة بطولة الجامعات ، وعاد إلى مصر بالمركز الثامن فقط ، لكنه أيضاً عاد مبهوراً بألمانيا ، حتى أنه اقترح على أبيه الشيخ « مصطفى إسماعيل » أن يذهب لدراسة الطب فى ألمانيا ، ووافق الشيخ على الفور .

وعاد « عاطف » إلى ألمانيا طالباً فى كلية الطب بجامعة [هايدلبرج] .. وما لبث بعد ستة شهور فقط أن فاز ببطولة ألمانيا الغربية كلها فى ألعاب القوى متفوقاً على الأبطال الألمان الذين سبق أن فازوا عليه فى دورة بطولة الجامعات . وما لبث بعد فترة قصيرة أخرى أن أصبح مدرباً للاعبين الألمان أنفسهم ، وعلى يديه تخرج « كلاوس هوفمان » بطل الدورة الأولمبية فى ميونيخ عام ١٩٧٢ ودكتور « هيرموت شرايبر » بطل العالم رقم ٢ .

وسار « عاطف » فى دراسته للطب فى جامعه [هايد لبرج] حتى وصل إلى عام البكالوريوس ولم يبق له على التخرج إلا نحو ٨ شهور يعود بعدها إلى مصر طبيا يفتح عيادته ويبدأ حياته العملية ، ولكن .. ودائما هناك (ولكن) وإلا ما كانت هناك قصة نروى ..

فى ليلة رأس السنة أقبمت فى الجامعة حفله تذكريه .. المفروض أن يرتدى كل واحد من الطلاب والطالبات ملابس تاريخية أو ملابس مضحكة ، فالحفلة كانت حفلة شباب وطلاب ومرح وليلة رأس السنة بصخبها الأوروبى المعناد .. ورأى « عاطف » - بما أنه كان بطلا رياضيا - أن يردى شيئا مبكرا ، فلبس سترة السهرة السوداء الأنيقة وقميصا أبيض و « بابيون » عنق أسود ، ثم لبس الشورت القصير الأبيض وحذاء كاوتش أبيض وشراب أبيض !! ليكون نصفه العلوى بملابس السهرة الرسمية ، ونصفه الأسفل بملابس الرياضة !!

ولفت « عاطف » نظر الحفلة كلها ، والتفتت له عشرات الصور ، تسربت صورة منها بطريقه ما إلى مصر وإلى جريدة يومية نشرتها على مساحة كبيرة وإلى جانبها صورة أخرى لوالده الشيخ ، وهاجمت الصحيفة نصرقات الشباب المصريين فى أوروبا وقالت ما معناه : (وهذا هو ما يفعله ابن فضيلة الشيخ مصطفى اسماعيل فى ألمانيا) !!

وهاجت الدنيا فى مصر ، وثار الشيخ « مصطفى اسماعيل » الذى لم يكن لديه أى فكرة عن مسألة الحفلات التكرية ، وأعلن

تبرءه من « أفعال » ابنه ، وقطع عنه على الفور المبلغ الذى كان يرسله إليه شهريا ليعيش منه فى ألمانيا ، ريثما منه العودة إلى مصر فوراً !!

واستمرت القطيعة والخصام من الأب لابنه ٧ سنوات كاملة ، كان لابد لعاطف خلالها أن يفعل شيئا لكى يكسب بنفسه ما يكفل له الاستمرار فى الدراسة .. وأقرصه واحد من أصدقائه الألمان مبلغا فسخ به نادبا للطالبة العرب فى [هايد لبرج] يقدم فيه بعض المأكولات الخفيفة والمشروبات ويعرض فيه أفلاما مصرية .. وسرعان ما نجح هذا النادى نجاحا كبيرا فاق كل توقعات « عاطف » لكنه فى الوقت نفسه كان « النجاح النكمة » الذى يجلب الحسد والغيرة من بعض الأطراف الأخرى .. فبدأت مشاكله من ناحية مع الجامعة التى أهمل دراسه فيها إلى حد ما ليفرغ لإنجاح النادى ، ومع بلدية مدينة [هايد لبرج] من ناحية أخرى نتيجة تدخل النقابات الألمانية ، على اعتبار أن « عاطف » مجرد طالب أجبى فى الجامعة وليس عضوا فى أى نقابة !! وشكته بلدية [هايد لبرج] إلى رئيس الجامعة الذى فصله من الجامعة كلها !! ولم يكن ذلك نصرفا قانونيا ، إذ لا يفصل طالب من الجامعة فى ألمانيا إلا بحكم قضائى ..

وهكذا عاد « عاطف » إلى الجامعة ، لكن إلى كلية أخرى غير كلية الطب ، من باب الديئيمس والعجيز .. لكن « عاطف » بدأ فعلا المشوار كله من أول وجددد ليدرس هندسة الديكور فى كلية الفنون الحربية ، ويتخرج فيها .. لكنه اعتبر أن دراسته هذه شئ مجرد

هواية فقط وظل يعمل في النادي الذي كان قد افتتحه ، ثم بعد فترة أضاف إليه ناديا آخر في نفس المدينة ، ثم مالبت أن أصبح شريكا في كل الأندية الأخرى الموجودة في [هايدلبرج] كل ذلك وهو لازال مصريا دون أن يفكر في الحصول على الجنسية الألمانية ، لأن النظام في ألمانيا لا يسمح بالجنسية المزدوجة ، فإما مصرى فقط أو ألمانى فقط ..

وجاءت الحرب المصرية الإسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وبدأ اضطهاد العرب في ألمانيا كلها ، ومارس يوم طرد العديد من ألمانيا قذوى الأسباب مهما كانت مدة إقامته فيها ، حتى أن ربح سيارته في مكان غير المخصص لها يطرد من ألمانيا فورا بحجة أنه مهاجر ولا يحترم قانون البلد الذى يأوده !!

وهكذا وجد « عاطف » نفسه مضطرا لأن يحصل على الجنسية الألمانية حتى لا يجد نفسه يوما ما مطرودا من ألمانيا .. وقد كان ، وأصبح مواطنا ألمانيا بعد ١٧ سنة من الحياة في ألمانيا .. لبس ذلك فقط ، بل جاءه حنى باب بيته عمدة مدينة [هايدلبرج] الذى كاد يوما ما أن يوقع قرار طرده من ألمانيا ، ليطلب إلى « عاطف » أن ينضم إلى حزبه ويرشح نفسه ليكون عضوا في البرلمان المحلى للمقاطعة !! ونشرت الصحف الألمانية اسم « عاطف اسماعيل » وصوره باعتبار أنه الأجنبى الوحيد المرشح فى هذه الانتخابات ..

بعد ٣٥ سنة فى المهجر فى ألمانيا « عاطف مصطفى اسماعيل » عمره الآن ٥٨ سنة وله ابنة واحدة اسمها « نادية » من زوجته الألمانية ، تسير على نهج أبيها وتدرس هندسة الديكور

مثلما فعل .. وبعد أن كان « عاطف » قد انقطع عن الذهاب إلى مصر لمدة ١٥ سنة كاملة ، عاد يذهب إليها الآن من حين لآخر ، وفي أعقاب حرب أكتوبر تبرع للمجهود الحربى فى مصر بسيارة إسعاف مجهزة ..

أسأل « عاطف مصطفى اسماعيل » ونحن نجلس معا فى ركن من أركان ناديه فى [هايد لبرج] فى أمسية من أمسيات الشتاء الماضى : بعد ٣٥ سنة من الاغتراب عن الوطن ، هل يفكر فى أن يعود إلى مصر عودة نهائية يوما ما ، وأن يعود إلى قريته [ميت غزال] مركز السنطة بمحافظة الغربية ؟!

ويرد « عاطف » على الفور :

— إن ألمانيا ليست وطنى وعمرها ما كانت وطنى ، رغم الجنسية الألمانية وجواز السفر الألمانى ، وسأظل إلى آخر يوم فى عمرى مواطنا مصرياً أعمل فى ألمانيا .. ألمانيا هى فقط « مقر عملى » !

هات شلن
وتعالى نحرق
لنن...!!



HAVE YOU APENNY FOR GUY?

حين رأيتهم لأول مرة قفزت إلى ذهني وتصوراتي
على الفور أنها شطحة جديدة من شطحات هذا العالم
المجنون الذي اسمه [لندن] .. طريقة غريبة جدا
وظريقة جدا للشحاتة الإنجليزي : مجموعة من
الصبيان والبنات الإنجليز الصغار ، واضح جدا أنهم
[ولاد ناس] شكلا وموضوعا :



لبسهم طبيعي ونظيف ومهندم ومرتب ، ويبدون مهذبين
للغاية . معهم دمية كبيرة مصنوعة من القش في حجم الرجل
العادي ، لها وجه من القماش مرسوم عليه عينان وأنف وفم ،
وبلوسونها ملابس عادية : قميص وبنطلون وجاكيت أو سويتر أو
بولوفر ، وحذاء وقبعة .. ويجلسون هذه الدمية على الأرض في
النسارح مسنودة إلى حائط أو جذع شجرة .. ثم يستوقفون السائرين

فى الشارع لبطلبوا منهم « نسا واحدا من أكل جاى » بهذه العبارة
اللى لا تتغير وكأنها إصطلاح متفق عليه أو كأنها من قواعد
اللعبة : [Have you a Penny For Guy?]

ورزق الهيل على المجانين .. ناس يعطونهم بنساً واحدا -
[صحتها « بينى » أو « Penny » بالمناسبة] - وناس يعطونهم
عدة بسات من أجل الخواجة « جاى » الراقد على الأرض ، وناس
يعطونهم سلماً ، وناس لا يعطونهم شئنا .. لكن الأولاد والناس
لا يلحون ولا يطاردون أحدا .. إنما هى على أى حال طريقه
غريبة حدا للشحانة ، تشبه إلى حد ما ما يحدث من الأطفال
المصريين فى شهر رمضان فى الريف المصرى وفى الاحياء
الشعبية فى المدن المصرية ، حين يحملون فوانيس رمضان
ويدوروا يطرقون أبواب منازل الحى أو أبواب بيوت القرية ،
ويلحقون السائرين فى الشوارع وهم ينشدون : [حاللو يا حاللو
رمضان كريم يا حاللو .. لولا فلان لولا جينا ، ياللا الغفار .. يحل
كيسه ويدينا، ياللا الغفار.. إدونا العادة ، ياللا الغفار .. حل الكيس
وادينا بقشيش يانروح ما نجيش ورمضان كريم يا حاللو ...
إلخ] .. فيحل كل فلان كيسه ويعطيهم اللي فيه القسمة وما تجود
به نفسه ..

ظننت الأطفال الانجليز يلعبون ما يشبه هذه اللعبة فى بلادنا ،
واستغريبها ، أو على الأقل استغربت « توقيتها » ، فلم أكن أعرف
أن هناك عيداً معيناً أو مناسبة دينية ما يحتفلون بها فى ذلك الوقت من

السنة .. وسألت .. فعرفت القصة الحقيقية وراء الرجل القس
المستر « جاى » الجالس على الأرض فى شوارع لندن يجمعون
له الپنسات ..



تبدأ هذه اللعبة الموسمه فى الأسبوعين الأخيرين من شهر
أكتوبر والأيام الأولى من شهر نوفمبر كل عام .. ويظل مستر
« جاى » جالسا على الأرض حتى مساء يوم ٥ نوفمبر .. وفى ذلك
اليوم يشتري الأطفال الإنجليز بحصيلة الپنسات التى جمعوها من
المارة طوال الأسابيع الثلاثة السابقة ، بـسترون [بمب] وصواريخ
أطفال وبنزين .. ويفرقعون البمب ويضربون الصواريخ ويحدثون
أكبر ضجة ممكنة وهم يتعلون النار فى مسنر « جاى » الرجل
الفش الراقد على الأرض . ويحرقونه فى احفالات كبيرة هائضة
فى كل شوارع لندن وكل المدن والقرى البريطانية ، دون أن
يتعرض لهم البوليس الإنجليزى النشط .. ذلك لأن هذه اللعبة ليست
إلا تقليدا إنجليزيا شعبيا وإحياء لقصة تاريخية قديمة حدثت فى
انجلترا فى القرن السابع عشر ..



فقد قبض البوليس الإنجليزى أيامها على شاب اسمه « جاى
فوكس GUY FAWKES » بتهمة تدبير مةامرة لحرق البرلمان
الإنجليزى .. وحوكم « جاى » .. ورغم أن التهمة لم تثبت عليه
بمama إلا أنه حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم فعلا ..

وقد ولد « جاى فوكس » فى مدينة [يورك] عام ١٥٧٠ وكان
أبوه محاميا .. ونشأ « جاى » فى مدرسة پروتستانية ، لكن بعد وفاة

الأب عاد « جاى » إلى الكاثوليكية شديد التعصب لها ، حتى أنه تطوع فى الجيش الأسباني عام ١٥٩٣ . وعندما توفيت الملكة « إليزابيث الأولى » عام ١٦٠٣ وتولى عرش إنجلترا واسكتلندا الملك « جيمس الأول » ، كان الصراع على أشده بين الكاثوليك والبروتستانت ، وكان « جيمس الأول » بروتستانيا والبروتستانت يسيطرون على البرلمان فى إنجلترا .. فقرر الكاثوليك نصف مبنى البرلمان أثناء وجود الملك به ، لكى يتخلصوا منهما معا ، الملك وبرلمانه .. وكلفوا « جاى فوكس » بتنفيذ هذه المهمة ، وحددوا لذلك يوم ٥ نوفمبر عام ١٦٠٥ .. على أن يتم استيلاؤهم على السلطة فى إنجلترا ثم طلب المساعدة والدعم من أسبانيا التى كانت أقوى دولة كاثوليكية فى العالم فى ذلك الوقت .

واستأجر المتآمرون البيت المجاور للبرلمان ، وعاش « جاى » فى هذا البيت متظاهرا بأنه خادم .. واستأجروا أيضا مخزنا يقع تحت مبنى مجلس اللوردات مباشرة .. ووضع « جاى فوكس » فى هذا المخزن براميل البارود والحطب اللازم لإشعال الحريق لنسف المبنى .. لكن فى اللحظة الأخيرة حذر أحد المتآمرين صهره الذى كان عضوا فى البرلمان ، ويعث له رسالة يناشده فيها عدم الذهاب إلى البرلمان فى ذلك اليوم بالذات .. فأبلغ عضو البرلمان البوليس الإنجليزى الذى قبض على « جاى فوكس » وهو على وشك إشعال النار فعلا .. وعذب « فوكس » تعذيبا شديدا لكنه لم يعترف على زملائه .. وتم إعدامه فعلا فى ٣١ يناير عام ١٦٠٦ ..



ومنذ ذلك الوقت والإنجليز يحتفلون بذكرى اليوم الذى كشفت

فيه المؤامرة وقبض على « جاى فوكس » ، بإشعال آلاف الحرائق الصغيرة فى دمي من القماش ترمز لـ « جاى فوكس » فى كل شوارع المدن والقرى الإنجليزية ، لكى تتذكر الأسرة الملكية دائما ذلك اليوم ، ولترسيخ وتثبيت معنى أن [الملك يملك ولا يحكم] وأن حرق البرلمان ليس معناه حرق الديمقراطية .. لأن الديمقراطية ليست لفرد مهما كان ، حتى لو كان ملكا ، يمنحها للمواطنين أو يمنعها عنهم .. وأن الشعب الذى تعود أن يعيش فى ظل الديمقراطية مستعد لأن يحرق نفسه فى سبيلها وفى سبيل استمرارها ..

حكاية بنت
إنجليزية
إسمها « عيشة » !



« مارجريت توملين » فنانة تشكيلية إنجليزية شابة ،
تخرجت في كلية الفنون الجميلة في لندن ، وبمجرد
تخرجها رحلت إلى أستراليا لتلتحق بأختها الكبرى
التي سبقتها ، وهناك عملت كرسامة ومصممة
ديكور ، وتخصصت في شيء قد يبدو لنا غريبا
جدا : تصميم الحمامات ! نعم : حمامات البيوت
الكبيرة وقصور الأثرياء ، بحيث يصبح شكل الحمام
في بيت ما أو قصر ما غير متكرر في أى مكان
آخر !!



المهم ، لمعت « مارجريت » واشتهرت على امتداد ١١ سنة في
أستراليا ، ثم بدأت في جولة طويلة لكي تنشر فكرة الحمامات
الخاصة المنفردة هذه في أماكن أخرى من العالم .. فنقلت نشاطها
إلى إنجلترا ثم إيطاليا ثم سويسرا ، حتى انتهى بها المطاف إلى
أمريكا حيث عملت هناك لمدة ٧ سنوات .. وفي أمريكا كانت هناك
نقلة أخرى في حياة الرسامة الشابة « مارجريت » لم تشعر بها في
البداية ، بل لعل البداية لم تكن أبدا لتؤدي إلى النهاية التي انتهت
إليها ..

كانت «مارجريت» تعيش في ولاية (تشارلوت) الأمريكية ، وكان عملها مرتبطا بصورة ما بمدينة نيويورك التي كانت تذهب إليها مرة كل أسبوع لتقضى فيها يوما واحدا ، فتذهب بطائرة الصباح وتعود في طائرة المساء .. وكأى فتاة أوروبية مثقفة حريصة على ألا تضيع وقتها إلا فيما يفيد ، فهي تضع في حقيبة يدها دائما كتابا ما لتقرأه خلال الـ ٧٠ دقيقة التي تستغرقها رحلة الطائرة إلى نيويورك ، وفي عودتها منها .. وتبدأ القصة ذات يوم حين أنهت «مارجريت» الكتاب الذى كان معها خلال رحلتها الصباحية إلى نيويورك ، فقررت أن تشتري من مكتبة مطار نيويورك كتابا آخر لكى تقرأه فى رحلة العودة . وحين دخلت مكتبة المطار فى المساء حرصت على أن تحصى النقود التي معها لترى الثمن الذى تدفعه فى الكتاب بحيث يتبقى معها بعد ذلك أجر التاكسى الذى ستعود به من مطار (تشارلوت) إلى بيتها .. ووجدت «مارجريت» أنها تستطيع أن تشتري كتابا بحيث لا يزيد ثمنه عن دولار واحد فقط .. وللحظ ، أو لترتيب خط المصادفات التى أدت إلى النهاية التى أحكى هذه القصة بسببها ، كان الكتاب الوحيد الذى وجدته «مارجريت» وثمانه فى حدود دولار واحد هو : [ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية] ! فاشتريته وفى ذهنها أنه لا بأس من معرفة بعض المعلومات عن المعتقدات الدينية لـ «هؤلاء العرب» الذين أصبحوا فى السنوات الأخيرة يمثلون (ثقلا ماديا) يعمل له العالم ألف حساب .

وفى الطائرة قرأت من الكتاب عدة صفحات ثم غلبها النعб فنامت ، وحين عادت إلى بيتها أفرغت حقيبتها ووضعت الكتاب

فى مكتبتها دون أن تكمل قراءته ، ودون أن تعود إليه مرة أخرى .. نسيت « مارجريت » الكتاب تماماً .

بعد سنتين من هذه القصة قررت « مارجريت » أن تنهى أعمالها فى أمريكا وتعود إلى وطنها إنجلترا لتقضى بقية حياتها فيه .. وحين كانت تضع فى حقائبها الأشياء التى ستأخذها معها إلى إنجلترا وجدت هذا الكتاب ، وتذكرت أنها لم تكمل قراءته ، فوضعت بين أشياءها ، وفى بيتها الجديد فى أحد ضواحي لندن وضعت الكتاب فى مكتبتها مع الكتب الأخرى ، ونسيت مرة ثانية لمدة عامين آخرين !

فى ليلة أرقّت فيها « مارجريت » مدت يدها إلى مكتبتها (عمياني) لتأخذ أى كتاب يخرج فى يدها بالصدفة لكى تقرأ فيه حتى يغلبها النوم .. وكان الكتاب الذى خرج فى يدها هو نفس الكتاب الذى اشتريته من مطار نيويورك ولم تقرأ فيه غير عدة صفحات : (ترجمة معانى القرآن الكريم) ! .. ولم تنم « مارجريت » ليلتها حتى انتهت من قراءة الكتاب كاملاً فى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، فقامت لتجرى بعض الاتصالات التليفونية ، ثم ترتدى ملابسها وتخرج من بيتها إلى المركز الإسلامى فى (يارك رود) لكى تشهر إسلامها !! فقد وجدت « مارجريت » أنها طول عمرها كانت تتبع تعاليم هذا الكتاب دون أن تعرف أن هذا هو الإسلام .. !

وهكذا تحولت « مارجريت توملين » إلى « عائشة » منذ ٧ سنوات ، وبدأ شكل الحياة فى بيتها يختلف : فهى تصوم فى شهر

رمضان وتحفل بكل المناسبات الإسلامية ، وفي الوقت نفسه
تحتفل بأعياد الكريسماس ورأس السنة وعيد (الإيستر) لأن ابنتيها
من زواج لم يستمر طويلا لازالتا على دينهما .. ولم نشأ
« مارجريت » - عائشة الآن - أن تؤثر عليهما لتتحولا إلى
الإسلام ، ورأت أن تتركهما حتى تصبحا في السن التي تمكنهما
من أن نقنعا بالإسلام وحدهما دون تأثير منها . كما افتنعت به هي
دون تأثير من أحد !



حدث
ذات
مترو...!

لابساً بدلتى الشيك - بتاعة المناسبات - راكبا
 المترو [الأندرجراوند] من محطة [هونزلو
 ويست] إلى وسط لندن فى طريقى إلى موعد هام ..
 ولدان فى الرابعة عشرة وأنا صاعد إلى المترو
 « هبذنى » واحد منهما كتفاً على غير توقع منى ،
 لوحنى ، دون أن يقول لى كعادة الإنجليز المهذبين :
 « متأسف » أو « Sorry » .. ضايقتنى أنه لم يعتذر ..



ركبا نفس العربة التى ركبت فيها .. لم يجلسا ، وإنما راحا
 يتشقلبان ويتصارعان ويتمازحان بصوت عال وبطريقة عنيفة
 مزعجة أثارت ضيق وتأفف كل راكب العربة الإنجليز .. لكنهم
 إنجليز ، كل واحد فى حاله .. أقرأ كتابا باللغة العربية .. الولدان
 ينظران إلى ناحيتى ويتهامسان .. يزنانى بأعينهما وقد تأكدا أننى
 أجنبى .. بدءا يعاكسانى ويشاكسانى بالإيماء وبالحركة .. وأنا
 أكره دلغ الصبيان ومياصتهم .. من البنات مقبولة لأنها جزء من
 الأنوثة ، لكن من الصبيان مرفوضة لأنها دليل عدم الرجولة ..
 تماديا .. وشعر كل الركاب فى العربة بأن الصبيين يتحرشان بى ..
 قلت فى نفسى ياواد إقصر الشر وكلها كام محطة وتنزل وتترك

لهما المترو بحاله .. تذكرت فيلم [الحادث] الذى جرت حوادثه كلها فى داخل عربة مترو كهذه .. لكنهما لم يمهلانى .. واحد منهما فى يده ورقة مكورة بها أثار ساندوتش .. ألقاها إلى زميله البعيد عنى فى الناحية الأخرى .. لكنها - بتعمد - تحولت لتلبس فى جانب رأسى !! .. رفعت عينى عن الكتاب ورمقت الولد بنظرة نارية .. فنظر فى عينيّ بوقاحة وبجاجة وقال ببرود وتحد واستفزاز : « متأسف Sorry » وكأنه يشتمنى ..

أقفلت كتابى بهدوء جدا .. فتحت شنطة أوراقى ووضعت فيها الكتاب ، بهدوء جدا .. أقفلت الشنطة مرة أخرى ، بهدوء جدا .. وضعت الشنطة فوق الكرسي الخالى إلى جوارى ، بهدوء جدا .. قمت من مكانى ، بهدوء جدا .. واتجهت إليه فى خطوات عادية جدا ووجهى جامد لا يحمل أى تعبير ، حتى واجهته تماما ، فرفعت يدى ، بهدوء جدا وببطء جدا ، وفقعته - بكل قوتى - قلماً على صدغه سيظل يحلف به ويحلم به طول حياته ، رن كمدفع رمضان فى سكون العربة التى كان كل ركابها ينظرون إلى ناحيتنا فى ترقب شديد .. وقلت له ، بهدوء جدا وبرود جدا وغلاسة جدا : « متأسف .. Sorry » .. ووقفت أمامه أنتظر رد الفعل .. فلم ينبس ببنت شفة .. فاستدرت بهدوء جدا ، وعدت إلى مقعدى ، بهدوء جدا ، وفتحت شنطتى ، بهدوء جدا ، وأخرجت كتابى ، بهدوء جدا ، وعدت إلى القراءة من جديد .

ونزل الولدان فى المحطة التالية ..
بس .. خلاص ..

مشاهدینا
الأعزاء ..
هل بلغكم
نبأ الـ
«سى فاكس»؟!



حين استقر بي المقام فى إنجلترا وبما أن عملى الصحفى فى القاهرة كان مرتبطا بصورة ما بالتليفزيون ، فقد كان أول ما اهتمت به هنا هو أن أزور التليفزيون الإنجليزى الـ (بى بى سى) ، على اعتبار أننا (أولاد كار) .. وهناك تعرفت لأول مرة على الـ (سى فاكس) ..



وكان وقتها لازال فى مرحلة التجارب النهائية وبدأ استعماله على نطاق ضيق جدا ككل شىء جديد فى بدايته .. لأنه - إلى حد ما - لم يكن بعد مفهوما تماما بالنسبة للمشاهدين الذين سوف يستفيدون من خدماته .. بل واستطيع أن أقول أنه كان منظورا إليه على أنه نوع من (الحنشصة) أو المبالغة فى استعراض العضلات الفنية والهندسية التليفزيونية ..

لكنه الآن - بعد ١٥ سنة تقريبا من بدء استخدامه - أصبح جهازا شعبيا موجودا فى أغلب البيوت الإنجليزية ، وهبط ثمنه من ٣٠٠ جنيه - إسترليني طبعاً - فى بداية ظهوره حتى وصل الآن

إلى أقل من ٣٥ جنيهها .. وبازدياد انتشاره والتوسع في استخدامه والإقبال عليه فإن من المتوقع أن يصل سعره خلال الخمس سنوات القادمة إلى ١٥ جنيهها فقط أو حتى أقل .. فما هي حكاية الـ (سى فاكس) هذا ؟!

أولاً إسمه « سى فاكس » تصغير لعبارة (سى فاكس See Facts) بالإنجليزية .. بمعنى (شوف الحقائق) أو (لترى الحقائق) ..

جهاز صغير فى حجم الآلة الحاسبة اليدوية الصغيرة فى حجم كف اليد ، أو فى حجم الريموت كونترول الصغير الذى أصبح معروفا فى مصر الآن .. وهو يشبه كليهما كثيراً ، يشبه الآلة الحاسبة والريموت كونترول معا ، فى أن به مجموعة أزرار تحمل الأرقام من ١ إلى ١٠ كالمعتاد ، بالإضافة إلى مجموعة صغيرة من الحروف .. لكن هذا الجهاز الصغير ليست مهمته أن يفتح التلفزيون ويقلله ويضبط الإضاءة ويغير القنوات كما يفعل الريموت كونترول ، إنما هو يؤدى وظيفة أخرى مختلفة تماماً ، هى الـ : سى فاكس !

عندما تشتري هذا الجهاز الصغير من المحلات التى تباع أجهزة التلفزيون ، يعطونك معه دليلاً صغيراً أو نشرة صغيرة تشبه الفهرس .. مذكور بها الأرقام التى تستخدمها لفتح أمامك أبواب أو صفحات الـ « سى فاكس » فى قناتى التلفزيون الإنجليزي الحكوميتين الأولى والثانية ، أو أبواب الـ « تلى تيكست » فى محطتى التلفزيون الإنجليزي التجاريتين : « آى . تى . فى + القناة رقم ٤ »

هذه الأرقام هي المفاتيح التي تفتح أمامك أبواب أو صفحات الـ (سى فاكس) والـ (تلى تيكست) .. وأنا أكرر اسميهما حتى نحفظهما فقد يوعدا ربنا زى ما وعد الإنجليز ، ويصل إلينا ذلك الجهاز الظريف وخدماته .. هذا الجهاز الظريف يحول جهاز التلفزيون فى بيتك إلى جريدة أو مجلة مطبوعة تصدر فى الوقت الذى تريده أنت وتقلب صفحاتها على مزاجك ووفق رغباتك الشخصية ، لكى تقرأ فيها ما تريد فى أى لحظة تريدها .. وهى جريدة لا تصدر أسبوعية ولا يومية ، ممكن أن تتغير المواد المطبوعة فى أى صفحة من صفحات هذه الجريدة لكى يعطيك أخبار آخر ثمانية ممكنة فى الموضوع الذى تريده .. وسأعطيك صورة من خدمات هذا الـ « سى فاكس » الظريف ..

سعادتك قاعد فى البيت فى أمان الله بتتفرج على التلفزيون ولا تنوى الخروج من البيت هذه الليلة .. لكن السيدة حرمكم زى الشريك المخالف - كعادتها - قررت أن تخرج الليلة لتسهر فى الخارج لكى تستعرض فستانها الجديد الذى أرسلته لها الخياطة توا .. « طيب حانروح نسهر فىن يامدام ؟ » .. « هذه ليست مشكلة ، لنسأل الـ « سى فاكس » ..

تنظر حرمكم إلى الجدول الذى لديكم ، وتضغط على رقم ٢٣٠ فينقطع من على شاشة التلفزيون برنامجك المفضل المعروف الآن والذى كنت تشاهده باستمتاع لكى يظهر على الشاشة بدلا منه لوحة كبيرة مكتوب عليها أسماء كل دور السينما فى القاهرة - مثلا يعنى - وأسماء الأفلام المعروضة فى كل منها وأسماء الأبطال

والنجوم المشتركين فى كل فيلم ، وهل هو فيلم بوليسى أو عاطفى أو تاريخى أو رعاة بقر أو علمى .. وأمام اسم كل فيلم من هذه الأفلام رقم آخر ..

« ذلك ليس كافيا » تقول زوجتك « أريد تفصيلات أكثر عن هذه الأفلام » .. فتضغط سعادتك على الأزرار مرة أخرى حسب الأرقام المذكورة أمام كل فيلم فى اللوحة التى أمامك ، لتختفى من على الشاشة اللوحة التى عليها أسماء « كل » دور السينما والأفلام ، وتظهر بدلا منها لوحة أخرى فيها تفصيلات أكثر عن كل فيلم على حدة : اسم المخرج وأسماء الفنانين ونوع الفيلم وموجز سريع لقصته وماذا قال النقاد عنه . وهل هو للكبار فقط أم أنك تستطيع أن تصطحب زوجتك معك ..

وتظل تضغط على الأرقام فى جهاز الـ « سى فاكس » فى يدك لكى تتغير اللوحات أمامك على الشاشة وكل لوحة منها تعطيك تفصيلات عن فيلم ما ، وتظل السيدة حرمكم تمط شفتيها وترفضها واحدا بعد الآخر ، حتى يضيع موعد السينما ..

لكن الست حرمكم لازالت مصرة على الخروج « لنذهب إذن إلى المسرح » تقول حرمكم .. فتضغط سعادتك على مجموعة الأزرار مرة أخرى لتظهر أمامكما على الشاشة أسماء كل مسارح البلد وأسماء كل المسرحيات المعروضة فيها .. وحينما يستقر رأى على مسرحية منها تضغط على الأزرار مرة أخرى لتظهر لك على الشاشة تفصيلات أكثر عن هذه المسرحية بالذات .. حتى

يتم الاتفاق - أقصد إتفاق زوجتك مع نفسها - على المسرحية التي ستذهبان إليها ، فتطلب منك أن « تتفضل تقوم تلبس هدومك » .

إنجلترا ليست كمصر .. فى إنجلترا قبل أن تتحرك من غرفة إلى غرفة أخرى فى بيتك ينبغى أن تسأل عن حالة الطقس أو الجو .. حالة الطقس هنا - وفى أوروبا عموما - مسألة مهمة جدا لدرجة أنهم يكتبون حالة الطقس اليوم تحت اسم الصحيفة أو الجريدة اليومية مباشرة .. ينبغى إذن أن تعرف حالة الطقس الآن فى هذه اللحظة لكى تعرف ماذا تلبس هل تأخذ معك الشمسية أم تكفى بلبس البالطو فقط .. سوف تضغط على الأزرار من ١٨٠ إلى ١٨٩ لكى تعرف حالة الطقس فى هذه اللحظة ، والتغيرات أو التوقعات المنتظرة فى الجو لباقي المساء .. يمكن لو كنت قد عرفتها قبل ذلك بساعة واحدة فقط فإن هناك احتمال كبير أن يكون الطقس قد تغير الآن ..

لبست سعادتك ملابسك وتسلحت بالبالطو والكوفية الصوف والشمسية .. وارتدت حرمكم الفستان الجديد الشيك عريان الصدر والظهر والأكمام ، وخلص خارجين .. لكن ساعتك قد أعطتها زوجتك للأطفال ليتسلوا بها فخربوها ، وساعتها هى من الماس ثمنها ألف جنيه لكنها ساعة منظر فقط لا تعمل ولا تبين الوقت لأنها ليس بها عقارب .. لا بأس ، لتسألا الـ « سى فاكس » بالضغط على الرقم ٢٦٠ لتظهر لكما على شاشة التلفزيون ساعة تبين الوقت الآن بالضبط ، وتظل الساعة موجودة على الشاشة لمدة ١٥ ثانية طالما أنكما لم تضغطا على أزرار أخرى .

وتكتشف زوجتك - بعد معرفة الوقت - أنه لازال أمامكما
ساعة على موعد المسرح ، تكفى لتناول العشاء فى مطعم قبل
الذهاب الى المسرح : « أى مطعم تفضلين يا عزيزتى ؟ » ده
سعادتك اللى بنقول ، وبالإنجليزية طبعا ، فليس هناك زوج مصرى
يقول لزوجته « يا عزيزتى .. ترد عزيزتك : « لسأل الـ « سى
فاكس» وتضغط على الأزرار مرة أخرى لتظهر لك على الشاشة
قائمة بأسماء المطاعم وأماكنها وعناوينها ومواعيدها ، ودرجاتها أو
مستوياتها طبعا ، والمطاعم اللى انتهت مواعيدها وشطبّت بدرى
وتلك اللى لازالت فاتحة فى انتظار تشريف سعادتك وسعادتها ..
وأشهر الوجبات اللى يقدمها كل مطعم منها : سمك أو مشويات أو
كباب ، وهكذا ..

وحين تعودان من العشاء فى الخارج ومشاهدة المسرحية ،
وذلك كله يحدث قبل الحادية عشرة مساء .. فإن المسارح ودور
السينما هنا تنهى حفلاتها فى العاشرة والنصف مساء ، حتى
يستطيع المشاهدون العودة إلى بيوتهم فى وقت مناسب ، أولا لكى
يستخدموا وسائل المواصلات العادية فى العودة إلى بيوتهم : المترو
الاندر جراوند ، أو الاوتوبيسات .. وثانيا لكى يناموا بدرى
ويستيقظوا بدرى ليذهبوا إلى أعمالهم ..

المهم أن سعادتك وسعادتها عدتما إلى البيت ، وعدت أنت إلى
مقعدك أمام التلفزيون بعد أن كنت قد نسيت وطار من دماغك
تفاصيل باقى برامج السهرة فى قنوات التلفزيون الإنجليزية
الأربعة ، وأيضا فى محطات الراديو .. لكن هذه ليست مشكلة ..

الـ (سى فاكس) يحل لك كل مشاكلك .. مصباح علاء الدين ..
إضغط على الأزرار ١٧١ لتظهر أمامك تفاصيل برامج السهرة فى
قناة الـ (بى . بى . سى الأولى) ثم اضغط على الأزرار ١٧٢
لتظهر لك تفاصيل باقى برامج السهرة فى قناة الـ (بى . بى . سى
الثانية) ، أو اضغط ١٧٣ لتظهر لك تفاصيل برامج القناة التجارية
(آى . تى . فى) و ١٧٤ لتظهر لك تفاصيل برامج الراديو .. وإذا
كنت تريد أن تختتم سهرتك أمام التليفزيون بمشاهدة فيلم فقط ،
فاضغط على الأزرار ١٧٥ لتظهر لك قائمة بالأفلام التى ستعرضها
كل قنوات التليفزيون المختلفة فى سهرة الليلة .. والأزرار ١٧٨
تجعل برامج قنوات التليفزيون كلها لليوم التالى تظهر لك على
الشاشة أمامك ، بمجرد ضغطة زر ..

●
لم يعجبك شيء من هذا كله ، لكنك تذكرت أن نشرة الأخبار
قد فاتتكم وأنت سهران خارج البيت مع السيدة حرمكم .. لا بأس ..
إضغط على الأزرار رقم ١٠١ ليظهر لك على الشاشة موجز لأهم
الأنباء التى أذيعت فى نشرات الأخبار الأخيرة أو التى ستذاع فى
نشرة الأخبار القادمة .. وأمام كل خبر منها رقم آخر .. لفت نظرك
فى هذا الموجز خبر عن الحرب الدائرة بين العرب والعرب ، وهذه
المسألة تهكم .. اضغط على الأزرار بالرقم الموجود أمام موجز
الخبر لكى تعطيك الشاشة أمامك كل التفاصيل الأخيرة جدا عن
موضوع الحرب بين العرب والعرب .. وهكذا ..

خلصت من أخبار الحرب وتريد أن تعرف أخبار المال

والبورصة والأسهم والسندات وما إلى ذلك ، بينما الشريك المخالف نريد أن نعرف أسعار البضائع المعروضة في المحلات التي أعلنت عن الأوكازيونات في صحف اليوم .. إترك لها الغرفة كلها والتليفزيون الموجود فيها تلعب في أضرار الـ (سى فاكس) وتضغط على الأرقام من ١٦١ إلى ١٦٨ لكي ترى أسعار البضائع وأخبار المحلات كما تريد .. والجأ أنت إلى جهاز التليفزيون الآخر الصغير الموجود في غرفة النوم واضغط على أضرار الـ (سى فاكس) من ١٢٠ إلى ١٣٩ لكي تعرف أسعار البورصة وأخبار المال والاقتصاد وتقارير السوق المالية ..

لكن زوجتك لا تتركك تنعم بوحدة طويلا . فتقرر أن تأتي إليك لتشاهد التليفزيون معك وتناقش مسألة خروجكما في اليوم التالي في نزهة خارج المدينة أو داخل المدينة، وتضغط على أضرار الـ (سى فاكس) لتظهر أمامكما قائمة بالأماكن السياحية الممكن زيارتها في الغد ، وأماكنها وسبل الوصول إليها .. وتترك أنت الغرفة لزوجتك لتفكر على راحتها وتقرر على مهلها .. وتخرج أنت إلى الصالة مرة أخرى لكي تضغط على الرقم ١٦٩ في جهاز الـ (سى فاكس) لكي تظهر لك نشرة الأخبار التي : بدون كلام !! نشرة الأخبار الموجهة إلى ضعاف السمع .. فتظهر أمامك على شاشة التليفزيون المذبة الحساء تتكلم وتقرأ نشرة الأخبار ، بينما الخبر الذي تقرأه « مكتوب » أمامك على شاشة التليفزيون تحت صورة المذبة ..

أما إذا - لا قدر الله - كنت سعادتك أخرسا لا تسمع ، وأيضاً

حرمك الله من نعمة القراءة ، فإنك تضغط على الرقم ١٧٠ فى جهاز الـ (سى فاكس) لكى « ترى » نشرة الأخبار التى يقدمها مذيع أو مذيعة خرساء تستعمل لغة الإشارة فقط ، باليدين وملامح الوجه ، فى توصيل الأخبار إليك !!

●
لكن السيدة زوجتك لا تلبث أن تأتى إليك حيث أنت لأنك وحشتها ولأنها قررت أن تذهب غدا لمشاهدة مباراة فى كرة القدم بين نادى الزمالك ونادى شبرا النملة : « أو أنك تفضل مشاهدة مباراة فى لعبة أخرى يا عزيزى؟ » - دى زوجتك اللى بتقول - وهى تضغط على أزرار الـ (سى فاكس) بين ١٤٠ و ١٥٩ بحثا عن تفاصيل كل المباريات الرياضية فى الغد فى أى مكان فى البلد وفى كل ملاعبها .. وتترك لزوجتك مرة أخرى تليفزيون الصالة لكى تدخل أنت إلى غرفة النوم لترتدى ملابسك بعصبية وأنت تبحث فى أزرار الـ (سى فاكس) عن شىء ما .. وحين تدخل عليك زوجتك مرة أخرى غرفة النوم تجدك وقد ارتديت كل ملابسك وجهزت شنطة هدومك وتشاهد على التليفزيون - بواسطة أزرار الـ (سى فاكس) - مواعيد الطائرات التى تغادر البلاد خلال الساعات القادمة متجهة إلى القطب الشمالى . لأنك قررت أن تترك لزوجتك جهاز التليفزيون وجهاز الـ (سى فاكس) وتترك لها البلد كلها ، وتهج !!

●
ستجد فى انتظارك من خلال جهاز الـ (سى فاكس) أو (الجريدة اللحظية) كما أحب أن أسميه ، ٤٠٠ صفحة تغطى كل ما تفكر فيه وتزيد كثيراً .. ولو قرأت كل صفحة من هذه الصفحات

فى ٣٠ ثانية فقط - نصف دقيقة - فإنك سوف تحتاج إلى ثلاث ساعات ونصف حتى تنتهى من الاطلاع على كل صفحات الـ (سى فاكس) .. وبعد هذه الثلاث ساعات ونصف لوعدت إلى تقليب صفحات الـ (سى فاكس) من جديد فستجد أن أغلب ما فيها قد تغير : الطقس والجو والأخبار وأخبار المال والإقتصاد وأخبار الرياضة وما إلى ذلك ..

● عزيزى الأستاذ رئيس التحرير ..

إذا وصل جهاز الـ (سى فاكس) هذا إلى مصر فسوف يستغنى به الناس عندنا - غالبا - عن قراءة الصحف ويربطون الأحزمة حول أنفسهم على مقاعدهم أمام أجهزة التليفزيون وفى أيديهم أجهزة الـ (سى فاكس) ، ونفقد نحن الصحفيين وظائفنا ، أو - على الأقل - نضطر إلى أن نتوظف عند الـ (سى فاكس) .. لذا أرجو عدم نشر هذا الموضوع !!

منه لله
اللى كان
السبب !



الأسرة الإنجليزية بقدر ما تبدو فى الظاهر أسرة
متماسكة مترابطة سعيدة ، فإنها فى الحقيقة أسرة
هشة جدا وتتبعثر جدا من أقل نسمة هواء ..
« نسمة الهواء » هنا مقصود بها أى شاب وسيم
يمر من تحت نافذة الزوجة مهما كان زوجها وسيما
أيضا ، وأى جونة قصيرة تمر فى طريق الزوج
مهما كانت زوجته ملكة جمال ..



ولعله مائل أمام أعيننا الآن ما حدث بين الأمير « تشارلز » أهم
شاب فى بريطانيا كلها باعتباره ولى للعهد ووريث للعرش وملك
إنجلترا المقبل ، بالإضافة إلى أنه شاب أنيق وظيف وحبوب ومن
أغنى اغنياء إنجلترا .. وبين زوجته الجميلة الرائعة الأميرة
« دايانا » معبودة النساء قبل الرجال فى العالم كله وليس فى إنجلترا
وحدها ، لجمالها ورقتها ووداعتها وخجلها المحبب ، ورشافتها
وشياعتها وأناقتها التى تحسدها عليها عارضات الأزياء ونجمات
السينما .. ف « تشارلز » وعنده هذه الزوجة الرائعة لم يتورع عن
أن يرتبط بعلاقة عاطفية مع امرأة أقل جمالا من زوجته ١٠
مرات ، وأكبر سنا من زوجته ومنه هو شخصيا .. لكنها الطفاسة

والدناوة وفراغة العين الرجالي التى لا يملؤها إلا التراب ،
والحسناوات ..

والرقيقة الوديعه الخجول « دايانا » نفسها أيضاً لم تكن ملاكاً
بأربعة أجنحة و٦ سلندر .. فقد ارتبطت على امتداد سنوات زواجها
بأكثر من علاقة مع رجال آخرين تناولتها الصحف الإنجليزية فى
حينها .. حتى انفجرت من نحو عامين فضيحة المكالمة التليفونية
التى سجلت بينها وبين شاب آخر ، أصغر منها سناً أيضاً ، لكى
ترد [المجاملة] إلى زوجها « تشارلز » .. لكن فضيحة مكالمة
« دايانا » التليفونية مع حبيبها [فطست] على الفور ، لأن كل
النساء الإنجليزيات قد تعاطفن مع « دايانا » وأيدنها باعتبار إن :
« وإيه يعنى .. ما هو كل الستات والزوجات بيعملوا كده » !! ..
وحمرت النساء الإنجليزيات عيونهن الزرقاء والخضراء للصحافة
الإنجليزية ، فتوقفت الصحف على الفور عن الحديث فى موضوع
« دايانا » وحبيبها ومكالمتها التليفونية ، خشية من أن تفقد هذه
الصحف قارئاتها المتعاطفات مع « دايانا » ، وهن بالملايين ..

كل هذه المقدمة الطويلة ليس لأننى ضد الجميلة « دايانا » ..
بالعكس فأنا واحد من ملايين المعجبين بها ، خصوصاً أنها قبل أن
تتزوج من الأمير « تشارلز » كانت جارتى فى حى [پيملىكو]
الذى كنت أسكن فيه فى لندن ، لكن الأمير « تشارلز » [هو الذى
شافها الأول] فكانت من نصيبه ، والحمد لله الذى لا يحمد على
مكروهه سواه .. كما أننى لست أنوى أن أكتب عن « دايانا »
ومشاكلها مع زوجها ، لكن الشئ بالشئ يذكر .. والشئ هنا هو

حكاية صديقى الإنجليزى «توم پاركن» وزوجته الجميلة جدا ،
اللعبية جدا ، الذكية جدا .. بينما «توم» نفسه - الشهادة لله -
محدود الذكاء جدا وأقرب إلى الخيابة ، لكن شاطر جدا فى مسألة
«التليفونات» بينما زوجته الجميلة جدا اللعبية جدا الذكية جدا اللى تلعب
بالبيضة والحجر ، وتودى «توم» بحر المانش وبحر الشمال
وترجعه عطشان ، فإن ذكاءها محصور فى كيف تتلاعب بزوجها
«توم» وتسجل فيه أهدافاً ، لكن [خبرتها التليفونية] صفر ،
ولا تتعدى أنها تعتبر التليفون مجرد وسيلة إتصال بينها وبين
عشاقها ، وهم كثيرون .. فى الوقت الذى كانت هى فيه ، كزوجة
خائنة ، تمارس الخيانة من باب [إزجاء وقت الفراغ] وتنشيطا
للعلاقات الإجتماعية بين الشباب البريطانى والشابات
البريطانيات .. وكامرأة ذكية ، فهى لم تكن تعطى رقم تليفون بيتها
لأى حد من عشاقها حتى لا يتصل بها واحد منهم خلال وجود
زوجها فى البيت ، لكنها كانت هى التى تتصل بى - متأسف ، هذه
غلطة مطبعية ، وصحتها «بهم» !! - فى الوقت الذى يخلو عليها
البيت ويكون زوجها «توم پاركن» فى عمله .. فهو إذا دخل مكتبه
فلا يخرج منه ولا ثانية واحدة بحكم وظيفته كمسئول الأمن فى
إحدى المؤسسات الإنجليزية الكبيرة ، كما أنها كانت تتصل به
تليفونيا فى مكتبه مرة كل ساعة لكى تطمئن عليه ، بحجة أنه
واحشها !!



لكن «توم» كان يشك فى زوجته حتى من قبل زواجهما ..

يمكن لأنه كان يعرف أنها قد تزوجته بطريقة [حادى بادی] وليس
عن حب حقيقى .. تزوجته لأنها كان لازم تتزوج باعتبار أن [ظل
راجل ولا ظل حيلة] فتزوجت أنسب واحد متاح من عشاقها
الكثيرين ، الذين كان معظمهم أصلا متزوجين فعلا فلا يستطيعون
الزواج مرة أخرى.. ورغم شكوك « توم » فى زوجته الجميلة فإنه
لم يستطع أبدا أن يمسك عليها دليلا واحدا على أنها بتلعب بدليها
من وراء .. وكان « توم » واجع رأسى دائما بشكوكه فى زوجته ..
فقد كان ذلك ، تقريبا ، هو الحديث الوحيد بيننا الذى لا يمل من
تكراره ، بالإضافة إلى هوايتنا المشتركة : التليفونات .. فكلما سمع
واحد منا أو عرف باختراع تليفونى جديد أو تطور جديد فى مسائل
التليفونات ، توارت مؤقتا حكايات « زوجة توم » حتى ننهى من
مناقشة الاختراع التليفونى الجديد ، ثم يعود إلى حديثه المعتاد عن
زوجته وشكوكه فى زوجته .

وذات يوم عاد صديقى « توم » إلى بيته وهو يحمل تليفونا
جديداً ، قال لزوجته عنه أنه [تليفون لاسلكى] سماعته ليست
متصلة بقاعدة التليفون بسلوك ، وأنها ، لذلك ، تستطيع أن تأخذ
السماعة فقط فى يدها وتحرك بها فى البيت كله ، وفى حديقة البيت
أيضاً ، لكى تكون على راحتها تماما دون سلك طويل تجرجه
وراءها فى كل مكان ، ودون حاجة إلى أن تستخدم حتى
[برايز التليفون] الموجودة أصلا ..

لكن الذى لم يقله « توم » پاركن « لزوجته الجميلة اللعبية هو أن
هذا التليفون اللاسلكى مداه ٢٠ ميلا - حوالى ٣٥ كيلومترا -

وليس فى حدود البيت فقط .. ولم يقل لها أيضاً أن هذا التليفون له سماعة أخرى تركها « توم » فى مكتبه .. وأن هذه السماعة يستطيع من خلالها أن يستمع إلى كل مكالمة تجريها أو تستقبلها زوجته الجميلة دون أن تعرف هى أن زوجها معها على الخط يستمع إلى كل مكالماتها !!

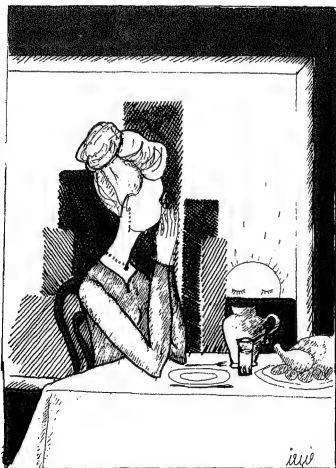
وبعد أسبوع واحد أسمعنى « توم » شريطاً مسجلاً عليه مكالمات زوجته الجميلة النشيطة التى قابلت خمسة من عشاقها فى أسبوع واحد !!

وظللت أكثر من ساعة أهدىء فى « توم » وأحذرهُ من ارتكاب حماقة تهدم مستقبله ، وأن القتل وإزهاق الأرواح هو حرام فى كل الأديان ، و« سرحوهن بإحسان » و« يابخت من قدر وعفى » و« العفو من شيم الكرام » و« الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » و« إرمى لها ورقتها وسيبها وانت تأخذ ست ستها » وأن لمثل هذه الأسباب قد حلل الله الطلاق .. لكن كان واضحاً أننى أنفخ فى قربة مقطوعة وأن الدم قد غلى - أخيراً - فى عروق « توم » وسوف يرتكب حماقة توديه فى ستين داهية ، وأننى لن أراه بعد ذلك إلا فى قاعة المحكمة ثم جالسا على الكرسي الكهربائى ، وأحرم من الاطلاع على آخر الابتكارات والاختراعات فى عالم التليفونات ..



وفى اليوم التالى عاد « توم » إلى مكتبه مطرقاً ساكناً مكبوساً ، وهو يتأبط صندوقاً صغيراً به التليفون اللاسلكى .. فقد طردته زوجته الجميلة من البيت هو والتليفون بتاعه !!

وحكاية بنت
إيطالية
اسمها «عليه»!



هذه المرة الحكاية من إيطاليا وبطلتها إيطالية :
الشابة الإيطالية الحسنة « روزاليا جاتى » كانت
تعمل سكرتيرة للخبير البحرى المصرى « حسن
عزت » فى مكتبه فى ميلانو بإيطاليا .. وكالعادة ،
حدث الحب بين المدير والسكرتيرة ، وتزوجا ...



لكن لأن « روزاليا » من أسرة إيطالية محافظة من جنوب
إيطاليا حيث التقاليد هناك تشبه تقاليد صعيد مصر إلى حد كبير ،
فإن « روزاليا » لم تشأ أن تضاعف من صدمة أسرتها بزواجها من
أجنبى مسلم ، لذا فقد ظلت على دينها الأسمى دون أن تكون فكرة
تغييره مسألة واردة على الإطلاق .. تغيير دينها وليس تغيير
زوجها طبعا .

ولأنها أيضاً ظلت تحتفظ بوظيفتها كسكرتيرة لزوجها فإنها
بدأت تسافر معه إلى كل مكان بحكم أعماله المتنوعة التى تتطلب
كثرة تنقله ، حتى أنها بدأت تدير بنفسها بعض مشروعاته ، فقصت
٤ سنوات فى الخرطوم بالسودان ، ومثلها فى جدة ومكة
بالسعودية ، وتنقلت بين مصر ولبنان واليمن . واختلطت بالكثيرين

من جنسيات عربية مختلفة من عملاء زوجها وأصدقائه المسلمين ، حتى أتقنت اللغة العربية تماما .. وأرادت أن تزداد فهما لديانة المجتمع الجديد الذى أصبحت جزءا منه ، فقرأت القرآن كاملا باللغة الإيطالية ، واستوعبته وفهمته واقتنعت به ، حتى أنها عندما أشهرت إسلامها بعد ١١ سنة من الزواج ، كان الأمر مفاجأة لكل المحيطين بها .. ومن وقتها - ١٠ سنوات الآن - وهى تصوم شهر رمضان كاملا وتحفل به تماما ، وتؤدى الزكاة كاملة فى أى بلد تكون فيه عندما يحل موعد أداء الزكاة ، وتصلى الصلوات الخمس يوميا دون أن تترك فرضا واحدا ، وتقرأ آيات القرآن أثناء الصلاة باللغة العربية وتعرف معانى الآيات التى تقرأها كلمة كلمة وليس مجرد حفظ الآية ككل .. وإن كانت حتى الآن لا تستطيع أن تكتب أو تقرأ اللغة العربية لأنها تعلمتها (سماعى) من كلام زوجها وأصدقائها وصديقاتها العربيات ، فلم يكن لديها الوقت الكافى للإلتحاق بدراسة منتظمة تتعلم فيها اللغة العربية بحكم عدم استقرارها فى مكان واحد لفترة كافية .. لكثرة سفرها لمتابعة أعمال زوجها الموزعة بين إيطاليا وإنجلترا وسويسرا ومصر ومسقط ودبي ، حتى أن لها بيتين واحد منهما فى إيطاليا والثانى فى سويسرا ، ومع ذلك لا تقضى فى أى منهما أكثر من شهرين متفرقين على امتداد السنة كلها ، وبقية الوقت تقضيه فى الفنادق .. وذلك معناه أنها تعيش فى الفنادق ضعف الوقت الذى تعيشه فى بيتها معا !!

وأنا أريد بإبراز ذلك أن أرد على الذين يقولون أنه لا يقبل على دخول الإسلام من الأجانب إلا الفقراء منهم .. فهذه روزاليا

جأتى ، ، التى هى الآن « عليه عزت » ، لم تشهر إسلامها إلا بعد ١١ سنة من زواجها ، ورغم أنها لم تكن لها حاجة إلى ذلك ، ورغم أنها تعيش حياة مترفة كسيدة أعمال وكزوجة لرجل أعمال مليونير .. بل وأضيف إلى الصورة بعداً آخر ، فإن أخت « روزاليا » الأصغر منها بـ ١٣ سنة التى شهدت إسلام أختها وكانت معترضة عليه ، حين سافتها الظروف هى وزوجها الإيطالى مثلها ، إلى العمل لمدة سنتين فى مصر ، هو فى شركة إيطالية كبيرة وهى مدرسة لغة إيطالية فى إحدى مدارس اللغات ، قررت - بعد عودتها إلى إيطاليا - أن تشهر إسلامها ، لولا أن زوجها أراد أن يبقى على دينه ، فوجدت أختها أنها لو أشهرت إسلامها فسوف تكون مضطرة إلى تشتيت أسرتها وأولادها ، لأن الإسلام لا يبيح استمرار زواج المسلمة من زوج له ديانة أخرى .. فاكثفت بأن تكون مسلمة بقلبها ونيتها ، إلى أن يشاء الله ..

الذهاب
إلى الجنة
عن طريق
« ليقربول » !



مدينة [ليفرپول] الإنجليزية من أقرب مدن إنجلترا إلى قلبي ، ولى فيها أصدقاء كثيرون ، لذا فأنا دائم التردد عليها وأقضى فيها معظم أجازاتي القصيرة وعطلات نهاية الأسبوع .. فى أجازة عيد الأضحى الماضى كنا شلة من الأصدقاء فى ضيافة صديقنا الطبيب السورى الأصل الدكتور « حسن المعصرانى » ، أنا والملحقتين الثقافتين فى السفارة المصرية فى لندن : « آية كامل » و « سحر رشدان » ..



ولأن « آية » و « سحر » كانت هذه هى زيارتهما الأولى لمدينة ليفرپول فقد أخذنا « حسن المعصرانى » فى جولة لمشاهدة زيارة أهم معالم المدينة ، ومن بينها [كاتدرائية ليفرپول] الشهيرة ..

على باب الكاتدرائية وقبل أن ندخل ، إستوقفنى - أنا وحدى بالذات دوناً عن المجموعة كلها - سيدة إنجليزية عجوز مهووسة دينياً كانت تقف أمام باب الكاتدرائية وهى ترفع لافتة مكتوب عليها [لا قس إلا المسيح No Priest But Jesus] .. وتوسمت الست

الإنجليزية العجوز من شكلي أنني لست مؤمناً جيداً فاستوقفتني لكي تسألني بجدّة : « هل ستذهب إلى الجنة ؟! » فتوقفت أمامها على الفور وقد أعجبنى جداً السؤال ، وأجبته : « لا ، أنا ذاهب فقط لأزور الكاتدرائية » فقلت بجدّة أكثر : « أجب عليّ سؤالى : هل ستذهب إلى الجنة ؟! » قلت : « ليس إليّ أى مال ، فإن لدى ارتباطات أخرى حتى نهاية الأسبوع » قلت وقد بدأ صوتها يرتفع وكأنها تصرخ قى : « هل ستذهب إلى الجنة أم لا ... ؟! » قلت لها وداخلى يموج طرباً من شغف الجنة ، الذى يدور بيننا : « أمى سوف تذهب إلى الجنة ، أمّن أنا ؟! » فقالت السيدة الإنجليزية العجوز مندهشة وقد فوجئت بجم أبى الذى لم يكن هو ما توقّعتة : « ولماذا أنت لا ؟! » قلت لها : « لأننى مشغول جداً ومش فاضى .. كما أننى لست مستعجلاً فى الوقت الحالى للذهاب إلى الجنة أو إلى النار .. فأنا لازلت شاباً كما ترين ولم أشبع من الدنيا بعد حتى أبدأ أفكر فى الآخرة .. ونوتة تليفونائى مليئة بأسماء بنات حسناوات ينتظرن دورهن ولا أريد أن أتركهن وحدهن وأتخلى عنهن الآن بعد أن تعلقن بى و » .

فصاحت بى السيدة غاضبة : « إخرس واسنمع إلىّ » وبدأت السيدة العجوز تعدد لى نصائحها ووصاياها التى لو نفذتها أدخل الجنة مع أمى فى نفس اليوم وأنا متأبط ذراعها ، لأن الجنة كبيرة جداً وواسعة ولو دخلت أنا بعد أمى فقد نتوه من بعض فى الزحمة ولا نجد بعض بعد ذلك أبداً ، و : « سوف نحزن أمك كثيراً .. ألبس كذلك ؟! » . وأكدت على الست الإنجليزية الطيبة أنه لازم ولا بد وضرورى جداً أن أكون مسيحياً طيباً لكي أدخل الجنة مع أمى .. فقلت لها :

« المشكلة الوحيدة ، الصغيرة ، الآن ، هي أنني لست مسيحياً ..
فكاد أن يغمى على الست العجوز الطيبة التي تحمل مفاتيح الجنة
من هول مأساتي وكوني لست مسيحياً .. وراحت تؤكد على بشدة
وبإصرار وهي تمسك يداي بكلتا يديها ، أن أدخل الكاتدرائية الآن
فوراً لأشهر مسيحيتي وأعلن إيماني بالمسيح ..

فقلت لها وأنا شديد الإستمع جداً بالمناقشة وبالحوار بيننا :
« لكن الله واحد وكلنا أبناءه ، وقد وعدنا بالجنة نحن أيضاً » فقالت
بعصبية جداً : « لكن لازم تؤمن بالمسيح » قلت : « نحن المسلمين
نعبد الله ونؤمن بالمسيح وبموسى وبكل الأنبياء ، ونذكرهم في
صلواتنا » قالت : « أبدا .. أنتم تعبدون محمداً وتكثرون المسيح » .

قلت لها ! : « من قال لك هذا الكلام ؟ إننا نؤمن بالمسيح .. وفي
القرآن - بتاعنا - سورة كاملة لإسمها [سورة مريم] تروى قصة
المسيح وكيف أنه كان نبياً عظيماً كموسى ومحمد .. لكن أتباعه ،
وأتباع موسى ، وأتباع محمد ، هم الذين حادوا عن رسائل أنبيائهم
وانحرفوا وبقوا عايزين قطع رقبتهم وشكلهم كده ، كلهم على
بعض ، مش ناويين يدخلوا الجنة .. هل سمعت عن القس راعي
الكنيسة الذي ظل طوال ٢٥ سنة يعتدى على الأطفال المسيحيين
.. رعايا كنيسته ويمارس معهم الشذوذ الجنسي حتى قبض عليه
أخيراً من نحو عامين وحكم عليه بالسجن لمدة ٧ سنوات !؟ هل
معت أن هناك ٤٠٠ قسيس في خلال الـ ١٠ سنوات الأخيرة فقط
د طردوا من الكنيسة في أمريكا وحدها ، وحوكموا وحكم عليهم
.. معهم في السجون الآن !؟ وفي اليهودية مثل ذلك أيضاً بصور
.. وفي الإسلام مثل ذلك بصورة مختلفة .. فلماذا تطالبين مني

أن أترك الإسلام وأكون مسيحياً؟! هل المسيحيون الآن كلهم ملائكة طيبين أبرار بـ ٤ أجنحة و ٦ سلندر حتى تريد أن تزيدنيهم واحداً؟! ..

فقلت الست الإنجليزية العجوز وقد كنت أنها لن تصل معي إلى شيء ولن تحقق بى هدفاً ، قالت ر برجاء وتوسل : « أرجوك ، كن مسيحياً ، من أجلي أنا » وكأنها سوف تأخذ على عمولة مثلاً ..

قلت لها : « أعذك بأننى سوف أفكر فى الأمر » قالت : « ما اسمك ؟ لكى أذكرك فى صلواتى » قلت لها : « إسمي حسين .. ولو أننى أتصور أن الله يعرفنى كما يعرفك وليس محتاجاً إلى واسطة منك لكى يتذكرنى .. لكننى أعذك بأننى حين نلتقى فى الجنة بعد عمر طويل ، سوف أتى إليك لغاية عندك لكى أحتضنك وأقبل يدك وأقدمك إلى أمى لكى تصبحا صديقتين وتقضيان وقتكما معا فى الجنة .. فقد كانت أمى سيدة طيبة وغير متعصبة ، وكان عدد كبير من صديقاتها مسيحيات ولم تحاول أبداً أن تجر رجل واحدة منهن إلى الإسلام .. وأظن أنه فى الجنة سوف تكون هذه المشكلة قد انتهت ولن يكون هناك فرق بين يهودى أو مسيحى أو مسلم ، بل سنكون كلنا فى الجنة نعبد إلهاً واحداً هو صاحب هذه الجنة » ..

وودعت السيدة الإنجليزية العجوز المسيحية الطيبة بعد أن قبلت يدها لأنها كانت فى مثل عمر أمى لو كانت أمى قد عاشت

حتى الآن ، الله يرحمها ويرحمهما معا .. لكن بعد أن ابتعدت عنها
قليلا عادت فنادتني : « حسين .. لم تقل لي ماذا تعمل ؟! » قلت
لها على البعد : « صحفي » فأتسعت عينا الست من الدهشة
وقالت باشمئذ : « صحفي ؟! لماذا لم تقل لي ذلك منذ
البداية ؟! عمرك ما حاتوا يد على جنة حتى لو تشفع لك كل
الأنبياء » !!!!

فى البدء
كانت حواء
ثم جاء
ال «سوير ماركت»!



حين دقت « كاشي » جارتى الحساء فى الشقة
المجاورة لى ، جرس باب شقتى فى الصباح الباكر
لم يدهشنى ذلك ، فهى كثيراً ما تدعو نفسها إلى
قهوة الصباح معى - عندى أو عندها - منذ أصبحنا
جيرانا فى هذه العمارة منذ أكثر من ١٠ سنوات ..



لكن الذى أدهشنى اليوم هو سؤالها الغريب : « حسين .. هل
ستذهب لشراء لوازمك من السوبر ماركت اليوم كعادتك كل يوم
ثلاثاء ؟! . فقلت لها : « نعم » وأنا متصور أنها تريد أن نذهب
معاً كما نفعل كثيراً .. فـ « كاشي » هى أقرب جيران العمارة إلى
« جغرافيا » ، وإلى قلبى أيضاً ، وحواديتها معى كثيرة سوف أحكى
لكم بعضها منها كلما جاءت مناسبة .. لكن الذى أدهشنى اليوم بالذات
هو إنفعالها وحماسها ..

قالت لى : « جهز إذن كشفا بلوازمك لكى نذهب كلنا معا فى
الساعة الحادية عشرة » .. قلت مندهشاً : « من هم (كلنا) الذين

تتحدثين عنهم ؟! » فعددت لى أسماء ٨ آخرين من الجيران والجارات .. قلت وأنا أزداد إندهاشا : « ولماذا هذه المظاهرة الشرائعية ؟ ولماذا (ساعة الصفر) هذه فى الحادية عشرة ؟ هل تنوون أن تهاجموا السوبر ماركت وتحتلونه أو تخطفونه ؟ هل آخذ معى علماً أو راية أو قناعاً أو مسدساً ؟! » .

قالت بهدوء : « كف عن هذا الظرف السخيف وجهز نفسك لنذهب معنا .. أو إذا كنت لا تريد الذهاب معنا فى هذه المظاهرة كما تسميها فاعطنى قائمة مشترياتك والنقود وسأشترى أنا لك لوازمك وأحضرها لك معى لغاية باب مطبخك » .

قلت لها مخضوضا وقد بدأت أقلق عليها : « كاشى » هل أنت بخير ؟ أنت صديقتى من زمان صحيح لكن ليس عهدى بك أبدا أنك بهذه الشهامة .. فإيه الحكاية بالضبط ؟! » ..

ونظرت « كاشى » فى ساعتها وقالت : « لازال لدى وقت كاف لتفهم الأجانب أمثالك ما نحاول أن نفعله » .. ودخلت إلى مطبخى وأعددت قدين من القهوة لى ولها .. وجلست لتشرح لى



الحدوتة .
- السوبر ماركت القريب من عمارتنا اسمه (TESCO) -
(وهو بالمناسبة أكبر سوبر ماركت فى إنجلترا كلها ومساحته تعادل مساحة ميدان التحرير فى القاهرة من مبنى المجمع لغاية دار الآثار المصرية ، ومقسم من الداخل إلى شوارع تحمل أرقاما ، ويبيع يوميا ما حصيلته مليون جنيه إسترلينى بالتمام والكمال .. وهو واحد من ٤٦٠٠ سوبر ماركت تحمل نفس الاسم وتملكها نفس

الشركة منتشرة فى انحاء إنجلترا كلها وبعض دول أوروبا ..
جدوة لوحده هذا السوبر ماركت سوف أحكيها لكم فى مرة أخرى
فأدومة) - هذا السوبر ماركت الضخم مساهمة منه فى تنمية البيئة
التي هو جزء منها وتشتري منه بمليون جنيه يوميا ، قد أعلن هذا
الأسبوع أن كل زبون يشتري منه بمبلغ ٢٥ جنيها سوف يعطيه
(بون) واحد ، وإذا اشترى بـ ٥٠ جنيها فهو يحصل على ٢
بون ، وبـ ٧٥ جنيها يحصل على ٣ بونات ، وهكذا .. فإذا جمع
الزبون عددا معينا من هذه البونات فهو يقدمها إلى مدير السوبر
ماركت لكي يحصل على جهاز كومبيوتر مجانا هدية .. هذا
الكومبيوتر ليس هدية للزبون شخصا يأخذه معه إلى بيته ، لكنه
هدية لأى مدرسة من مدارس الحى يحددها الزبون .. فيقوم السوبر
ماركت بإرسال الكومبيوتر إلى المدرسة فى اليوم التالى مباشرة
ومعه المهندس الذى يقوم بتركيبه . وأخصائى الكومبيوتر الذى
يتولى تدريب المدرسين الذين سيعلمون التلاميذ كيفية إستخدامه
والتعامل مع هذا الكومبيوتر .. هل فهمت الآن يا مستر قدرى لماذا
أريدك أن تذهب معنا إلى السوبر ماركت اليوم ؟ ..



قلت لها : « لن أكون مفيدا لك يا كائى فى هذه المسألة .. فأنا
رجل عزبنجى وأعيش وحدى وأخيب بنى آدم فى الدنيا فى شئون
الطبخ والمطبخ ، وأعيش على البيض المسلوق والأومليت
والمعلبات والاييس كريم والشكولاته ، ولا أدخن ولا أشرب
المنكر .. لذا فإن قائمة مشترياتى الأسبوعية لا تزيد عن ١٢ أو

١٥ جنيها كل أسبوع .. وإذا دعوت الملكة إليزابيث شخصيا للعشاء عندى فلن تزيد قائمة مشترياتى عن ٢٠ جنيها .. لذا فماتعمليش حسابى فى الكمبيوتر الذى تطمعين فيه لمدرسة أطفالك .. ثم أنك ليس لديك أطفال أصلا ، فلماذا يهملك هذا الموضوع ؟! » ..

قالت « كاثى » وهى تتنهد بعمق وبصبر وطول بال : « كنت أعرف أنني سوف أجد صعوبة فى تفهيم المغتربين أمثالك خطتنا نحن ستات العمارة ، لأنك رجل وحدانى ومستقيم ، من البيت إلى السوبر ماركت ومن السوبر ماركت إلى البيت ، ولا تعرف كيف نستطيع نحن النساء الإنجليزيات أن نلاعب السوبر ماركت بنفس طريقته .. الآن ، حاول أن تفهمنى يا مستر قدرى : السوبر ماركت حين أعلن عن هذه (المنحة) كان يعرف مقدما أن معظم زبائنه كحيانين زى حالاتك وقائمة مشترياتهم الأسبوعية لا تصل إلى ٢٥ جنيها .. وحتى إذا وصلت إلى ٢٥ جنيها كل أسبوع فهو - الزبون - سيحصل على (بون) واحد مقابلها ، وبالتالي فبعد ١٠ أسابيع - حين تنتهى فترة هذه المنحة - سيكون قد جمع ١٠ بونات فقط ، وهى لا تكفى للحصول على الكمبيوتر المطلوب .. وذلك معناه أن السوبر ماركت فى نهاية المدة لن يكون قد أعطى لكل زبائنه أكثر من ١٥ أو ٢٠ جهازاً فقط ، وهذا شيء تافه جداً بالنسبة للأرباح الفلكية التى يحصل عليها من منطقتنا وحدها .. هل فهمت هذه النقطة يا مستر قدرى لكى أنتقل إلى النقطة التى بعدها ؟! » .. قلت : « فهمت يامسر تاور .. أكملى يا كاثى » ..

قالت : « النقطة الثانية : كيف نستفيد نحن الزوجات

الإنجليزيات من هذه (المنحة) أو (الهدية) من السوبر ماركت بشكل عاجل وسريع قبل أن تنتهى مدتها ؟! حسبنا عدد المدارس فى منطقتنا فوجدناها ١٢ مدرسة ، كل مدرسة تحتاج إلى عشرة أجهزة كومبيوتر ، يعنى المطلوب ١٢٠ كومبيوتر .. فماذا نفعل يا مستر قدرى ؟! ..

قلت : « مش عارف يا مسز تاور .. أكملى » ..

قالت : « إجتمعنا فى نادى السكان المجاور لعمارتنا ، كل الزوجات والبنات والرجال الذين يتعاملون مع السوبر ماركت .. وتناقشنا وفكرنا ثم وضعنا هذه الخطة .. ولأن حضرتك مشغول دائما بالكتابة باللغة الهيروغليفية التى تكتب بها ، ولا تحضر اجتماعاتنا و (مالكشى ست) تشترك معنا نيابة عنك فى هذه الاجتماعات ، فقد أعطيت أنا صوتى نيابة عنك بأنك موافق على خطتنا وستشارك فيها » !!

قلت محدداً : « أنا لا أشارك فى أية تنظيمات إرهابية من هذا النوع يا كاثى - أكملى » ..

قالت : قررنا نحن الموقعين أدناه ٢١٠ من سكان وساكنات عمارتنا والعمارة المجاورة وال ٥٠ فيلا المحيطة بنا ، أن نقسم أنفسنا إلى ٢١ مجموعة كل مجموعة تتكون من ١٠ من السكان ، يشتركون كل لوازمهم الأسبوعية معا فى يوم واحد وفى فاتورة واحدة .. فلو فرضنا أن متوسط ما ينفقه كل واحد منهم هو ١٥ جنيها فقط زى حضرتك - والبعض ينفق أكثر كثيرا من ذلك -

فسنكون الحصيد حوالى ٣٥٠٠ جنيه فى (المظاهرة الشرائية)
الواحدة كما تسميها أنت .. هذه الـ ٣٥٠٠ جنيهها = ١٤٠ بونا ..
وبتعدد المظاهرات الشرائية يتضاعف عدد البونات التى نحصل
عليها .. وفى خلال أقل من ١٠ أسابيع سنكون كل مدرسة فى
المنطقة قد حصلت على كل أجهزة الكمبيوتر التى تحتاجها .. هل
فهمت يا مستر قدرى والا لسه تحتاج إلى شرح آخر ؟! » .



قلت وأنا أقوم لأرتدى ملابسى : « سأذهب معكم ، فلن
تفوتنى أبداً هذه المظاهرة الشرائية .. ولو كنت وزيرة
الاقتصاد فى مصر يا كاثى لسددت مصر كل ديونها فى أسبوع
واحد » !!

والعاقبة
عندكم في
الأوتوبيسات!



شئ ظريف جداً رأيته اليوم لأول مرة فى لندن بعد
١٧ سنة لى فيها ، واندھشت له جداً جداً ..



فقد كنت دائماً عندما أرى شخصاً ما يجلس على
كرسى متحرك فأبنى كنت أعتقد أنه يتحرك بهذا
الكرسى فى دائرة ضيقة جداً لا تزيد عن المسافة
بين بيته وبين الحديقة العامة القريبة مثلاً ، محل
بيع الصحف فى المنطقة ، الـ (Pub) أو (البار)
القريب من بيته .. يعنى ١٠٠ - ١٥٠ متراً مثلاً ..

وإذا احتاج أن يذهب إلى مشوار ما بعيد فإن هذا الكرسي
المتحرك يصبح وكأنه سيارة صغيرة أو [عجلة بثلاث عجلات] ،
فهو يظل يدير العجلات بيديه حتى يصل إلى المكان الذى يريده
مهما كان بعيداً .. ولعل هذه الانطباعة قد تكونت عندى من مشاهدة
بعض المعوقين الذين يتحركون على كرسي متحرك يشتركون فى
سباق الماراثون السنوى فى لندن ويجرون بكراسيهم المتحركة هذه
..مسافة ٢٦ ميلاً من نقطة بداية الماراثون قرب قرية [جرينتش]
الشهيرة وحتى نقطة النهاية عند كوبرى ويستمنستر ومبنى البرلمان
الإنجليزى ..

لكن الذى رأيتـه اليوم كان شيئاً مختلفاً تماماً :

وأنا فى طريقى إلى مكتب البريد فى الصباح ، مررت على محطة الأوتوبيس فى [جامايكا رود] فرأيت من بين المنتظرين على المحطة رجلاً متوسط العمر يجلس على كرسي متحرك .. فخطر على ذهنى أنه ينتظر أحداً ما قادماً فى الأوتوبيس مثلاً ، أو أنه واقف يتكلم مع واحد آخر ينتظر الأوتوبيس ، وحين يجيء الأوتوبيس سيركبه هذا الواحد الآخر فينصرف صاحبنا على كرسيه المتحرك إلى أى مكان ..

وحين خرجت من مكتب البريد كان الأوتوبيس قد وصل وتوقف على المحطة ، فشهدت بقية المشهد : صاحبنا المقعد الذى يجلس على كرسي متحرك سوف يركب الأوتوبيس ، فكيف سيركبه ؟! .. تصورت أن ٤ من ركاب الأوتوبيس الرجال الأشداء - أو حتى من المارة - سوف يتطوعون لحمله بكرسيه المتحرك ليصعدوا به إلى الأوتوبيس.. لكن ما العمل فى العامود المعدنى الذى يعترض باب الأوتوبيس بالطول ويقسمه إلى نصفين ، كل نصف منهما لا يسمح بمرور الكرسي المتحرك !! .

لكن الذى رأيتـه كان المنظر التالى :

- فتح سائق الأوتوبيس الباب الأوسط فنزل منه الركاب الذين كانوا سوف ينزلون فى هذه المحطة .
- لم يفتح السائق الباب الأمامى لكى يركب الركاب المنتظرون

على المحطة ، فظلوا واقفين فى أدب شديد لأنهم كلهم كانوا يعرفون ما سيحدث ، ما عداى أنا الذى لم أكن أعرف ..

• ترك السائق مقعده فى مقدمة الأوتوبيس وجاء إلى الباب الأوسط العريض الذى ينزل منه الركاب ، وبحركة سريعة مد يده ونزع العامود المعدنى من مكانه وركنه جانباً .. فأصبح الباب العريض يتسع لدخول الكرسى المتحرك إلى داخل الأوتوبيس ..

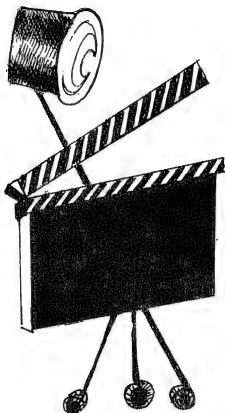
• ضغط السائق على زر فى أعلى الباب فانفردت درجتى السلم لتصبح درجة واحدة مسطحة كبيرة ، نزلت أوتوماتيكياً إلى مستوى الرصيف حيث يقف الكرسى المتحرك ..

• نزل البائق إلى الرصيف لكى يدفع بنفسه الكرسى المتحرك ليضعه على هذه « البسطة » الحديدية التى هى فى الأصل درجتى السلم .. ثم صعد هو أيضاً على هذه « البسطة » ليقف بجسمه خلف الكرسى المتحرك لكى يمنعه من التراجع والعودة إلى الرصيف مرة أخرى .. ورفع يده وضغط زراً آخر فى أعلى الباب ، فصعدت « البسطة » أوتوماتيكياً ببطء لكى تصل إلى مستوى الأوتوبيس من الداخل ويصبح الكرسى المتحرك فى مستوى الأوتوبيس ، فيدفعه السائق إلى داخل الأوتوبيس إلى مكان معين فيه بحيث يمسك المعوق الجالس على الكرسى المتحرك بيده فى ماسورة معدنية وبحيث لا يعترض طريق بقية الركاب داخل الأوتوبيس .. وأصبح المعوق وكرسيه المتحرك داخل الأوتوبيس الآن فعلاً ..

- عاد السائق فضغط على زر فى أعلى الأوتوبيس ، فعادت « البسطة » المعدنية إلى شكلها الأصلي كدرجتي السلم كما كانتا من قبل .. ثم تناول العامود المعدنى وأعاد تثبيته فى مكانه .. ولم تستغرق العملية كلها من أولها لآخرها أكثر من دقيقة واحدة ..
- عاد السائق إلى مقعده فى مقدمة الأوتوبيس ، وضغط على زر ليفتح باب الصعود القريب من السائق لكى يصعد بقية الركاب الذين كانوا يقفون فى الطابور بصبر وأدب ، ويصعد كل منهم ويدفع ثمن تذكرته أمام السائق ، ويدخل الأوتوبيس ..
- تركت مشوارى الذى كنت ذاهبا إليه ، وركبت الأوتوبيس لكى أرى كيف سينزل صاحبنا المعوق على كرسيه المتحرك فى المحطة التى هو ذاهب إليها ..
- قبل محطة [لويشام] ، بعد نحو ١٠ محطات ، دق الراكب المعوق الجرس داخل الأوتوبيس لكى يعلن للسائق أنه سينزل فى المحطة القادمة ..
- فى المحطة وقف الأوتوبيس ، وكرر السائق ما فعله سابقا ، كرره بالعكس .. حتى أوصل بنفسه الراكب المعوق وكرسيه المتحرك إلى الرصيف بأمان ، وتمنى له يوما سعيداً ، ثم عاد إلى الأوتوبيس ليفتح الباب الأمامى للركاب الذين سيصعدون من هذه المحطة ..
- لم يدفع الراكب صاحب الكرسي المتحرك ثمن التذكرة ، لأن المعوقين يركبون كل وسائل المواصلات فى لندن مجاناً ..

- هتفت فى داخلى للإنسانية وللدولة ولمرافقها حين تكون فى خدمة الإنسان المواطن ، معوقا أو غير معوق ..
- هؤلاء الناس جميعا ليسوا مسلمين ، لكن [الإنسانية] لا تحتاج إلى دين ولا إلى شعارات لكى تمارس ..

حكاية بنت
إسمها
« نهى » !



فهد

عرفت « نهى » خلال ندوة عن السينما المصرية
أقيمت في المركز الثقافي المصري في لندن .. كنت
أدير الندوة وكانت هي واحدة من جمهور
الحاضرين .. قلت رأياً مصرياً لم يعجب « نهى »
اللبنانية فاعترضت عليه بشدة وبحدة ، لكنها كانت
ظريفة حتى وهي محتدة .. الجمال يغفر لصاحبه
أشياء كثيرة والجميلات يعرفن ذلك .



و « نهى » فتاة جميلة .. واحتدادها ، على أى حال ، لم يكن
سيوصلنا إلى أن نمسك فى خناق بعض .. ولو أننى أرحب قطعاً
بأن أمسك فى خناق فتاة جميلة ، على شرط إننا مانتخانقش
بصحيح ..

بعد انتهاء الندوة جاءت « نهى » إلى وعرفتنى بنفسها باعتبار
أنها « سينمائية لبنانية » .. ووقفت تدرش معى فلم أفهم ثلاثة
أرباع كلامها باللهجة اللبنانية لكننى كنت أهز لها رأسى موافقاً على
أى كلام تقوله ، ففى الحقيقة أننى لم أكن أستمع جيداً إلى كلامها
نفسه بقدر ما كنت مستمتعا بطريقتها الظريفة فى الحديث المليئة
بالمرح والحيوية والإقبال على الحياة ، وعينيها اللامعتين الذكيتين

الضاحكتين .. حتى - فى وسط حديثها المتدفق - تأملت جملة رن وقعها غريباً جداً فى أذنى ، فاستوقفتها وقلت لها « نهى » ، معش قولى الجملة الأخيرة اللى انت قلتها ، بس قولها بالمصرى مش باللبنانى .. وحين كررت « نهى » جملتها الأخيرة باللهجة المصرية كاد أن يغمى على .. فأنا رجل رقيق المشاعر جداً وينفطر قلبى حزناً وألماً إذا عطست أو كحت فتاة جميلة أمامى ، كيف بذلك الذى نقوله « نهى » !!

وفى اليوم التالي منقصة جاءت « نهى » لتفنى اليوم كله معى ، تحكى لى حكايتها . رأسها وأكتفها ..

« نهى هالده المصرى » ٢٦ سنة ، هى اخد العنفود فى ٥ أخوة : ٣ بنات وبندين ، لأب يعمل فى شركة الكهرباء فى طرابلس لبنان .. لقبها « المصرى » لأن جدها الأكبر كان مصرى هاجر إلى لبنان لا يعرف منى ولا ماذا كان يعمل فى مصر ، ولا حتى فى لبنان ..

حين جاء الدور على « نهى » لتلحق بالجامعة لم يكن هناك اعتراض ، بل كان الطريق أمامها سهلاً لأن كل أخواتها الكبار - فيما عدا واحدة - كانوا قد سبقوها إلى الجامعة ، واثنان منهم قد تخرجوا فعلاً .. لكن الاعتراض كان على « نوع » الدراسة التى اختارتها « نهى » ، فقد اختارت أن تدرس : مسرح !! .. لكن اعتراض الأب لم يستمر طويلاً ظناً منه أن « نهى » لن توفق فى اختبارات القبول لدراسة المسرح .. وحين ، على عكس توقعاته ، وفقت « نهى » فى اختبارات القبول والتحقّت فعلاً بقسم المسرح

بكلية الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية في بيروت لم تكن وحدها في الكلية .. كانت معها أختها الأكبر لكن في قسم ديكور وفي السنة الرابعة ..

ولأن « نهى » كتلة نشاط وحيوية وظرف وخفة دم ، فإنها لم تنتظر حتى نتخرج لكي تبدأ نشاطها الفني .. فأتناء دراستها بالكلية بدأت فعلاً تشارك في المجالات الفنية في بيروت ، فقدمت برامج للأطفال في الإذاعة ، وعملت في التلفزيون كملاحظة سيناريو ثم أصبحت مساعدة مخرج ، واشتركت بالتمثيل في مسرحيات للأطفال في مسرح العرائس ، كما عملت في المسرح الكبير وشاركت في مهرجان المسرح التجريبي في تونس عام ١٩٨٩ .. وحين ذهب المخرج المصري « عاطف الطيب » إلى بيروت ليخرج فيلمه [ناجى العلى] شاركت « نهى » في الفيلم كمساعدة مخرج ، وأيضاً مثلت دوراً صغيراً في الفيلم ..



لكن ، ذلك كله أشياء عادية ممكن أن تحدث لأى فتاة في الدنيا .. فما الذى خضنى وأفزعنى في كلام « نهى » معى أمس في المركز الثقافى المصرى في لندن وجعل قلبى ينفطر حزناً وإشفاقاً عليها ؟! هل اشتراكها في فيلم [ناجى العلى] ممكن أن يسبب لى كل هذا الحزن عليها ؟! لأ طبعاً .. ما حدث بعد ذلك الفيلم كان هو السبب ..

بعد فيلم [ناجى العلى] عملت « نهى » كمساعدة مخرج فى مسلسل تلفزيونى لبنانى اسمه [عودة الحكواتى] .. المسلسل كان عن الحرب الأهلية اللبنانية ، وكان يجرى تصويره فى نفس

المناطق التي شهدت هذه الحرب .. وكانت [ساحة الشهداء] أو « ميدان الشهداء » من أكبر ميادين بيروت : « أقربها إلى الميناء ، هي الموقع الذي اختاره المخرج ليصور المسلسل فيه ، لأن هذا الموقع بالذات كان مخرباً ومهدماً تماماً بعد حرب أهلية استمرت ١٦ سنة تبادلت فيه جميع القوات المتحاربة واحتلته كل قوة منها بعض الوقت ، وقبل انسحابها منه زرعته بالألغام حتى لا تستفيد منه القوات الأخرى التي ستحتله بعدها .. وبعد انتهاء الحرب قام الجيش اللبناني بتطهير المنطقة كلها من الألغام التي كانت مزروعة فيها ..

استمر التصوير في الموقع مدة أسبوعين ، ولم يكن باقيا غير مشهد واحد ثم ينهى التصوير ، لكن الوقت لم يكف لتصويره فتأجل ذلك إلى الصباح التالي ليكون آخر مشهد وآخر يوم تصوير .. « نهى » بحكم كونها مساعدة المخرج كان عليها أن تقوم بإعداد الموقع للتصوير .. وكان المشهد لممثل جالس على مقعد .. وضعت « نهى » المقعد في المكان المطلوب ، لكن المقعد لم يثبت في مكانه ومال ووقع على الأرض .. خطت « نهى » خطوة واحدة إلى الأمام لكي تلتقط المقعد وتعده في مكانه .. في هذه الخطوة الواحدة حدثت الكارثة : داست « نهى » بقدمها على لغم كان مدفونا في الأرض لم ينبته إليه الجيش اللبناني وهو يطهر المنطقة من الألغام فكان من نصيب « نهى » .. انفجر اللغم بعنف شديد .. ورأت « نهى » شيئاً يطير أمام عينيها قبل أن تميل إلى جانبيها وتقع على الأرض ، خيل إليها أن هذا الشيء الذي رآته يطير أمام عينيها هو : قدمها وجزء من ساقها !! ولم تكن « نهى » تتخيل .. كانت

بالفعل قدمها اليمنى قد انفصلت عن ساقها بتأثير انفجار اللغم فيها ،
وطارت أمام عيني « نهى » قبل أن تنسف تماما وتتفتت تماما
ولا يبقى منها أى أثر !! .

تحكى لى « نهى » فى لندن ، بعد الحادث بسنة ونصف ، أنها
وهى واقعة على الأرض والدماء تنزف بغزارة من ساقها اليمنى
المبتورة ، لم تشغلها ساقها المبتورة ولا قدمها التي ضاعت ، لكن
شغلها أن يكون بقية جسمها يتهدده خطر لغم آخر .. لأنها قد
تقبلت ، بعد الانفجار بلحظات وقبل أن تجيء سيارة الإسعاف ،
نقبلت فكرة أن تفقد ساقاً وقدماً ، لكنها كانت تخشى على يديها وعلى
جسمها !! وهى فى سيارة الإسعاف فى طريقها إلى المستشفى
كانت قد اطمأنت - أولاً - على بقية جسمها ، وثانياً أنها استطاعت
أن تفلسف الأمر وتتقبل الأمر الواقع : « صحيح أنني قد فقدت
ساقاً ، لكننى على أى حال لازلت حية لم أمت .. يعنى أن الله كان
شفوقاً بى ولم ينسفننى كلى وإنما أخذ منى ساقاً واحدة فقط وترك
لى الأخرى وترك لى بقية جسمى ووجهى وعيني وعقلي ،
وحياتى .. أنا لازلت حية وذلك يكفى .. وأنا محظوظة وانكتب لى
عمر جديد .. لقد كان بينى وبين الموت شعرة .. وأن أحيا بساق
واحدة ناقصة أفضل كثيراً من ألا أحيا على الإطلاق » !! ..
كانت .. وهى لازالت فى سيارة الإسعاف - تفكر فى مستقبلها الفنى
وهل سيستمر عملها فى السينما بعد ذلك وهى بساق واحدة ؟!
وفكرت أيضاً فى وقع الخبر على أسرتها فى طرابلس حين يبلغهم
أن ابنتهم الجميلة الصغيرة قد فقدت ساقها فى حادث كهذا .. كانت

تسمع عن الألغام التي تنفجر في الآخرين ، لكنها لم تتصور أن يحدث ذلك لها هي شخصيا .. وما هو قد حدث ..

في المستشفى ، و « نهى » في غرفة العمليات ، كان لابد وأن يبتز الأطباء جزءا آخر من الساق المصابة ، لأن العظم فيه كان قد تفتت تماما ، والمفروض ألا يتبقى من الساق إلا الجزء الذي عظمه سليم حتى يمكن أن تلتئم الساق - الجزء الباقي منها - عليه .. فسألت « نهى » الأطباء قبل أن تغيب تحت البنج : « هل سأتمكن من تركيب ساق صناعية ؟! » وسمعت : « طبعا .. ثم غابت تحت البنج ..

وحين خرجت « نهى » من المستشفى بعد ٢٠ يوما وهي تتوكلأ على عكازين لم تكن ساقها المبتورة هي التي نولمها ، لكن نفسها .. فإنها لم تحصل على أى تعويض عن فقدانها ساقها ، لأن الشركة التي انتجت المسلسل كانت قد أمنت على الأجهزة ومعدات التصوير ولم تؤمن على البشر الذين يشتركون في المسلسل .. حتى أن الشركة قد رفضت أن تدفع نفقات المستشفى التي دخلتها « نهى » بسبب الحادث ، لأن الشركة اعتبرت أن الحادث هو [حادث حرب] وليس [إصابة عمل] !! ونقول « نهى » : « الحمد لله اللى جت على كده ، وكويس إنهم ما طلعونيش أنا غلطانة وطلابونى بتعويض عن تعطيل العمل » !! .

« رفيق الحريري » هو رئيس وزراء لبنان الآن .. لكنه قبل ذلك كان رئيساً لمؤسسة خيرية لمساعدة الطلاب في لبنان - وهو مليونير أصلا - وقبل أن يصبح رئيسا للوزراء قدم لـ « نهى »

المبلغ الذى طلبته كاملا لكى تستطيع تركيب ساق صناعية ، دون أن يكون يعرف « نهى » شخصا أو يتوسط أحد لها عنده .. لكنه كان قد قرأ عنها وعن الحادث فى الصحف .. فعل الخير لا يحتاج إلى واسطة ولا إلى كروت ..

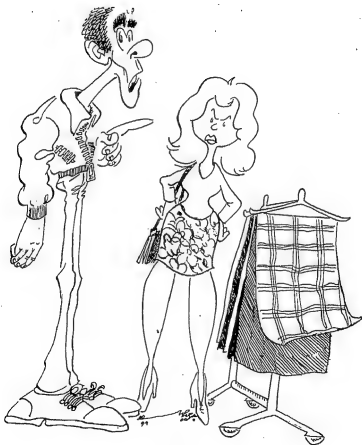
وجاءت « نهى » إلى لندن فى منتصف عام ١٩٩٢ لتدخل مستشفى هنا وتركب أول ساق صناعية ، كانت تعرف منذ البداية أنها « مؤقتة » .. غيرتها بعد ٧ شهور بساق أخرى أحدث : خفيفة جداً ولينة جدا وكأنها ساق حقيقية .. هى [بوت] طويل تخلعها كل ليلة قبل أن تنام وكأنها تخلع حذاءها .. وعندها فى غرفتها [عكاز] تستعمله فى الفترة التى تقضيها وحدها فى شقتها .. هذه الساق ثمنها ٢٥٠٠ جنيه إسترليني أو نحو ٥٠٠٠ دولار ، بما فى ذلك أجر المستشفى .. وضرورى أن يكون عندها ساق صناعية أخرى احتياطى وكأنها عجلة السيارة الإحتياطى ، حنى إذا حدث أى شىء للساق الأصلية تكون الساق الإحتياطى جاهزة للإستخدام فوراً .. الساقين معا - الأصلية والإحتياطى - ضمن هذا المبلغ ..

متوائمة نفسيا جدا « نهى » .. كل الذين حولها كانوا يتصورون أن [السكينة سارقاها] الآن لكنها سوف تنهار بعد فترة حين نفيق إلى فداحة ما حدث لها .. لكن ذلك لم يحدث حتى الآن بعد أكثر من عام ونصف على الحادث .. بالعكس ، فـ « نهى » الآن قد عادت إلى العمل بكل قوتها وأكثر من زمان بكثير .. فهى تقدم الآن برامج فى إذاعة لندن العربية ، وفى تليفزيون لندن العربى ، وتقدم عروضاً مسرحية ، وتشارك بالتمثيل فى الأمسيات الشعرية العربية فى لندن ، وعضو نشيط فى لجنة الشباب فى النادى العربى ..

وحصلت « نهى » على حق الإقامة الدائمة فى بريطانيا بمجرد أن طلبت ذلك .. لأن فى القانون البريطانى بنداً رحيماً يعتبر من فى مثل ظروف « نهى » [لاجئاً إنسانياً] .. فتصرف لها الحكومة البريطانية مبلغاً أسبوعياً سخياً يمكنها من ألا تحمل هم يومها ولا غدها ، وأيضاً تدفع عنها إيجار شقتها الصغيرة التى تعيش فيها الآن .. وسجلت « نهى » نفسها لكى تقوم بدراسات عليا فى الإخراج السينمائى ، تنوى بعدها أن تعمل فى السينما فى إنجلترا أيضاً ..

ترقبوا اسم « نهى خالد المصرى » ، فهى ستكون شيئاً كبيراً فى قادم الأيام ..

والسبب :
بدلة
حمراء !!



حين جاء ضابط الشرطة المصرى الشاب المقدم
«سعيد خضر» إلى لندن فى بعثة قصيرة مدتها ٣ شهور
لدراسة نظم العمل فى إدارة البوليس الإنجليزى
الشهيرة «سكوتلند يارد» ، لم يكن يدرك أن هذه
الشهور الصيفية الثلاثة سوف تغير مجرى حياته تماماً ..



وقد مرت الشهور الثلاثة هادئة تماماً ، لكن اليوم الأخير قبل
السفر هو الذى لخبط الدنيا ، أو لعله لنكون - أكثر دقة - هو الذى
« عدل » الدنيا !

كان « سعيد » قد تلقى خطاباً من صديقه وزميله ضابط البوليس
أيضا « جمال على » يخبره فيه بأنه قرر أن يتزوج .. « جمال
على » قرر أن يتزوج ، هو حر ، عقله فى رأسه يعرف خلاصه ..
لكنه لم يكفه أن يتخذ قراراً طائشاً كهذا ، إنما أيضا قرر أن تكون
بدلة الفرح : حمراء !! .. هه ، لنكن حمراء أو تيركواز أو بمبى
فهو حر أيضا .. لكن كانت المهمة التى كلف بها « جمال على »
من القاهرة صديقه « سعيد خضر » فى لندن هو أن يشتري له
« سعيد » البدلة الحمراء المطلوبة من لندن !

●
وصل خطاب « جمال » فى اليوم الأخير لسعيد فى البعثة ، لكن

« جمال » صديق عزيز وحميم ولابد من تلبية طلبه .. فنزل « سعيد » إلى [أو كسفورد ستريت] ، شارع لندن الشهير ، يبحث عن البدلة الحمراء المطلوبة .. داخ السبع دوخات ودخل كل المحلات الكبيرة والصغيرة فلم يعثر على بدلة فرح حمراء .. منك لله يا جمال يا على .. هو لازم جوازك ييجى على دماغ العزاب ، وعلى دماغ « سعيد خضر » بالذات ؟!

ما علينا، فى آخر محل دخله « سعيد » كان قد يش تماما من العثور على البدلة المطلوبة ، لكنه قبل أن ينصرف مال على الفتاة الحسنة التي وجدها تقف فى ركن البديل الرجالي ، وسألها : « من فضلك أين أجد بدلة فرح حمراء فى محلكم هذا ؟ فأجابته الفتاة مندهشة : « لا أعرف .. ثم أنه ليس محلى وأنا لا اعمل هنا .. أنا زيونة مثلك !! » واعتذر لها « سعيد » مرتبكا وحاول أن يشرح لها بأنه ظنها بائعة واضطر أن يسألها لأنه فشل فى العثور على البدلة المطلوبة لصديق له قرر ألا يتزوج إلا ببدلة حمراء .. وضحكت الفتاة الإنجليزية لارتباكها ، لكنها ، كعادة الطيبين من الإنجليز ، حاولت أن تساعد ، فقالت له أنها فعلا رأّت بدل فرح حمراء فى محل لا يبعد كثيرا عن المحل الذى هما فيه الآن .. وراحت تصف له مكان المحل ، لكن « سعيد » كان كالغريق الذى أمسك فجأة بطوق نجاة ، فألح عليها فى أن تتكرم مشكورة وتذهب معه إلى المحل بنفسها .. وفكرت « أن » قليلا ، وهذا هو اسمها - طبعا اسمها « أن » فقط وليس « أن قليلا » - ثم ذهبت معه إلى المحل القريب واشترى فعلاً البدلة الحمراء ، وإنتهت مشكلة « جمال على » العريس الذى فى القاهرة ، لكن مشكلة « سعيد » نفسه هى التى

بدأت : ضابط الشرطة الذى عاش أعزبا حتى قارب الـ ٣٥ وجد نفسه فجأة - كمن أصيب فى حادث سيارة - متعلقا بالفتاة الإنجليزية «آن» .

قال لها أن هذا هو يومه الأخير فى لندن وأنه غدا مساء سيكون فى طريقه إلى مطار هيثرو عائدا إلى القاهرة ، فهل تسمح له بساعات قليلة تقضيها معه فى فترة الصباح فى الغد ؟ ولأن «آن» قد استلطفته فإنها - كأى فتاة إنجليزية متحررة - لم تمنع .. والتقىا فعلا فى اليوم التالى قبل ساعات من موعد الطائرة ، وقضيا فترة الصباح معا ..

●

وحين حان وقت الفراق قال سعيد «لأن» ببساطة ممثلى السينما المصرية : «آن .. تتجوزينى ؟» وردت «آن» بواقعية البنات الإنجليز : «إجربى يا ابنى اللعب بعيد ، إنت واخذ الحكاية قفش وقوام قوام كده ليه ؟ هو أنا لحقت أعرفك أصلاً علشان أتجوزك ؟ ثم أنت مصرى وبتقول إنك ضابط بوليس ، يعنى مضطر ترجع مصر .. وأنا أعرف مصر بمجرد السمع عنها .. يعنى أبجوز واحد ما أعرفوش وكمأن أروح معاه بلد ما اعرفهاش ؟ إنت قطعاً بتهزر !! وأقسم لها «سعيد» أنه يتكلم جادا : «وإذا كانت المشكلة أنك ماشفتيش مصر قبل كده يا ستى ، فتعالى مصر إقعدى اسبوع والا أسبوعين واتفرجى عليها وشوفيه زى ما أنتى عايزة ، وتكون فرصة كمان تعرفينى أكثر قبل ما تقولى «أه» والا لا ..»

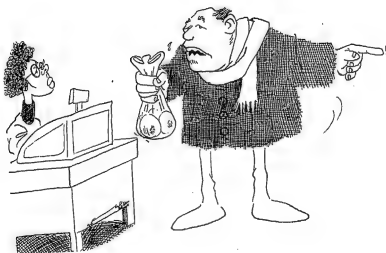
وأعجبت «آن» بالفكرة .. وذهبت فعلا إلى مصر فى أجازة

لمدة أسبوعين فأعجبته جدا مصر ، وأيضا في خلال هذه المدة كانت معرفتها بسعيد عن قرب قد جعلتها تقتنع به .. في آخر يوم لها قبل عودتها إلى لندن تزوج المصري « سعيد خضر » والإنجليزية « آن » في القاهرة ، قبل أن يتزوج « جمال على » - العريس أبو بدلة حمراء اللى كان السبب - من عروسه المصرية !!

●
القصة لم تنته بعد ، إصبروا تزوج « سعيد » و « آن » ، ثم ماذا ؟ « سعيد » مضطر إلى البقاء في القاهرة بحكم عمله كضابط بوليس ، و « آن » مضطرة إلى العودة إلى إنجلترا بحكم عملها - الذى لم يكن سعيد يعرف طبيعته - كسكرتيرة لـ « ليدى آرثر هاملتون » أشهر سيدة في مجال الخدمة الاجتماعية والجمعيات النسائية في إنجلترا كلها ، وهى وظيفة لا تستطيع أن تضحي بها حتى لو تزوجت مدير الأمن العام في مصر .. ما الحل إذن ؟ هل يكون زواجا بالمراسلة ؟ لا طبعا .. « آن » عندها حل لكل هذه المشاكل : « سايد - يعنى سعيد - مش إنت بتقول إنك معاك ليسانس حقوق فوق إنك ضابط بوليس ؟ » .. « آه .. ومعايا ماجستير في القانون كمان .. » خلاص .. إذن مفيش مشكلة .. ما تيجي تعمل دكتوراه في القانون في جامعة لندن .. « والله فكرة » .. وبعد عدة شهور كان ضابط الشرطة المصري « سعيد خضر » قد حصل على أجازة دراسية وجاء ليحصل - بعد خمس سنوات - على الدكتوراه في القانون من جامعة لندن ، ويحصل معها أيضا على طفلة جميلة - إنتاج مصري إنجليزي مشترك - إسمها « ميراندا » ، ويحصل مع الدكتوراه على رتبة « عميد شرطة » ..

وتستقر حياة سعيد خضر فى لندن بعد أن تحول إلى
رجل أعمال مصرى أو شك أن ينتهى من جمع
المليون الأول من ثروته .. وعقبالنا يا رب ، بس
من غير بدلة حمراء !

من أجل
حفلة
بصلات !



التعامل مع السوق ، مع المحلات ، مع الشراء ، فى أوروبا عموماً وفى إنجلترا على الأخص ، أسهل كثيراً و« أريح » كثيراً من التعامل معها فى مصر وفى بلادنا العربية عموماً .. ليس فقط لأن [الزبون دائماً على حق] كما هو شعار السوق هناك ، لكن أيضاً لأن هناك إدارة مهمة جداً فى بريطانيا اسمها (The Consumer Department) أو [إدارة حماية المستهلك] .



يخشىها السوق الإنجليزي كله ويعمل لها ألف حساب .. ابتداء من المحلات الكبرى Superstores التى يبيع الهلحل الواحد منها بمليون جنيه فى اليوم الواحد ، إلى محلات الخضار والفواكه التى تبيع للزبون الموز بالصباغ والتفاح والكمثرى والخوخ بالواحدة والعنب بالربع رطل .. وإذا اشترى كزبون أى شىء مهما كان حجمه ومهما كان ثمنه ، ابتداء من سيارة « رولز رويس » ثمنها ربع مليون جنيه إسترليني ، إلى مشط ثمنه ١٠ بنسات ، وأخذته إلى بيتك فعلاً واستعملته فعلاً لعدة أيام ، ثم لم يعجبك لسبب أو لآخر ، أو حتى بغير سبب على الإطلاق .. فإنك تستطيع أن تأخذ

الرولز رويس أو المشط إلى المحل الذى اشتريته منه وتمد للبائع يدك بالإيصال فيمد لك يده على الفور بالثمن الذى دفعته ويشكرك ويحييك ويتمنى لك وقتاً طيباً ويرجوك أن تعود إلى محله مرة أخرى وأن تظل زبونه دائماً .. وإلا ، فإن [إدارة حماية المستهلك] قد تغلق له محله بالضربة والمفتاح وترغمه على أن يدفع لك تعويضاً قد يكلفه رأس ماله كله ..

●
وتجاربى عديدة وكثيرة فى هذا الموضوع كمهاجر مصرى
هذه المسألة جديدة عليه تماماً بعد أن جرب فى مصر طوال عمره لافتة [البضاعة التى تباع لاترد ولا تستبدل] فى كل المحلات ، وكصحفى رذل يحب أن يدس أنفه فى كل شىء .. لكنها كلها كانت تجارب شيك ومحترمة ومعقولة : أشتري تليفزيونا صغيرا جدا ٥ بوصة لكى أضعه على مكتبى فى البيت لزوم الشياكة والوجاهة والمنظرة ، لكنى فى البيت أكتشف أن المكتب لم يعد به مساحة خالية تكفى لأن أضع فيها قلم رصاص جديد ، فأعيد التليفزيون إلى المحل الذى اشتريته منه وأسترد فلوسى .. إشتريت قميصا لونه زيتى شيك جداً وفاخر جداً لأننى رأيت صديقاً يلبس نفس القميص فأعجبني عليه كثيرا .. لكننى حين لبست أنا القميص يتضح أن الذى يليق على صديقى الإنجليزى الأشقر ليس من الضرورى أن يليق على أنا بشعرى الأسود الأكرت وبشرتى القمحية ، فأعيد القميص إلى المحل وأسترد فلوسى فوراً دون مناقشة .. وأمثلة أخرى من هذا القبيل .. حتى كان الأسبوع الماضى ...

●
يوم السبت الماضى إشتريت من السوبر ماركت الضخم

[تيسكو TESCO] القريب من بيتى ، رطل بصل ثمنه ٢٩ بنساً ..
البصل سايب ، يعنى تمد يدك وتنقى بنفسك كمبة البصل التى
تريدها وتضعها فى كيس بلاستيك ، ثم تزنه لك فتاة الخزينة على
ميزان أمامها وتحسب لك ثمنه باعتبار ثمن الرطل ٢٩
بنساً .. أما بقية أنواع البصل المعروضة فهى تباع فى عبوات ..
المهم ، أخذت البصل مع بقية مشترياتى وعدت إلى البيت ..
وبالصدفة وأنا أضع المشتريات فى أماكنها فى دواليب مطبخى -
وأنا رجل منظم ومرتب بطبعى - أعجبتنى نقاوتى للبصل رغم أننى
رجل خايب جداً فيما يتعلق بالطبخ والطبخ وشئون المطبخ ..
فأردت أن أعرف كم كلفنى هذا البصل الشيك - بافترض أن هناك
بصل شيك - فراجعت الفاتورة التى أعطتها لى فتاة الخزينة لكى
أفاجأ بأنها حسبت لى الـ ٤ بصلات بـ ٧٧ بنساً وليس ٢٩ بنساً !!
والـ ٧٧ بنساً هذه تشتري [ثورتاية] من السوبر ماركت وليس ٤
بصلات .. ولأن عاملة الخزينة كانت فتاة سوداء وأنا لا أحب
السود الإنجليز ، فقد وضعت الفاتورة فى جيبى وقررت أن أمر
بهذه التجربة ..

واليوم ، بعد ٤ أيام من شرائى البصل ، ذهبت إلى السوبر
ماركت لمشتريات جديدة لى .. فى كل سوبر ماركت وفى كل محل
كبير فى إنجلترا - وفى أوروبا الغربية كله مكتب عليه لافتة كبيرة
تقول أنه [مكتب خدمة الزبائن] ليحل لك أى مشكلة تصادفك
وأنت فى المحل .. ابتداء من أنك مش عارف مكان صنف ما معين
على رفوف المحل ، فتدلك الموظفة عليه ، أو اشتريت صنفا لم

يعجبك وتريد تغييره أو إعادته واسترداد ثمنه ، إلى مشكلة من نفس نوع مشكلتي ..

ذهبت للموظفة التى فى [مكتب خدمة الزبائن] ، ولم أتفاعل كثيرا لأننى وجدتها سوداء أيضاً .. لكننى برضه شرحت لها ماحدث وأننى دفعت ٧٧ بنساً ثمناً لـ ٤ بصلات بدلاً من ٢٩ بنساً ، وأنه ليس هناك سايب معروض أصلاً ثمنه أكثر من ٢٩ بنساً ، وأننى لو كنت قد أخذت [عبوة] بصل لما احتاجت فتاة الخزينة إلى وزنها لأن [العبوة] وزنها ثابت وسعرها موحد .. فنظرت الفتاة فى الإيصال وراجعته ، وببساطة جدا دون أن يستغرق الأمر أكثر من ثوانى ودون أن تسألنى عن اسمى وعنوانى ووظيفتى أو تحقق معى ، فتحت درج الخزينة التى أمامها وردت لى ٥٢ بنساً فرق السعر الذى دفعته أكثر .. فقد وجدت الفتاة أن وزن البصل الذى أخذته - وهى مذكورة فى الإيصال - كانت أقل قليلا من رطل ، ولذلك كان مفروضا أن أدفع ٢٥ بنساً وليس حتى
!! ٢٩

عقبالنا يارب ..

حكاية
بنيت
اسمها
« بيقرلى » !



isw



أن يتزوج الشاب العربى المسلم الذى يعيش فى أوروبا للعمل أو للدراسة ، من فتاة أوروبية ، فذلك شىء وارد .. فإن الإسلام يقبل زواج المسلم من المرأة الكتابية إذا كانت على غير دينه ..

وأن تتحول الفتاة الأوروبية إلى دين الإسلام قبل زواجها من الشاب العربى المسلم ، لكى يصبح زواجهما مقبولا من أسرته فى وطنه ، فذلك أيضا شىء وارد .. لأن الفتاة الأوروبية عادة لا تهتم كثيرا مسألة الدين ، وإنما تهتم أكثر مسألة الزواج ..

أن تحدث الخلافات والمشاكل بعد الزواج بين الزوجين العربى المسلم والأوروبية المسلمة « الآن » فذلك أيضا شىء وارد لأنه سنة الحياة ، ولأن الخلافات والمشاكل ممكن أن تحدث بين أى زوجين مسلمين عاديين ومسلمين بالميلاد ..

وأن تعود الزوجة الأوروبية التى أسلمت ، بعد فترة من زواجها ، طالت أو قصرت ، إلى دينها الأصيل بسبب الخلاف بين الزوجين ، فذلك أيضا أمر وارد وكثيرا ما يحدث حين تستفحل الخلافات ويستحيل استمرار الحياة والتعايش بين تقاليد الشرق وعادات الغرب ..

لكن الحالة التي أتحدث عنها الآن موضوع مختلف تماماً .. بدأ
مختلفا ، واستمر مختلفا ، وانتهى نهاية مختلفة لم يكن أحد يظن أنها
أو يتوقعها .. ولا حتى الزوج نفسه ..

ظاهرة موجودة ومنتشرة كثيرا ، ليس في إنجلترا فقط ، ولكن
في أوروبا كلها وفي كل بلد أجنبي خارج الوطن العربي .. وهي
ظاهرة - في تقديري - طبيعية تماماً؛ ظاهرة وجود عدد كبير من
الشبان العرب المسلمين متزوجين من إنجليزيات .. لو كنا في
إيطاليا لوجدنا عدداً كبيراً من الشبان العرب المسلمين متزوجين من
إيطاليات .. لو كنا في أسبانيا لوجدنا عدداً كبيراً من الشبان العرب
المسلمين متزوجين من أسبانيات .. ولو كنا في أمريكا لوجدنا عدداً
كبيراً من الشبان العرب المسلمين متزوجين من أمريكيات ،
وهكذا .. وهذه مسألة طبيعية بحكم أن الغربة تجعل الفتاة التي من
نفس جنسية البلد الأجنبي هي ، طبعاً ، الأكثر توافراً أمام الشباب
العربي الذي يتواجد في هذا البلد لسبب ما قد يكون الدراسة أو
العمل ، عن الفتاة التي من نفس جنسيته العربية .

وعادة حين يتزوج شاب عربي مسلم في أوروبا ، من فتاة
أوروبية .. فغالباً ما تتحول الفتاة الأوروبية إلى الإسلام ، وفي
كثير من الأحوال يكون إسلامها ظاهرياً فقط ، إرضاء للزوج وتمشياً
مع تقاليد بلده ..

الحالة التي أتحدث عنها الآن حالة من هذا النوع : الزوج
مصرى مسلم ، والزوجة إنجليزية مسلمة ، مع اختلاف بسيط ، هو
أن الزوجة الإنجليزية لم تشهر إسلامها إلا بعد عدة سنوات من

الزواج ، وأنها أشهرت إسلامها بغير علم الزوج و» من وراء ظهره « ، وأنه كان أول من « فوجيء » بإسلام زوجته !!

« بيثرلى چوى كانفن » ، أو « ببا » ، التى أصبحت الآن « إيمان » .. أصبحت مسلمة منذ نحو ٣ سنوات فقط ، بالرغم من أنها متزوجة فعلا منذ أكثر من ١٠ سنوات ..

« بيثرلى » و « محمد » التقيا فى ميلانو بإيطاليا منذ نحو ١٠ سنوات ، حين كان « محمد » يعمل هناك وكانت « بيثرلى » قد ذهبت إلى إيطاليا لتقوم بتعليم اللغة الإنجليزية للأطفال الإيطاليين ، وفى الوقت نفسه لتتعلم هى اللغة الإيطالية ..

والتقى الغريبان فى ميلانو ، وتحابا ، وبعد شهرين فقط كانا يقفان أمام الوزير المفوض « سمير كامل » القنصل العام المصرى فى ميلانو ، ليتزوجا على الطريقة المصرية و(على سنة الله ورسوله) ، التى تبيح زواج المسلمين من الكتابيات مع احتفاظ الزوجة بديانتها الأصلية إذا أرادت ، يعنى دون أن تكون مضطرة إلى تغيير ديانتها ..

حين تزوجت « بيثرلى » من محمد زينهم كانت تعلم أنه مسلم .. ولم يكن اختلاف الدين فى نظرها يمثل عقبة ما .. أعجبها محمد وذلك يكفى ، فتزوجته على اعتبار أن كل إنسان حر فى معتقده .. وحين اتصلت تليفونيا بأسرتها فى [بور نموث] فى إنجلترا لكى تبلغ والدها ووالدتها بأنها سوف تتزوج شابا مسلما ، لم يعترض الأب أو الأم الإنجليزيان على ذلك ، بالرغم من أن

« بيقرلى » هى ابنتهما الوحيدة ، لأنهما كانا أيضاً يريان رأيها فى أن الدين مسألة شخصية جداً نابعة من معتقدات الإنسان وليس لإنسان آخر أن يتدخل فى هذه المسألة الشخصية جداً ..

وبارك الأب وباركت الأم زواج ابنتهما الوحيدة من الشاب محمد زينهم « دون أن يشغلها للحظة واحدة أنه مسلم .. وطوال ثلاث سنوات لم يحاول « محمد » من ناحيته أن يضغط عليها ليحولها إلى الإسلام ، تاركا لها حريتها الشخصية فى ممارسة معتقداتها ..

بعد زواجهما بثلاث سنوات ذهبت « بيقرلى » إلى مصر ، بلد زوجها ، فى أجازة لمدة شهرين .. سبقت هى زوجها فى الذهاب إلى القاهرة ، ولحق بها « محمد » بعد ثلاثة أسابيع ، وقضيا معاً شهراً كاملاً ، ثم سبقها هو فى العودة إلى إنجلترا قبلها بأسبوع واحد ..

وحين ذهب ليستقبلها فى مطار هيثرو بلندن عند وصولها بادرتة على الفور بسؤال غريب جداً : « إنت عارف إسمى إيه » ودهش « محمد » جداً أن تسأله زوجته سؤالاً ساذجاً كهذا بعد أكثر من ٣ سنوات من زواجهما ، وقال مندهشاً : « طبعا .. إسمك بيقرلى »

قالت « بيقرلى » : « غلط » ، فقال وهو لا يزال مندهشاً ومش فاهم حاجة أبداً : « إسمك ببا » - وهو إسم التدليل لـ « بيقرلى » - وأجابت « بيقرلى » : « غلط أيضاً !! فقال محمد مستسلماً وقد تأكد أن زوجته قد حدث لمخها شيء ما نتيجة الحر فى مصر أو نتيجة رحلة الطائرة : « لا أعرف أن لك أسماء غير « بيقرلى » أو « ببا » .. ومع ذلك : إسم حضرتك إيه يامدام زينهم ؟! » فقالت

« بيقرلى » بثقة وهى تفتح حقيبة يدها لتخرج منها وثيقة رسمية تضعها فى يد زوجها : « إسمى إيمان !! »

تحدى لى « بيقرلى » ، أو « إيمان » :

- حين ذهبت إلى مصر فى أجازة لم يكن زوجى معى نظراً لظروف عمله .. وقضيت ثلاثة أسابيع كاملة وحدى بين أسرته وفى وسط المصريين ، ورأيت كيف تعيش الأسرة المسلمة هناك ، والحب والتعاطف والمودة التى تربط أفراد الأسرة المسلمة ببعضهم البعض .. وجدت شيئاً مختلفاً تماماً عما تعودته هنا فى إنجلترا .. هنا الأمر مختلف تماماً .. الإنجليز - الذين أنا منهم - ناس باردين بلا عواطف ولا مشاعر وكأن كل واحد منهم جزيرة منعزلة تماماً عما حوله .. هنا كل واحد يفكر فى نفسه فقط وفى عالمه المنعزل المستقل الذى لا يهتم بما حوله ولا بمن حوله ، ولا يهمه إن كان جاره أو قريبه مريضاً أو جائعاً أو حتى جرح أو قتل أو مات .. هنا بمجرد أن يكبر الأبناء ويصبح عمرهم ١٥ أو ١٦ سنة ينفصلون عن الأسرة وتصبح لهم حياتهم المستقلة تماماً .. وقد يسكن الابن أو البنت وحدها فى نفس الشارع الذى تسكن فيه أسرته أو والديها ، فلا تذهب لزيارتهم ولا تدق بابهما بالشهور الطويلة ، وقد تخطب البنت أو تتزوج و « تنسى » أن تخبر أسرته .. وقد يموت الأب أو الأم فلا يعلم الابن أو الابنة إلا بعد ذلك بشهور ..

فى الأسر المسلمة التى رأيتها وعاشتها فى مصر المسألة مختلفة تماماً .. الناس هناك يحبون بعضهم البعض ويتزاورون كل يوم ويتقابلون بالأحضان وبالقبلات حتى لو تقابلوا كل يوم ..

بعد ثلاث سنوات ونصف من الزواج إتخذت « بيثرلى چوى كاثن » قرارها بنفسها ، حتى دون أن ترجع إلى زوجها نفسه فى ذلك ، بل ولم يكن زوجها موجودا أصلا فى نفس البلد حين إتخذت « بيثرلى » قرارها .. ذهبت إلى حماتها المصرية ذات يوم - بعد سفر « محمد » عائدا وحده إلى إنجلترا - وسألت حماتها : « كيف أستطيع أن أصبح مسلمة ؟! »

وطلبت منها الحماة الذكية أن تعيد التفكير فى قرارها وتعطى لنفسها مهلة ولو ليوم واحد فقط تفكر فيه على مهلها وبلا تعجل. أو تسرع .. وبمجرد أن استيقظت « بيثرلى » من نومها فى صباح اليوم التالى هرعت إلى حماتها لتؤكد لها أنها لازالت عند قرارها ، وتطلب منها أن تساعدتها فى إشهار إسلامها فى أسرع وقت ، حتى تعود إلى إنجلترا مسلمة .. ولم يكن قد بقى على سفرها عائدة إلى إنجلترا إلا أياما قليلة .. أقل من أسبوع واحد ..

وذهبت الحماة و « بيثرلى » إلى إدارة الجامع الأزهر لكى تشهر « بيثرلى » إسلامها هناك أمام الشيخ رئيس لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .. ولم تستطع الحماة الطيبة السعيدة أن تحبس دموعها التى انسابت غزيرة وهى ترى زوجة ابنها الإنجليزية المسيحية تتحول إلى الإسلام وتعلن إسلامها فى مبنى الأزهر نفسه .. وتتحول من « بيثرلى چوى كاثن » إلى « إيمان محمد زينهم » ..

« إيمان » - هى « إيمان » الآن خلاص - كانت سعيدة جدا حين إستقبلها فى الأزهر شيخ مصرى يتكلم الإنجليزية بطلاقة، فلم تكن

تتصور أن الشيوخ أو « المشايخ » يتكلمون أى لغة إلا اللغة العربية ،
ففوجئت وسعدت بإنجليزيتة المطلقة .. وتكلم الشيخ معها وسألها :
لماذا تريد أن تكون مسلمة ، ثم طلب منها أن تنطق بالشهادتين
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .. ففعلت ..
وأصبحت مسلمة ..

وكان ينتظر دوره بعدها شاب يابانى جاء من اليابان خصيصاً
ليشهر إسلامه فى الجامع الأزهر بالذات أيضاً ..

أسأل « إيمان » :

• هل أسلمت يا « إيمان » فقط لمجرد أن تسعدى زوجك
وتسعدى حمائك ؟!

وترد على الفور :

- أبداً .. وإلا كنت قد أسلمت منذ أول يوم لزواجي .. لكننى
لم أسلم إلا بعد أن اقتنعت بأن الإسلام أفضل بكثير من اقتناعي
السابق الذى كنت لا أعرف غيره من قبل .. أسلمت بعد أن رأيت
شكل حياة المسلمين وإيمانهم وجربت وذقت طعم حياتهم ،
خصوصاً داخل الأسرة الواحدة .. المسلمون مسلمون كل أيام
الأسبوع ، لكننى كنت قبلاً مسيحية يوم الأحد فقط !!

أحاور « إيمان » :

• ولو كنت قد ذهبت إلى مصر - أو إلى أى بلد عربى - وأنت
غير متزوجة وغير مرتبطة عاطفياً بشاب مسلم ، وعشت هناك
فترة ورأيت المسلمين كما رأيتهم عندما زرت مصر وأنت

متزوجة ؛ هل كنت ستصبحين مسلمة أيضاً ؟ أم أنك فكرت فى الإسلام لأنك أصلاً كنت متزوجة فعلاً من مسلم ؟!

صريحة جداً « إيمان » :

- مؤكد أنني كنت سوف أصبح مسلمة أيضاً .. فكما قلت لك لم يكن لمحمد أى تأثير أو ضغط لإسلامى ، حتى أنه لم يعرف أنني كنت أريد أن أسلم إلا بعد أن أسلمت فعلاً ، ولم يكن موجوداً فى مصر أصلاً حين ذهبت مع والدته إلى الأزهر لكى أشهر إسلامى .. لكن تستطيع أن تقول أن ما رأيته فى [أسرة محمد] هو الذى جعلنى أقرر أن أكون مسلمة .. الأسرة المسلمة التى عاشرتها هى التى جعلتنى أحب الإسلام وليس زوجى نفسه ..

• من الذى اختار لك اسم « إيمان » ؟!

- أسرة محمد اقترحت لى عدة أسماء وترجمت لى معانيها إلى الإنجليزية ، فاخترت من بينها اسم « إيمان » لأننى وجدت أنه ينطبق تماماً على حالتى ..

• وماذا كان رد فعل صديقاتك الإنجليزيات فى إنجلترا بعد عودتك من مصر ، حين عرفن أنك قد أصبحت مسلمة ؟ .

- لم يصدقن ذلك فى البداية .. وسألننى لماذا فعلت ذلك ، وما الفرق بين الإسلام والمسيحية ؟ .. وكنت أقول لهن أنه لا يكفى أن أشرح أنا لهن الفرق بين الإسلام والمسيحية ونحن هنا فى لندن .. لكن الذى - أو التى - تزور بلدا مسلما وتتعامل مع المسلمين فيه وتحيا حياتهم وتعاشرهم لفترة ، فإنها قطعاً سوف

تشعر بطعم الإسلام حتى دون أن يشرحه لها أحد .. فالإسلام فى
تصورى « حياة » أكثر منه « كتابا دينيا » ..

سألت الزوج « محمد زينهم » :

• جرت العادة حين يقرر الشاب المسلم فى الغربة أن يتزوج
من فتاة أجنبية مسيحية أو من أى ديانة أخرى ، أو حتى
(لا دينية) ، أن يشترط عليها أن تصبح مسلمة قبل أن يتزوجها ..
ألم تطلب ذلك من « بيقرلى » قبل زواجك منها ؟

ـ لم أفعل ذلك ، لنفس السبب الذى ذكرته أنت فى سؤالك ، وهو
كلمة « يشترط » .. فلم أشأ أن أجعل هذا شرطا لزواجى منها ،
فتعلن إسلامها وهى تشعر أنها (ترضخ لشروطى) لمجرد أن يتم
الزواج .. تركتها على راحتها وأنا أمل أن تشعر بحلاوة الإسلام
بعد أن تعاشرنا كمسلمين وترى شكل حياتنا .. ولم أحدد لذلك زمنا
أو مهلة .. تركته للأيام تحدهه هى .. وما تصوريته قد حدث ..
وبالرغم من ذلك فإنه حين حدث كان مفاجأة لى تماما ..

• « إيمان » من فرط حبها للإسلام والمسلمين استطاعت بإرادة
غير عادية أن تلتقط اللغة العربية وتتعلمها فى خلال الشهرين اللذين
قُضتَهما فى مصر ، حتى أن أغلب حديثنا ـ هى وأنا ـ فى لندن
فى الأسبوع الماضى ، كان باللغة العربية التى تنطقها باللهجة
المصرية إنما ، طبعا ، بلكنة أجنبية واضحة .. لكنها تتكلم العربية
وتفهم ما أقول وترد عليه .. فإذا توقفت عند كلمة أو عبارة فأشعر
أنها على طرف لسانها لكنها مترددة فى أن تنطقها خوفا من أن
تكون خطأ ، لكنها غالباً تكون صح .. ويقول « محمد » مبرراً

ذلك ، أن « إيمان » كانت سريعة جداً فى التقاط اللغة العربية ..
وحين يتكلم هو وأصدقائه باللغة العربية فإنها تجلس معهم وكأنها
جهاز استقبال جيد متحضر تماماً لفهم ما يقال أمامه ثم ، وذلك هو الأهم ،
الإحتفاظ به فى الذهن وعدم نسيانه .. وكثيراً ما يحدث أن تستوقف
« إيمان » أحد المتكلمين لكى تسأله : الكلمة العربية التى قلتها أنت
الآن هذه - (وتنطقها له) - ما معناها بالإنجليزية أو بالإيطالية ؟!
ثم تطلب منه استعمالها فى جملة أخرى مختلفة حتى تستوعب
المعنى تماماً .. و الكلمة التى تسأل عنها مرة لاتعود فتسأل عنها
مرة أخرى لأنها تكون (خلاص ، وصلت) .. وبعد أقل من سنة
واحدة كانت « إيمان » تتكلم اللغة العربية بالمستوى الذى سمعتها
به وكأنها عاشت فى بلد عربى لمدة خمس سنوات ، ويشهد على
ذلك شريط التسجيل الذى عليه حديثى مع « إيمان » كاملاً ..

ولما رأى زوجها هذا الإقبال منها على تعلم اللغة العربية
كلاماً ، علمها هو أيضاً الحروف الأبجدية العربية لتستطيع أن
تكتب اللغة العربية وتقرأها أيضاً .. لكن ذلك فى مرحلة البداية
تماماً الآن « إيمان » تتعامل الآن مع بساطة الإسلام ويسره وسهولته ..
وكما أفهمتها حماتها أن (الدين يسر) .. لذا فهى ليست محبة ،
لكن من المؤكد أن نوعية الأزياء والفساتين التى كانت ترتديها قبلاً
قد تغيرت الآن إلى حد ما ..

ولم تتعب « إيمان » أو « بيقرلى » فى محاولة التأقلم هذه لأنها
كانت بطبيعتها مختلفة إلى حد كبير عن طبيعة البنت الإنجليزية أو
الأوروبية العادية ، لأنها حتى من قبل إسلامها وهى تعتبر نفسها
(محافظة) إلى حد كبير فى ملابسها ..

وفى شهر رمضان الذى كان أول رمضان يجىء على « إيمان »
وهى مسلمة ؛ صامت إيمان أسبوعا كاملا فى بداية رمضان .. لكن
لأن الصيام كان جديدا عليها تماما ، ويوم الصيام هنا فى بريطانيا
متعب تماما حتى لنا نحن المسلمين أصلا ، لأن مدته أكثر من ١٨
ساعة متصلة ؛ لذا فإن « إيمان » لم تستطع أن تتحمل صيام أكثر
من أسبوع واحد ثم لم تعد قادرة على أن تستمر فى الصيام .. فرأت
أن تؤجل صيام باقى الشهر إلى « عدة من أيام آخر » تصومها
متفرقة حتى تعتاد على الصيام ، وحين يأتى رمضان التالى تكون
قد هأت ودربت نفسها على احتمال الجوع ، فتصوم رمضان
بأكمله متصلا ، و : الإسلام دين يسر ، ولا يعنى تعذيب الناس ،
خصوصاً المسلمين الجدد ، فى بداية إسلامهم ..



« إيمان » و« محمد » يفكران الآن فى أن يذهبا إلى مصر
ليستقرا هناك وينقلا حياتهما تماما إلى هناك .. و« إيمان » هى
صاحبة الفكرة بعد أن أصبحت مسلمة .. لأنها تتمنى أن تقضى
باقى عمرها فى وسط الجو الذى أحبه والناس الذين عاشرتهم
وأحببتهم وتعلقت بهم ، والديانة الجديدة التى أحببتها فاخترتها
لنفسها ..

ولأن « إيمان » فتاة نكية ، فهى لا تريد أن تذهب إلى مصر
لتعيش هناك وهى تتكلم اللغة العربية ولكنها « الخواجاتى » التى
تتحدث بها الآن ، لذا فهى تقول لى إنها سمعت أن هناك فصلا
لتعليم اللغة العربية للأجانب فى [المركز الثقافى المصرى] فى

لندن .. وأنها حين عرفت من زوجها أن الصحفي الذي سيلتقيان
به - كاتب هذا الموضوع - مصرى - لذا قررت أن تنتهز هذه
الفرصة لكي تطلب منى مساعدتها فى الإلتحاق بهذا
الفصل !!

تائه
فلی
پاریس !



مطب غريب وقعت فيه فى الأسبوع الماضى بسذاجة شديدة ، أولفرط إطمئنأتى إلى أن شكل العمل فى أوروبا لا يسمح بمثل هذا النوع من المطبات ، واطمئنأنا أيضاً إلى إجادتى للغة الفرنسية فى حدود ٦ كلمات :
 بونچور - بونسوار - ميرسى - مدام - مدموازيل -
 بريچيت باردو !!



كنت أغير طائرتى فى باريس فى طريق عودتى إلى القاهرة .. وكانت فترة الإنتظار بين الطائرتين نحو ٣ ساعات نقضيها فى صالة [الترانزيت] فى مطار [شارل ديغول] الشيك جدا الفاخر جدا المنظم والمنظم جدا .. وقضيت الـ٣ ساعات فى صالة [الترانزيت] أقرأ وأكتب وأملأ عينى من الحسنات الفرنسية قبل عودتى إلى المحجبات والمنقبات فى مصر ، وبين حين وآخر أنظر إلى شاشة [المونيتور] التى تظهر عليها مواعيد قيام الطائرات أترقب ظهور رقم رحلتى إلى القاهرة وبوابة المطار التى سأدخل منها إلى الطائرة .. لكن رقم رحلتى لم يظهر على شاشة [المونيتور] ..

وحين جاءت الساعة ٤,٤٠ عصراً ، وموعد طائرتى الساعة

٤,٤٥ ، وظهرت على شاشة [المونيتور] كل الرحلات التي تغادر مطار [شارل ديغول] حتى الساعة مساءً ، ألهمني الله أن أذهب إلى [كاوتر] من مكاتب شركة [إيرفرانس] التي أسافر على طائرتها ، وأسأل الموظفة الحسنة : « أين رحلتى إلى القاهرة ؟ إن موعدها بعد ٥ دقائق ولم تظهر على شاشة المونيتور حتى الآن .. فهل أنا فى مكان خطأ ؟! » .. فنظرت الموظفة الحسنة إلى تذكرنى وقالت لى فوراً : « أنت فعلاً فى مكان خطأ .. فأنت فى [تيرمينال D3] والمفروض أن تكون فى [تيرمينال C2] .. لذا فلن تظهر رحلتك على شاشة المونيتور هنا حتى لو انتظرت ٦ سنوات .. وطائرتك نودى عليها فعلاً فى [تيرمينال C2] والركاب جميعاً صعدوا إليها الآن وباقى على موعد إقلاعها ١٠ دقائق فقط .. وأنت وحظك ، بالحققتها يا مالحقتهاش !!!

وأشارت لى الموظفة الحسنة إلى المكان الذى أخرج منه إلى [تيرمينال C2] .. فجريت جرياً حتى وصلت إلى خارج [تيرمينال D3] الذى كنت فيه ، وسألت موظفة حسنة أخرى عن باب الخروج - وكلهن حسناوات ، بشدة - فقالت لى نفس الكلام أن طائرتى موشكة على الإقلاع الآن فعلاً من [تيرمينال C2] .. ورفعت الحسنة سماعة التليفون بسرعة واتصلت بـ [تيرمينال C2] وطلبت منهم أن يؤخروا الطائرة للحظات قليلة حتى يصل إليهم الراكب الذى كان تأنها .. وطلعت هى تجرى أمامى لى تضعنى فى أوتوبيس من أوتوبيسات المطار الداخلية لى أركبه وحدى ، وأفهمت الحسنة سائق الأوتوبيس الموقف

فطار بى فى ساحة المطار وكأنه فى سباق للسيارات ، حتى أنزلنى أمام [تيرمينال C2] وهو يتمنى لى أن ألحق بالطائرة .

وبعجده أن دخلت [تيرمينال C2] - وكان خاليا تماماً تماماً لأن كل الركاب كانوا قد صعدوا إلى الطائرة - حتى جاءت موظفة حسناء أخرى - وكلهن حسناوات ، جدا - تجرى لتسألنى بلهفة إذا كنت أنا « مستر كادرى » ؟! ثم طلعت تجرى قدامى لكى توصلنى إلى الطائرة وهي تشير من خلال الجدار الزجاجى إلى قائد الطائرة التى كانت قد بدأت فى التحرك فعلاً .. فتوقفت الطائرة وتراجعت قليلاً حتى انضبطت مرة أخرى أمام بوابة الدخول إلى الطائرة ، وأنا أجرى ملهوفاً وأنا أحمل ٢ هاندباج وشنطة أوراقى + شنطة بلاستيك كبيرة فيها هدايا + البالطو ، وقد ظننت أن الطائرة لن تتوقف .. واستقبلتنى عند مدخل الطائرة ٤ مضيفات حسناوات زى القمر وكلهن مبتسمات يرحبن بى ويهدئننى دون أن يطلقن على الرصاص لأننى أغرت الطائرة عن موعدها .

وقالت لى واحدة منهن بابتسامة رقيقة حانية وكأنها تعنى ماتقول فعلاً : « كنا برضه سوف ننتظرك حتى تجىء ، فلم يكن ممكناً أن نطير من غيرك » !!..ولو كانت الطائرة من طائرات الشركة بتاعتنا لكان الطيار قد يطحنى ومساعدده قد شتمنى والمضيضة قد عضتني فى سمانة اجلى !!

هل مطلوب
من المدرس
أن يقوم
بـ دور
بابا وماما ؟!





جامعة أوكسفورد هي أقدم وأعرق الجامعات في العالم بعد الأزهر ، فقد بدأت في عام ١٢٥٠ ، يعنى أن عمرها الآن نحو ٧٥٠ سنة .. وهى - كالأزهر - قد بدأت كجامعة دينية فقط لدراسة (اللاهوت) ، ثم تحولت - كالأزهر أيضاً - إلى جامعة عامة تدرس فيها كل فروع العلوم من أدب وعلوم وطب وهندسة ، وإن بقى فيها على الهامش - كالأزهر كذلك - قدر طفيف من العلوم الدينية ..

فى عام ١٩٨٤ كنت أجرى حديثاً مع وكيل جامعة أوكسفورد فى مكتبه فى الجامعة ، وهو فى نفس الوقت عميد كلية [لينكر] فى الجامعة .. وأدرت جهاز التسجيل بيننا وبدأت أوجه إليه أسئلتى باعتباره « بروفيسور چون بامبرا » ، لكنه استوقفنى بهدوء ليوضح لى أنه ليس (بروفيسور) !! فأدهشنى جداً أن يكون نائب رئيس جامعة أوكسفورد ، أو المدير الفعلى لأعرق الجامعات البريطانية لا يحمل لقب (بروفيسور) أو (أستاذ) .. فتواضعت قليلاً وخاطبته ب : « دكتور بامبرا » .. لكنه استوقفنى مرة أخرى ،

بهذوء أيضاً ، ليوضح لى أنه ليس (دكتوراً) ولا يحمل درجة
(الدكتوراه) ، وأننى أستطيع أن أخاطبه بـ : « مستر بامبرا » فقط
بدون ألقاب علمية !!

لكن ، هذه هى بريطانيا .. إنما نحن العرب مغرمون بالألقاب
مولعون بالتسميات الضخمة الفخمة الخطيرة : (سيدة الشاشة
العربية) و(وحش الشاشة) و(فتى الشاشة الأول) و(نجمة
الجماهير) و(العنديل الأسمر) و(قارورة العسل) و(كوكب
الشرق) و(أمير الشعراء) و(شاعر النيل) و(شاعر القطرين)
و(مطرب الملوك والأمراء) ثم (الموسيقار اللواء الركن الدكتور
محمد عبدالوهاب) و و و ...

ومن هذه التسميات الشيك الفاخرة أن نسمى وزارة التعليم
(وزارة « التربية » والتعليم) .. ثم نخلط خلطاً شديداً بعد ذلك
حين نتوقع أن تقوم وزارة « التربية » بتربية أولادنا نيابة عنا فى
المدرسة ، فنكف نحن عن تربية الأولاد فى البيوت اعتماداً على
أن الوزارة تقوم بذلك فى المدرسة .. ويتسبب ذلك فى الكارثة التى
نحن فيها الآن ونحن نواجه جيلاً بأكمله لم تربه أسرته فى البيت
ولم تربه الوزارة فى المدرسة .. فضاع الجيل كله بين المدرسة
والبيت وأصبح هو مانراه أمام أعيننا الآن ..

المدرس قد يكون قدوة وقد لا يكون .. قد يحبه تلامذته
ويحترمونه ويقتدون به ، وقد يكرهه تلامذته ولا يحترمونه
ولا يقتدون به ، لأنه فى النهاية بشر وليس نبيا ولا رسولا
ولا ملاكا نازلا من السماء .. لكن فى كلتا الحالتين فإن تلاميذه

(يتعلمون) منه وهذه هى مهمته الأساسية : التعليم .. ولا يتوقع أحد من المدرس أن يقوم فى المدرسة بدور بابا وماما فى البيت ؛ بينما بابا وماما قاعدين فى البيت حاطين رجل على رجل وفى بطنهم بطيخة صيفى إن المدرس والمدرسة يترى الأولاد بالنيابة عنهم .. فتكون النتيجة أن الأولاد يربون بعضهم بعضا ويعلمون بعضهم ويعتدون ببعضهم .. والقذوة السيئة دائما أسهل كثيرا من القدوة الطيبة ، والشر والأنانية والغطرسة والغرور أقرب إلى نفوس الأولاد والبنات المراهقين والمراهقات من الأدب والذوق وحسن التعامل .. ولا يفيق الأب والأم من وهم وزارة « التربية » إلا بعد أن يذبح ابن أمه بالسكين ثم يجلس بهدوء ليتناول الغداء الذى كانت قد أعدته له أمه [حادث المنيل] ، أو بعد أن يضرب ابن أمه ١٠ رصاصات وهى راكعة تصلى على سجادة الصلاة [حادث المذيعة سعاد حسن] ، ثم بهدوء جدا يعيد ملء خزانة المسدس بـ ١٠ رصاصات أخرى هى نصيب الأب الدكتور الأستاذ الجامعى .. وعشرات ومئات وآلاف من مثل هذه الحالات التى نشرتها الصحف والتى لم تنشرها ..

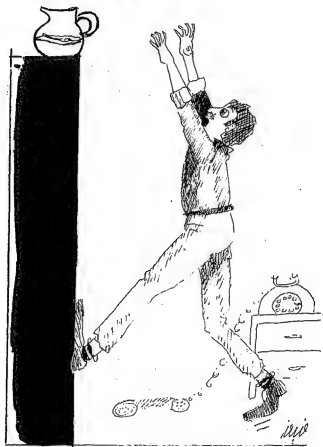
كنت أזור قريبا لى ، أحد كبار رجال وزارة « التربية » والتعليم ، فى بيته .. فسألت ابنته التلميذة فى سنة أولى ثانوى : « عاملة إيه فى المدرسة ؟ » فكان ردها : « هم مدرسينا بيععرفوا حاجة ؟ أصل مدرسينا دول بهائم !! هكذا .. والأب « التربوى » والأم جالسين يستمعان إلى « أدب » ابنتهما المترببة دون أن يشخط فيها واحد منهما .. والمصيبة أن الأب مدرس من الذين صنفتهم ابنته المهذبة بأنهم (بهائم) ، والأم ست بيت متفرغة .. ماذا يمكن

أن نتوقع من هذه البنت - ومثيالتها - عندما تتخرج وتتوظف؟! ستظل طوال عمرها هكذا ، لأن أحدا في البيت لم يربها ولم يقومها حين بدأت تعوج ..

المؤسف جدا ، جداً ، أن هذا الجيل الذى نواجهه الآن هو الذى سيتزوج وسينجب جيلاً ألعن منه ، ثم جيلاً ألعن وجيلاً ألعن .. إلا إذا .. إلا إذا صححنا الوضع الغريب المقلوب وعدلناه ، وأعلنناها صريحة واضحة أن تربية الأولاد هى مهمة البيت وليست مهمة المدرسة .. لأن الأب عليه واجبات أخرى نحو الأبناء غير (الصرف عليهم) .. والأم إذا كان كل دورها فى البيت هو أن تطبخ وتغسل وتكوى وتنظف البيت ، فهى إذن خادمة أو طبخة أو غسالة وليست أم .. الأم - كما قال الشاعر القديم - « مدرسة إذا علمتها أنجبت شعباً طيب الأعراق » ..

التربية هى واجب الأب وواجب الأم فى البيت .. فإذا إختل الوضع فى البيت ولم يجد الابن - والبنت - من يربيهما فى البيت فماذا نتوقع منهما؟! سيأخذان (قلة تربيتهما) معهما إلى خارج البيت ، وتصبح ظاهرة ، وتصبح هى القاعدة ، ويصبح الجيل كله (عديم التربية) .. وذلك هو الحادث الآن ، للأسف الشديد ..

لامرئضا
ولا على
سفر!!



واشنطن .. رمضان صيف ١٩٧٧ ..



كانت السن المحددة لبدء تعويد الأطفال على الصيام
في أسرتنا هي سن الثامنة .. جدتي جعلت أمي
تصوم وهي في سن الثامنة ، وعلمتنا أمي أن نصوم
ونحن في هذه السن ، ولم تكن تقبل أى عذر أو حجة
أو مبرر للتعلص والتهرب من الصيام ونحن
أطفال ..

وقد ظلت هي نفسها طول عمرها تصوم شهرا آخر متصلا كل
سنة وتصلى الفرض الواحد مرتين في اليوم الواحد ، سداداً لدين
الثمانى سنوات الأولى من عمرها التى لم تصم فيها ولم تصل
خلالها وهي طفلة ، على اعتبار أنه ينطبق عليها [فعدة من أيام
آخر] .

ومنذ بدأت الصيام وأنا في الثامنة من عمرى لم أفطر يوماً
واحدا مهما كانت الظروف أو الأسباب .. لا وأنا مسافر على طائرة
أفطرت ، ولا وأنا مسافر على سفينة أو باخرة أفطرت ، ولا وأنا
مسافر في قطار أو بأى وسيلة سفر أخرى أفطرت .. ووجهة
نظرى في ذلك أن السفر هذه الأيام متعة وراحة وليس فيه أى قدر

من المشقة التى كانت قديما والتى أباح الله من أجلها أن يفطر المسلم المسافر [فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] ، ولم أمرض فى حياتى والحمد لله الممرض الذى يرغمنى على الإفطار ..

الإيوما واحدا فقط فى حياتى كلها لم أكن فيه مريضا ولا على سفر ، ومع ذلك فقد أرغمت نفسى على أن أخرج عن صيامى وأفطر فى العاشرة صباحا .. فقد أحسست أننى سوف أختنق وأموت إذا لم أفعل ذلك .. وأن أفطر يوما واحدا وأعوضه بعد ذلك بيوم أو بأيام أخر ، خير من أن أموت [فطسان] بلا أى سبب يدعو للموت مبكرا هكذا !! ورغم أننى قد عوضت ذلك اليوم بأسبوع كامل من [الأيام الأخر] بعد ذلك ، إلا أن ضميرى المسلم لم يكف عن تأنيبى عنه من يومها حتى الآن . ١

كنت فى واشنطن فى مهمة صحفية .. وحين أكون فى مهمة صحفية خارج بلدى فإن العمل بالنسبة لى يكون ٢٤ ساعة فى اليوم .. أتحوّل كلى إلى أجهزة التقاط وتسجيل ورصد وتحليل وتدوين وتصوير واختزان ٢٤ ساعة فى اليوم ، بحيث أنسى الأكل والشرب والنوم وكل الأشياء الأخرى ، ماعدا الشغل .. وأفرح - حقيقة - إذا جاء شهر رمضان على وأنا فى مهمة صحفية خارج الوطن ، لأنه يعفنى من مسألة التفكير فى الوجبات الثلاث و « آكل إيه ؟ » و « آكل فىن ؟ » .. ولأن مواعيد الإفطار والمبحور عادة لا تتفق مع أى مواعيد للوجبات الأوروبية ، وبالتالي لا يمكن أن أكون مدعوا إلى غداء أو عشاء .. اللهم إلا إذا كان فى البلد الأجنبى

الذى أنا فيه عدد من الأصدقاء المسلمين يدعوننى إلى الإفطار معهم أو عندهم .. الإفطار فقط طبعا وليس السحور .. وذلك عموما لا يحدث كثيرا .. لذا فقد اعتدت إذا كنت أقيم فى فندق أن أطلب أن تترك لى وجبة العشاء فى غرفتى لتكون هى إفطارى إذا حان موعد الإفطار . وفى الموعد المحدد للسحور أطلب من الـ [روم سيرفيس Room Service] أو [قسم خدمة الغرف] وجبة خفيفة تكون هى سحورى .. أما إذا كنت أقيم فى شقة مفروشة مستقلة فإننى أضع فى ثلاجتها ومطبخها أى شئ يمكن أن يؤدى الغرض ، فإننى بطبيعتى لست أكلولا ، والأكل بالنسبة لى مسألة ثانوية تماما ..

المهم .. فى واشنطن فى صيف ١٩٧٧ كنت أسكن فى شقة صغيرة ، وضعت فى مطبخها بعض المعلبات من أجل السحور ، وأتناول إفطارى فى أى مطعم مفتوح يصادفنى فى طريقى إذا حان وقت الإفطار .. وظللت استهلك الأشياء التى وضعتها فى دولااب المطبخ شيئا فشيئا ويوماً بعد يوم دون أن أنتبه إلى زيادتها أو شراء بدلها .. حتى كانت ليلة عدت فيها إلى شقتى مرهقا مكدودا كالعادة بعد يوم عمل شاق ، وجلست لأكتب حتى الثانية صباحا حين رن جرس المنبه يذكرنى بموعد السحور ، فقممت وفتحت دولااب المطبخ لأخرج منه أى شئ أسحر به ، لكننى فوجئت به خاليا تماما إلا من علبة واحدة بها [أنشوجة] .. وكنت لم أدق الـ [أنشوجة] من قبل وليس لدى أى فكرة عنها إلا أنها نوع من [السلمون] أو السمك المعلب .. ففتحت العلبة وأكلت ما بها وحمدت ربنا ونويت الصيام ، وعدت الى الكتابة حتى انتهيت منها فدخلت لأنام ..

واستيقظت في الصباح مبكرا جدا عن الموعد الذي كنت أقدره ، لأنني شعرت كأن قطعة كبيرة من الخشب الخشن قد وضعت في حلقي وأنا نائم !! وأحسست أنني أكاد أختنق وأنني لا أستطيع حتى أن أبتلع ريقى ، فلم يكن هناك ريق أصلا لكي أبتلعه !! ولم أعرف ماذا أفعل ، فاتصلت بالتليفون بصديقي الدكتور محمود مراد وهو طبيب كبير وأستاذ في كلية الطب بجامعة [جورج تاون] ، وحكى له بصوت متحشرج لا يكاد يخرج من حلقي .. وكان أول سؤال سألته : ماذا أكلت ؟ قلت له : أنشوجة ، فقال ضاحكا : يامفترى .. حد في الصيام يتسحر أنشوجة ؟ وأكلت علبه بحالها كمان ؟! .. لازم تفطر ، أو على الأقل تشرب ماء حتى تبرد النار التي في حلقك وفي جوفك ..

وظللت أكثر من ٣ ساعات وأنا أقاوم .. لكن مقاومتي انهارت تماما حين شعرت أنني موشك على الاختناق وأنني لن أستطيع أن أصمد ١٠ دقائق أخرى ، فما بالك بعشر ساعات مازالت باقية حتى بحين موعد الإفطار ..

ولم أتناول يومها غير الماء فقط .. لكنني من وقتها حتى الآن وأنا لا أقرب [الأنشوجة] لا في رمضان ولا في أى شهر آخر من شهور السنة .. وكفى الله المؤمنين شر الإفطار !!

أعطينا
ظهـورنا
للشمس
وأفطرنا !!



12/1/14



صمت رمضان فى ١٨ دولة ..
فى كل مرة كنت أخرج فيها من مصر فى رحلة صحفية
طويلة كنت أخرج وفى ذهنى وفى ترتيبى أن أنهى رحلتى فى
وقت مناسب يتيح لى العودة الى الوطن قبل حلول شهر
رمضان ، حتى أقضيه وأصومه واحتفل به فى بلدى .. لكن فى
كل مرة كان الترتيب يخيب .. وهكذا فقد قدر لى أن أصوم شهر
رمضان فى ١٨ دولة أغلبها أوروبية وأقلها عربية ..

صمت وأفطرت رمضانات على موائد متأرجحة مع كل خطوة
على سفن شهدت غروب الشمس فى المحيط الأطلنطى وفى بحر
البلطيق وفى بحر الشمال وفى القنال الإنجليزى وبحر المانش وفى
خليج البسكاي وفى قناة « كيل » الألمانية وفى البحر الأبيض وفى
البحر الأحمر .. ست مرات أخرى ماكنت أفطر فى السفر ، لأننى
اعتبر الطائرة فى عصرنا هذا ليست سفرا فيه مشقة تضطرنى إلى
الإفطار .. منها مرة كنا نطير فى اتجاه عين الشمس فى طريقنا
إلى النرويج فى سقف العالم ، وجاء الموعد المفروض للإفطار
والشمس مائلة للمغرب لكنها لاتغيب .. وظللنا نحملق فيها ونحملق
فيها بعينها الحمراء الوردية ٦ ساعات كاملة حتى نزلنا من الطائرة
فى مطار « أوسلو » والشمس لازالت مفتجلة أمامنا .. فأعطينا ظهورنا
للشمس ، وأفطرتنا !!

على سفن ركاب عربية كبيرة كانت الوجبات اليومية الثلاث تقدم في مواعيدها المعتادة لأن الركاب الأجانب كانوا أغلبية والمسلمون عددهم قليل .. ثم تنعقد الموائد مرة أخرى لوجبتين إضافيتين : الإفطار والسحور : الذى كان يجمع إلى جانب الركاب المسلمين طاقم السفينة وقبطانها وجميعهم مسلمون أيضا .. فلم يتخلف واحد من الركاب الأجانب عن الوجبتين الإضافيتين !!

●
رمضان الحالى هو رمضان رقم ١٨ الذى أصومه فى بريطانيا .. رمضان فى الغرب ، أو لنقل فى أوروبا ، يختلف كثيرا عنه فى بلادنا العربية .. فى الوطن نبدأ نشعر برمضان قبل مقدمه بشهر : ليلة أول شعبان ، ليلة النصف من شهر شعبان .. أحياءنا الشعبية فى مصر تبدأ تلبس زينتها وتضيء أنوارها استعدادا لرمضان .. فوانيس رمضان الملونة تأخذ أماكنها فى واجهات المحلات .. محلات [السمكرية] العمل فيها قائم على قدم وساق ، والقطع الصغيرة تتجمع وتتجمع وتخرج منها فى النهاية فوانيس ملونة كبيرة وصغيرة ومتوسطة ، هى شعار رمضان عند أطفالنا .. وسهرات رمضان حتى الصباح فى الأحياء الشعبية والأهازيج والذكر والدرايش .. وموائد الإفطار والسحور تجمع الأهل والأصدقاء والأحباء والخلان .. والذين لم يلتقوا طوال العام يلتقون فى رمضان .. وتمتلىء المساجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح وبينهما تلاوة القرآن الذى هو الوجهة الأساسية للمشاعر والأحاسيس والقلوب العطشى دائما إليه ولا ترتوى منه أبدا ..

رمضان رمضان رمضان .. أين أنت الان منا يا شهر رمضان

وأيّن نحن منك في هذه الغربة المثلجة الباردة العواطف والمشاعر ،
في هذه البلاد التي لاتعرف من الشهور غير [جانيفورى]
و [ماى] و [چون] و [جولاي] و [أوجست] وعمرها ما
سمعت عن رمضان ولا كان رمضان يعنى شيئاً بالنسبة إليها ..
لكنه شهر الشهور بالنسبة إلينا سواء كنا فى الوطن أو فى الغربة ..



نهار رمضان فى أوروبا فى فصل الصيف طويل جدا .. هل
يعرف أحد أن المسلمين الصائمين فى (جلاسجو) باسكوتلندا أو
فى (بلفاست) فى أيرلندا تغيب الشمس عندهم ويفطرون بعد
العاشرة مساء بسبع دقائق ؟! .. هل يعرف أحد أن المسلمين
الصائمين فى مدينة لندن ومدينتى (برايتون) و (بورتسموث)
القريبتين منها ، يحسدهم باقى مسلمى بريطانيا لأنهم يفطرون قبل
الجميع : يفطرون فى التاسعة و ٢٢ دقيقة مساء ، فى حين يفطر
المسلمون الصائمون فى مدن أخرى مثل (دارهام) مثلا أو
(نيوكاسل) أو (لانكاستر) فى العاشرة إلا عشر دقائق مساء !!

إمساكية شهر رمضان فى بلادنا العربية تبين عادة مواعيد
الإفطار فى عاصمة البلاد القاهرة مثلا ، و « على المقيمين خارجها
مراعاة فروق التوقيت » .. هل رأى أحد فى مصر أو فى بلادنا
العربية الإمساكية الإنجليزية على سبيل المثال ، التى تبين مواعيد
الإفطار والسحور والإمساك فى أهم ١٧ مدينة إنجليزية بها جاليات
مسلمة لكى تكون الإمساكية التى فى يد المسلم الصائم فى
(برمنجهام) هى نفسها التى فى يد المسلم الصائم فى (ليڤرپول)

أر (مانشستر) أو (كاردف) أو (أوكسفورد) أو (بريستول)
أو (ليدز) ..



كل سنة وأنتم طيبون من لندن ، لكن شهر رمضان القادم
على أسنة الرماح سوف أقضيه في مصر .. سوف أنصب خيمة
في سيدنا الحسين أو في حنتى القديمة في حى السيدة زينب ،
و « أعسكر » فيها طوال رمضان القادم .. لكننى لن أقضى
رمضاننا واحدا في الغربية بعد الآن !!

رمضان
في القرية
٣٨ يوما !!



رمضان هنا فى أوروبا طعمه مختلف ..
المسلمون هنا فى الغربية يبذلون جهداً كبيراً لكى
يشعروا أنفسهم برمضان .. بعد الجهد الكبير يجيء
طعم رمضان هنا فاتراً هادئاً تنقصه الحرارة
وتنقصه الأصالة وينقصه الدفء وتنقصه
« الجغرافيا » .. ينقصه « الموقع » ..



رمضان فى مصر وفى البلاد الإسلامية صاحب بيت ونحن أهله
وأسرته وذووه .. رمضان هنا ضيف يرتدى ثياباً إفرنجية
أوروبية .. نبذل جهداً كبيراً فى الترحيب به لكنه يظل ضيفاً
أوروبياً : لاهو صاحب بيت ولانحن فى هذه البلاد أصلاء ، إنما
نحن ضيوف مثله تماماً .. هو إذن [ضيف على ضيوف] وكلاهما
يشعر أنه غريب الدار .. نحرص على أن نلتقى دائماً حول مائدة
الإفطار ، داعين أو مدعوين .. وقد نسهر سهرة غالباً لاتطول لأن
مواعيد العمل هنا فى الصباح التالى لاترحم وليس فيها هزار ،
ورمضان ليس عذراً مقبولاً هنا .. وبمجرد أن تنتهى السهرة
الرمضانية ونخرج من باب البيت الذى جمعنا ، تلسعنا مرة أخرى
برودة البلد الأوروبية والشوارع الخالية الساكنة خابية الأضواء التى

تعيدنا إلى واقعنا الأوروبي مرة أخرى .. ومع ذلك فإنه هو أضعف الإيمان ان نلتقي نحن المسلمين الصائمين حول موائد الإفطار في بيوتنا مع الأصدقاء ، أو في بيوت الأصدقاء .. ذلك هو أضعف الإيمان .. لكن الأصدقاء هنا لسوا هم الأسره التي يلتئم سملها في رمضان .. لذا فنحن نصوم هنا بأجسادنا لكن قلوبنا وعيوننا ومشاعرنا بعيدة محلقة فوق أرض الوطن وبيوت الوطن وشوارع الوطن ، والأهل والأحباب والاصحاب والخلل ، والذكريات ، في الوطن ..

●
وشهر رمضان غالبا مايجيء ٢٩ يوما ، وإذا لم تمامه واكمل فهو يكون ٣٠ يوما ، ثم يأتي العيد .. فهل سمع واحد منكم أن شهر رمضان قد زاد على ذلك. أبداً ؟! أو أن العيد قد تأخر عن ذلك أبداً ؟! .. أنا قد حدث ذلك معي في غربتنا المثلجة هذه في بلاد الإنجليز : لم يصل العيد إلى باب بيتي إلا بعد ٣٨ يوما من الصيام دون أن يكون هناك « عدة من أيام أخر » !! ذلك هو حالنا في ديار الغربه ، حين نشعر دائما أننا غرباء في بلاد غربية ، وأن أعبادنا أيضا غريبه في بلاد غربية !!

●
الزمان والمكان : لندن ، في صيف عام ١٩٧٩ ..

كنت لا أكاد أخرج من باب بيتي ، لأنني كنت مستغرقا تماما في تأليف كتاب جديد .. أحب شهر رمضان وأحب الصيام فيه وأستريح إليه ، صحيا ونفسيا .. ومنذ علمتني أمي الصيام وأنا في الثامنة من عمري لم أفطر في حياتي كلها إلا يوما واحدا لعلمكم قد قرأنم قصده في فصل سابق .. إنما في صيف عام ١٩٧٩ كنت

مغلقا باب بيتى على نفسي لكى أنتهى تماما من تأليف الكتاب قبل أن ينتهى رمضان .. لأزور ولا أزار .. ترك لى الأصدقاء المحيطون بى الوقت لأكتب ، وحين أنتهى من الكتابة سأعاود أنا الانصال بهم .. كثر خيرهم ..

« سوزانا روبرتسون » زميلة صحفية كندية كانت نمر بلندن لليلة واحدة فى طريقها إلى [فرانكفورت] فى ألمانيا ، ولم تكن تعرف أننى « معتكف » فاتصلت بى وجاءت وزارتنى .. ورغم أننا أصدقاء وزملاء منذ أكثر من ١٠ سنوات - وقتها - إلا أنها كانت أول مرة فى حياتها تلتقى بمسلم فى حالة صيام .. كانت مذهشة فى البداية ، ثم أصبحت مبهورة بتلك الفكرة التى تدعو المسلم إلى أن يجوع شهرا فى السنة لكى يحس ويشعر بمشاعر وأحاسيس أولئك الذين تضطربهم ظروف الحياة وتقسيماتها إلى أن « يجوعوا » كل شهور السنة !! .. أعجبتها تماما أيضا فكرة [الإمساكية] التى رأتها عندى والتى تبين مواعيد الإفطار والسحور والإمساك .. وحين نزلت « سوزانا روبرتسون » من عندى فى اليوم التالى أخذت معها [الإمساكية] لكى تريها لأصدقائها وأسرتها عند عودتها إلى كندا ، وتحكى لهم ما سمعته منى .. وسافرت « سوزانا » ، وعدت إلى عزلتى واستعراقى فى الكتابة من جديد ..



بعد أكثر من أسبوعين ، صديقة صحفية سورية تعيش فى لندن ، اتصلت بى تسألنى عن أخبار كتابى الجديد ، وندردش معا قليلا ثم تدعونى للغداء معها فى اليوم التالى ، فأعتر لها بأننى

صائم .. أتصور أن سابع جار لها قد سمع شهقتها ثم ضحكاتها
المجلجلة وهي تقول لى : « إنت لسه صايم لحد النهاردة ؟! هل
تنوى أن تصوم الدهر كله أم هي عدة من أيام آخر ؟! رمضان
قد انتهى وفات منذ ثمانية أيام يا صديقي » !!

دكتور حسن
جاء من
ليفربول
ليقابل
عبد الوهاب !



قال الصديق المشترك وهو يقدمه لى خلال ندوة
أقامتها جامعة ليقرپول :



- الدكتور حسن المعصرانى الطبيب السورى الشهير
فى ليقرپول ..
قلت مرحبا :

- أهلا وسهلا .. تشرفت بمعرفتك ،
قال الصديق المشترك يقدمنى أنا هذه المرة .
- الأستاذ حسين قدرى ، الصحفى المصرى .
لم يقل الدكتور « حسن المعصرانى » لا أهلا ولا سهلا ولا أنه
تشرف بمعرفتى ولا حاجة أبدا ، لكنه قال بلهفة :
- صحفى مصرى ؟ .. بالله عليك تقدر تعرفنى بالموسيقار
عبدالوهاب !!

قلت مندهشا :

- ممكن طبعا .. لكن ليه ؟ ما الذى تريده من عبدالوهاب ؟
وسهرت ليلتها فى بيت الدكتور « حسن المعصرانى » أشهر

أطباء مدينة ليثربول الإنجليزية ، وهو يغنى لى بصوته أغنيات عبدالوهاب القديمة وأغنيات أم كلثوم القديمة والحديثة .. وعلى امتداد خمس سنوات بعد ذلك اعتدت أن أقضى عطلة نهاية الأسبوع عدة مرات كل سنة معه فى ليثربول ، واعتاد هو ألا يأتى إلى لندن دون أن يرانى ، وحديثنا الواحد الدائم الذى لا يتغير ولا يمله ولا يشبع منه هو : محمد عبدالوهاب .. ●

كان أمل حياة الطبيب « حسن المعصرانى » أن يرى ويلتقى شخصيا بالموسيقار « محمد عبدالوهاب » .. ولأنه كان يتصور أن المسائل سهلة إلى هذا الحد ، فقد كان يلح على دائما فى أن أوجه - نيابة عنه - الدعوة للموسيقار « عبدالوهاب » ليذهب لزيارة الدكتور المعصرانى فى ليثربول وينزل ضيفا عليه فى بيته !! وكنت دائما أشرح له أن مع « عبدالوهاب » بالذات لاتأتى المسائل هكذا ، فيعدل عن طلبه أو يعدل طلبه ، ليلح على أن أقدمه إذن للموسيقار « عبدالوهاب » فأقول له : إن ذلك ممكن لكن على شرط أن يحدث ذلك فى القاهرة ، لأن انجلنرا لبست من البلاد التى فى خطة ولا مشروعات عبدالوهاب السياحية .. بمعنى أننى أستطيع تقديمه وتعريفه بعبد الوهاب فى القاهرة فقط ..

حتى كان الأسبوع الماضى ، حين اتصل الدكتور المعصرانى بالتليفون ليسأل عنى فى بيتى فى لندن ، فعرف أننى موجود فى القاهرة فى أجازة سريعة ، ففوجئت به يتصل بى فى القاهرة ليقول لى :

مش أنت وعدتنى بأن تعرفنى بالأستاذ عبدالوهاب عندما تكون فى القاهرة ؟

- نعم ، ومازلت عند هذا الوعد .

- إذن لو جئت إليك فى القاهرة ستعرفنى به ؟!

ظننته يمزح ، فالمسافة بين مصر وانجلترا ولبست بين شبرا
والعتبة .. فطلبت منه - عزومة مراكبية - أن يحضر إلى
القاهرة .. وقبل أن تمضى ٤٨ ساعة كان جرس التليفون يدق فى
بيتى فى القاهرة ويأتينى من خلال السماع صوت الدكتور
« المعصرانى » يتكلم من فندق على بعد ٣ دقائق من بيتى .. جاء
« حسن المعصرانى » من ليفرپول إلى القاهرة فعلا ، لكى يرى
محمد عبدالوهاب !!

ثم ألتق بعبدالوهاب منذ ٤ سنوات كاملة .. آخر مرة التقينا
فيها كانت حين أجريت معه حديثا لجريدة « المنار » اللندنية .. كنت
أخشى الا يتذكرنى .. لكن على أى حال لم تكن هذه هى المشكلة ،
إنما كانت المشكلة هى فى الاتصال به تليفونيا .. تليفونه مشغول
باستمرار كل ساعات الليل والنهار .. فلما بحثت ودققت اتضح أنه
ليس تليفون « عبدالوهاب » هو المشغول وإنما السنترال الذى يتبعه
تليفون بيته والسنترال الذى يتبعه تليفون بيتى هما المتخاصمان
وفشل المهندسون فى صلحهما أو إجراء التوفيق بينهما .. واليوم
يمر وبعده يوم ثم يوم ويوم ، والدكتور « حسن المعصرانى » القادم
من ليفرپول لغاية القاهرة خصيصا لكى يرى « عبدالوهاب »
لاستطيع أن يقبل بهذه البساطة مسألة خصام التليفونات فى
القاهرة .. وهو لم يقطع ٤٥٠٠ ميل ويكلف نفسه أجازة لمدة عشرة
أيام وعدة آلاف من الجنيهات بين سفر وتذكرة طائرة وإقامة فى

فندق ، لكى أخبره فى النهاية بأن التليفونات فى الفاهره عطلانه ومخاصمة بعضها فيقول لى « طيب » ثم يلم حقائبه ويعود إلى ليثربول ، فقد اتفقنا منذ البدايه أن ليثربول ليست شبرا أو المعادى .. وفى الوقت نفسه ، ولأننى أعرف « عبدالوهاب » جيدا ، فإننى لا أستطيع أن أسحب الدكتور « حسن المعصرانى » من يده ونذهب إلى بيت « عبدالوهاب » فى الزمالك دون موعد ونندق جرس الباب وأقول : « أصلى مت عارف أتصل بيك فى التليفون » .. « عبدالوهاب » يعرفنى وأعرفه منذ ٢٥ سنة صحيح والعلاقة بيننا دائما متصلة وموجودة ، لكنها ليست العلاقة التى تسمح لى بأن أذهب إليه فى بيته دون مواعيد .. ولا أظن أن « عبدالوهاب » قد عود أحدا على ذلك ..

الأيام تمر ، والليلة تجرى ورا الليلة ، وكل ليلة يسهر الدكتور « حسن المعصرانى » فى بيتى يغنى لأصدقائى الذين يعلمون بوجودى فى القاهرة ، ثم بوجود « المعصرانى » أيضا عندى ، فيجئون ليحتفوا بى ، وبه ، ويسمعوه وهو يغنى ما غنته « أم كلثوم » من ألحان « عبدالوهاب » ، ويقولون : « الله ، ياسلام ، صوتك هايل وأداؤك عظيم » .. لكن « المعصرانى » لم يقطع كل هذه المسافة بين ليثربول ليغنى لصالح وأحمد وإجلال ورمضان ورفاعى وفايز وسامى وفاطمة وغصون وأسامة ونيرة ورضوان ونهاد وحاتم ويوسف الحطاب ويسمع منهم « الله صوتك هايل » .. إنه يريد « عبدالوهاب » ، و « عبدالوهاب » فقط ، ولا أحد إلا « عبدالوهاب » .. وليس سهلا أن تنتهى الفترة التى جاء ليقيضها فى القاهرة ويعود إلى ليثربول كما جاء ، ومعه خفى حنين ، حتى لو

كان حنين هذا هو « حنين قدرى » !! حتى لم يبق على انتهاء
إجازته إلا ٤٨ ساعة فقط .. وبعدين !! المسألة بقي شكلها وحش
أوى ..

●
على سلم مبنى الإذاعة والتليفزيون التقى صدفة بصديقى
القديم وزميل دفعنى المهندس « زكريا عامر » .. بالأحضان
« القبلات و : « إزيك يا أبو الحسن » .. « إزيك يا أبو الزيك » ..
« شاخبارك » .. « شاخبارك » .. « قاعد فى مصر قد ايه المرة
دى » ؟ .. « ماتيجى لى يا أبو الزيك بالليل نسهر مع بعض ، كل
شلتنا القديمة بتسهر عندى كل ليلة طول ما أنا موجود فى
مصر » .. « والنبي مشغول اليومين دول يا أبو الحسن ، باخلص
ستديو الساعة ٦ الصبح كل يوم » .. « هاها ، ده مايقاش ستديو
يا أبو الزيك ، الكلام ده تقوله لمراتك مش لى أنا » .. « لا والنبي
يا أبو الحسن ، كل ليلة لغاية الساعة ٦ الصبح مع الأستاذ عبد
الوهاب علشان بنعمل مونتاج غنوة وردة الجديدة » أنه عليه
بالحب » .. حتى تعالى وشوف بنفسك !!

أشوف بنفسى ؟! .. ده أنا فى عرض جدك الأكبر ، هو أنا
عارف أتلّم على « عبد الوهاب » علشان آجى أشوف بنفسى ؟ ليه
وازاى ومين وفين .. وحكى للمهندس « زكريا عامر » حكاية
الدكتور « المعصرانى » القادم من ليثربول خصيصا لى يقابل
« عبد الوهاب » وكيف أننى عجزت عن الاتصال بتليفون « عبد
الوهاب » كل هذه المدة ..

●
وفى نفس اليوم مساء دق جرس التليفون فى بيتى ، وعلى

الخط من الناحية الأخرى جاء صوت المهندس « زكريا عامر »
يقول لى : « حسين ، الأستاذ عبدالوهاب حايكلمك !! »

وفى اليوم التالى ظهراً - قبل ١٨ ساعة من عودة الدكتور
« المعصرانى » إلى ليثربول - كان الموسيفار « عبدالوهاب »
يستقبلنا معا فى بيته بالزمالك .. وفى الدقائق التى قصيناها فى
غرفة الصالون قبل دخول « عبدالوهاب » علينا خشيت أن يصاب
« المعصرانى » بنوبة قلبية ويطلب ساكتا قبل أن يحقق حلم حياته
الذى عاش ٣٨ سنة يحلم به ويتمناه .. فها هو الآن فى بيت
« عبدالوهاب » شخصبا وبعد لحظات سبراه أمامه رأى العين
ويصافحه ويلمس يده ويكلمه ويرد « عبدالوهاب » عليه ، وقد
يسمح له « عبدالوهاب » بالغناء أمامه .. « المعصرانى » لا يستقر
فى مقعده ، فهو يجلس ثم يقوم فجأة ويمشى فى الغرفة ثم يعود
ليجلس ثم ليفف مرة أخرى وقد امتنع وجهه والعرق يسح منه كأنه
قد غسل وجهه ونمى أن ينشفه .. ومن فرط اضطرابه خشيت أن
تحدث كارثة ويخلص الرجل أمامى ويعود الرجل إلى ليثربول فى
وضع أفضى !!
و..... ودخل « عبدالوهاب » ..

وضاع صوت حسن المعصرانى تماما ، حتى أنه لم يستطع
أن يرد على تحية « عبدالوهاب » له ، وجلس أمامه ساكتا مرتبكا
مضطربا لا ينطق بحرف .. وشعر « عبدالوهاب » بالموقف -
ولابد أنه قد شعر بمثله عشرات المرات من قبل - فبدأ هو يلاطف
« المعصرانى » ويلاغيه ويسأله عن أحواله فى ليثربول ولماذا

فضلها عن غيرها من المدن الإنجليزية وهل هو متزوج أم لا وكم عدد أولاده وما هي أسماؤهم . وهل هو ناجح كطبيب في ليثربول أم أنه مجرد واحد من الأطباء هناك ..

وبدأ الهدوء يعود إلى « المعصراني » نسبيا ويسترد نفسه ليجيب على أسئلة « عبدالوهاب » ، بأنه لم يختر مدينة ليثربول لكن ليثربول هي التي اختارته ، فقد كانت كلية الطب فيها هي كلية الطب الوحيدة في إنجلترا التي قبلته طالبا بها ليدرس الطب حين جاء إلى بريطانيا منذ ٢٣ سنة .. وبعد أن إنتهى من دراسة الطب رأى أن يبقى سنة أو سنتين أخيرتين لكي يكتسب خبرة ومرانا ، لكن السنة أو السنتين استمرتا حتى اليوم !! وأنه تزوج من أيرلندية شابة حسناء اسمها « أنا » ولديهما الآن ٦ أطفال : ياسمين وقمورة وصلاح الدين وفيصل وناجيل وأوليفر .. وحكى له كيف أنه نشأ وشب في مدينة حلب السورية على صوت أغنيات عبدالوهاب القديمة تتردد على اسطوانات في أرجاء بيت الأسرة طول الوقت ، وأنه لا يذكر متى بدأ هو نفسه يردد أغنيات « عبدالوهاب » ، لكنه منذ أن وعى لنفسه وجد نفسه يغنى لعبدالوهاب ، وأنه جاء إلى مصر مرة من قبل وعمره ١٦ سنة ، وكل أمل في الحياة أن يرى « عبدالوهاب » ولو من بعيد ، لكن هذا الأمر لم يتحقق له وقتها .. وكيف أنه اشتهر بين زملائه في جامعة ليثربول بأنه [مجنون عبدالوهاب] ..

وضحك « عبدالوهاب » طويلا وهو يقول له : « كان لازم يسموك عاقل عبدالوهاب مش مجنون عبدالوهاب » .

ثم قال له : « مادام انت بتغنى طيب ماسمعنى صوتك » ! لقد جاءت لحظه الامتحان إذن .. وتصورت أن صوت « المعصراني » سوف يحتبس فى حلقه وسيرفض الخروج .. لكنه خرج ، وعنى أمام « عبدالوهاب » مقاطع من أغنيات مختلفة ، بعضها من تأليفه وتلحينه - تأليف لابأس به ولحن بدائى على قدر علمه بالموسيقى وبعضها من ألحان « عبدالوهاب » لنفسه وألحانه لأم كلثوم .. أول مرة أحضر وأشهد موقفا كهذا بين « عبدالوهاب » وواحد ممن يعرضون موهبتهم عليه .. « عبدالوهاب » يتحول فى هذه اللحظات إلى (أذن) فقط مستغرق تماما فى الاسماع إلى الصوت الذى يغنى ، فإن رأى « عبدالوهاب » كمبزان الذهب فى الصاغة .. لبس كرايى ورأيك .. لكن رأى « عبدالوهاب » هو شهادة ميلاد أو شهادة وفاة للصوت الذى يغنى أمامه .. و « المعصراني » يتقل من أغنية إلى أغنية أخرى وأنا أستجعه و « عبدالوهاب » يطلب منه ، حتى بدأ « عبدالوهاب » يهز رأسه ويقول : « الله الله الله ، كويس ، كويس أوى .. الله دى المسألة بفت جد الظاهر ، ويندو أن صوت « المعصراني » فيه شىء بصحيح يحل « عبدالوهاب » نفسه شخصا يهز رأسه ويقول : « الله » .. سألت عبدالوهاب أن يترجم « الله الله » هذه إلى كلام يمكن نشره ..

.. فقال :

- « خسارته إنه يبقى دكتور ، هو مكانه الحقيقى أن يكون مطرب ، لأن صوته كويس .. حقيقى صوته كويس .. صوت قوى وقادر وشرقى النبرات .. غريبة أنه عايش فى انجلترا من ٢٣ سنة

ولم تتغير نبراته الشرقية وإحساسه بالغناء العربى ، لأن كل اللى سمعته منه أغانى نبرتها عربية وإحساسها عربى صميم ١٠٠ ٪ ..

سألت « عبدالوهاب » : فى تقديرك لو أن الدكتور « المعصرانى » هجر الطب واحترف الغناء ، هل يصلح كمحترف ؟

- بدون شك ، لأنه يمتلك صوتا قادرا مساحته واسعة وليست ضيقة ، وده شىء مهم جدا فى الغناء ، وصوت واضح قوى ونبراته شرقية ، ولو كان قد اتجه إلى الغناء من زمان كان لاشك أصبح مطربا له شأنه ..

• هل مازالت أمامه فرصة لذلك الآن ؟

- دى مسألة متعلقة بقدر هوايته ، وكمان بعمره ..

• هو قارب الأربعين الآن ..

- أربعين يبقى صغير .. يبقى ممكن ..

• هل يحتاج إلى فترة مران وصقل وتدريب طويلة ؟

- طبعا .. يحتاج إلى خبرة وإلى توجيه من أستاذ ، وإلى دراسة ، ويمكن إن الدراسة تكون على يد نفس الأستاذ لو كان هذا الأستاذ متعلما .. أستاذ يبعده عن الشوائب التى قد تكون موجودة فى صوته نتيجة لعدم الخبرة وعدم الممارسة ، ويوجهها نحو الأفضل والأحسن .. وكل هذه حاجات عايزة أستاذ يكون عنده خبرة كافية وضمير فنى .. وكمان يصح إن الدكتور حسن يتعلم العزف على آلة موسيقية ، العود مثلا ، يتعلم إزاي يغنى وإيه هو

اللى بيغنيه ده ، ومن أى نغمة ، وإزاي يتصرف فيها ، وإيه الأشياء
اللى جوا هذه النغمة يقدر يستغلها وينتفع بيها .. الموسيقى علم
كبير ، وهو طبعا محتاج إنه يعرف هذا العلم ويتعلمه ويدرسه ..
مفيش حد طلع كده شيطانى ، كل الفنانين اللى طلعا دول وراهم
مشوار طويل .. كل واحد غنى كان وراه مشوار طويل من الصقل
والتدريب والخبرة والممارسة والتعب ..

● واللكنة السورية اللى بتشوب لهجته أحيانا ، هل لها علاج ؟

وأجاب « عبدالوهاب » :

- هى مش مشكلة أصلا علشان تحتاج الى علاج .. هو يحتاج
فقط إلى توجيه ، لأنه هو الآن بيغنى بالأذن العفوية ، بالإستماع
العفوى والفطرى ، وممكن كل ده يتصلح .. وأنا مش شايف فيه
شوائب كثيرة أو نطق غير عادى كتير حتى يكون صعبا علاجه ..
اللى فيه حاجات بسيطة جدا .. لكن صوته فيه إحساس وفيه شجاعة
وفيه انفعال وليس افتعالا ، ودى حاجات مطلوبة فى المغنى ..
وصوته مفيش فيه استكانة ولاتخاذل ، لكن فيه صراخ كأنه بيعبر
عن واحد مجروح وموجوع وبيحب بصوت عالى .. مؤكد بيحى
منه كتير .. ●

حين خرجنا من بيت « عبدالوهاب » بعد نحو ساعة كاملة
قضيناها معه ، كان الدكتور « حسن المعصرانى » ساهما صامتا
لايكاد ينطق ، كأنه يخشى أن يفتح فمه فتطير روحه من الفرحه
والسعادة .. لكن ربنا فتح عليه بعد ذلك : ركبنا تاكسى فحكى
لسائق التاكسى كل تفاصيل لقائه مع « عبدالوهاب » .. تركته امام

باب فندقه وعدت إلى بيتي ولحق بي في المساء في آخر سهرة له عندي قبل أن يعود إلى انجلترا فجر اليوم التالي .. بمجرد دخوله عندي قال لي إنه حكى لكل العاملين والعاملات في الفندق عن لقائه بعبد الوهاب ، وكلما دخل ضيف عندي بدأ يحكى من جديد ماحدث له مع « عبد الوهاب » .. ونزل من عندي في الفجر متجها إلى المطار ليركب الطائرة عائدا إلى انجلترا .. قطعاً حكى لكل مضيفات الطائرة ماحدث له مع « عبد الوهاب » وأنا متأكد أنه سيمر على ركاب الطائرة واحدا واحدا ليحكى لكل منهم قصة لقائه بعبد الوهاب .



ترقبوا اسم الطبيب السوري الدكتور « حسن المعصراني » ، فسوف تقرأون اسمه في الصحف قريبا ، إما لأنه سوف يهجر كل شيء ويصبح مطربا ، أو لأنه سوف يصاب بلوثة وجنون نتيجة أنه رأى عبد الوهاب وصافح عبد الوهاب وجلس مع عبد الوهاب وغشى أمام عبد الوهاب واستمع إلى رأى عبد الوهاب فيه ، وحقق أمنية حياته التي عاش يحلم بها أكثر من ٣٠ عاما ..

أنا
أدفع
إذن
فأنا
زبون !!





القاعدة عندي - وعند كل الناس - أننى مادمت
قد دفعت إذن فأنا مستهلك ، زبون ، حتى لو كنت
لم آخذ شيئا أحمله فى يدي وأنا خارج من المحل
مقابل مادفعته .. كالذى يذهب إلى السينما أو
المسرح أو إلى حديقة الملاهى مثلا .. فهو يدفع
ثمن التذكرة على الباب وهو داخل ، لكنه - فعليا -
لا يأخذ معه شيئا وهو خارج ..

ويكون الثمن الذى دفعه فى مقابل المتعة الذهنية أو الترويح
والإنبساط .. رغم أننى - فى هذه الحكاية - لم آخذ لامتعة ذهنية
ولاترويح ولا انبساط ، بل كنت حاروح فى داهية .. ومع ذلك
فسأحكى لكم - أعزائي القراء - الحكاية كلها ، وإذا رأيتم أنها
لا تستحق النشر ، فلن أنشرها !!

السود فى بريطانيا - هكذا تبدأ الحكاية - وضعهم يختلف تماما
عن وضعهم فى أى دولة أخرى من دول العالم ، حتى فى أفريقيا
السوداء نفسها .. فى أمريكا يعامل الأمريكيون البيض الأمريكيين
السود باحتقار شديد ، يعاملونهم كمواطنين درجة عشرة أو كخدم

أو حتى كعبيد ، سني ان معظم المطاعم ترفض أن يدخلها السود ،
ومعظم المدارس ترفض أن تقبل فيها تلامذة سود ، وبعض الأماكن
تضع على بابها لوحه سكتوبيا عليها [ممنوع دخول الكلاب ،
والسود] !! ويعانى السود فى أمريكا من التفرقة العنصرية
الشديدة ، وتقوم المظاهرات والإضرابات والإضطرابات فى معظم
الولايات الأمريكية ليطالب السود بالمساواة بينهم وبين البيض .. وينتهز
البوليس الأمريكى فرصه المظاهرات والإضطرابات هذه لكى
يتعامل مع السود بكل قسوه وعنف وعمل .. وتنتهى كل مظاهره
عاده بعدد من القتل والجرحى السود ..

وفى معظم دول أوروبا - عربية أو شرقية - لاتقابل فى
طريفك واحداً أسود ، حتى أننى أتصور أن ألمانيا - مثلاً - لاتمنح
بأسيرات دخول للسياح السود .. وقالت لى حسناء ألمانية قريبتى -
أى والله ، عندى قريبة ألمانية ، وهذه حدوتة أخرى قد أحكيها لكم
فى مرة قادمة - قالت لى أنها لم تر فى حياتها كلها - ٢٤ سنة -
بنى آدم أسود إلا فى التليفزيون فى الأفلام الأمريكية
والإنجليزية !! .. وفى فرنسا لو قضيت فيها سنة كاملة ورأيت فى
خلال هذه السنة أسوداً واحداً فتأكد أنه تايه يا أولاد الحلال ونزل
من الطائرة غلط فى فرنسا وهو يظنها دالاس أو تكساس أو
نيويورك أو شيكاغو ..

السود الإنجليز حالهم مختلف تماما .. السود الإنجليز جاءوا
إلى إنجلترا لأول مرة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية فقط ، عام
١٩٤٥ .. جاءوا مع (الفيلق الأفريقى) الذى حارب فى صفوف

الحلفاء ثم احتفظت به إنجلترا بعد انتهاء الحرب لكي يشتغلوا عمالا يساعدون في إعادة تعمير إنجلترا التي خربتها الحرب ودمرها قنابل الطائرات الألمانية حتى هلكت بدنها .. وفقدت إنجلترا في الحرب العالمية الثانية خمسة ملايين من رجالها وشبابها ونسائها ، إما جنوداً قتلوا في مبدان القتال في الحرب الضارية التي استمرت ٦ سنوات من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥ ، أو مواطنين مدنيين قتلوا نتيجة الغارات الجوية على بريطانيا التي لم يسلم منها حتى ولا قصر باكنجهام ، القصر الملكي البريطاني ..

بقى إذن (الفيلق الإفريقي) في إنجلترا بعد الحرب لمساعد في التعمير وإعادة البناء بعد أن فقدت القوى العاملة في بريطانيا أثناء الحرب ١٠ ملايين بد عاملة - باعتبار أن كل عامل له يدان !! - واسوردت إنجلترا من مستعمراتها في أفريقيا عشرات ومئات الألوف الآخرين من السود لكي يشتبكوا أيضا في إعادة التعمير .. حتى أنها كانت تسمح بدخولهم إنجلترا دون تأشيرات دخول ولاجوازات سفر ولا حتى شهادات ميلاد .. وكانت تظن بسذاجة الانجليز .. وهم سدح فعلا رغم أنهم إستعمروا معظم دول العالم وحكموه قرون عديدة - كانت تظن أن هؤلاء السود سوف ينسركون في إعادة بناء إنجلترا ثم يموتون جميعهم بالسكتة القلبية مثلا في يوم واحد ، أو بنفرضون وحدهم ويختفون من الحياة الإبحليرية بعد أن يتم التعمير ..

● لكن لأن إنجلترا كما حكيت كانت قد فقدت ٥ مليون إنجليزي في الحرب ، لذا فبعد الحرب أصبح تعداد النساء والبنات والإناث

عموما فيها أكثر من عدد الرجال الباقين بعدة ملايين .. وكان البدل
أوحيد أو المعادل الوحيد هو هؤلاء السود المتاحين باعتبار إن
مفيش غيرهم .. لذا فخلال سنوات قليلة مابعد الحرب كان الأسود
قد اختلط بالأبيض - أو بالبيضاء - واختلط الحابل بالنابل ..
(النابل) هم السود ، و (الحابل) هن النساء والبنات الانجليزيات
(!!) .. وولد جيل جديد معظمه من الأطفال السود ذوى الأمهات
الانجليزيات الشفراوات .. تم زواج هذا الجيل الأسود من
بعضه .. وجبلا بعد جيل أصبح فى إنجلترا نسبة كبيرة من
(المواطنين) الانجليز السود .. ولأن السود بطبيعتهم شرسون
وعدوانيون وحيوانيون ومجرمون بالسليفة - [أنا أتكلم عن
السود الانجليز ، والأمريكيين أيضا] - وحسبى فى أفريقيا ، فإن
القتل شئ سهل وطبيعى وعادى ووجبة يومية عندهم .. وليس
ببعيد عن أذهاننا حكام أفريقيا السود الدمويون أمثال « مويس
تشومبي » و « بوكاسا » و « عيدي أمين » وغيرهم .. لذا فقد أصبح
السود الانجليز هم الذين يحكمون الشارع الانجليزى ، وتاريخهم
وحاضرهم الإجرامى أسود من لون بشرتهم .. ومهما تعلموا
ودخلوا المدارس والتحقوا بالجامعات - وهم نادرا جدا ما يفعلون
ذالك هنا فى إنجلترا - ففى أول فرصة تتاح لهم يتحولون إلى
مجرمين فورا .. وأقرب حادث من هذا النوع حكاية اتبنى الأسود
الذى كان رئيسا لاجداد طلاب كلية الإقتصاد فى الجامعة التى
يدرس فيها ، والذى كان ذاهبا إلى الكلية ذات يوم ليحضر
محاضراته اليومية ، فشهد على الرصيف الآخر ضابط بوليس
إنجليزيا انتهت واد دنته وفى طريقه عائدا إلى بيته .. وتعثر الضابط

فى شىء ما على الرصيف فوقع على الأرض منكفئا على وجهه ،
فهرع إليه الفتى الأسود من على الرصيف الآخر مسرعا ، لا لكى
يعاونه ويساعده على النهوض ، ولكن لكى (بيرك) فوق ظهره
ويخرج من بين كتبه سكيناً قطع بها رقبة الضابط المسكين المغمى
عليه !! .. وقبض على الطالب النجيب الأسود رئيس اتحاد طلاب
كلية الاقتصاد ، الذهاب إلى الجامعة وفى حفية كنبه سكين ، الشهم
النبيل الذى يتطوع لذبح أى بنى آدم أبيض يضعه حظه السيء فى
طريقه .. وحكم عليه بالسجن مدى الحياة .. وقد حكم عليه بالسجن
فقط لأنه ليس فى إنجلترا الآن عقوبة الحكم بالإعدام !!

الإنجليزى الأسود أو الأسود الإنجليزي يرى أن من حقه عليك
إذا كنت أبيض - أو من أى لون آخر لكن ليس أسود - أن نرهبه
وتخشاه وتموت رعباً منه ، وإذا رأيته يمشى على رصيف تحتأسيته
وابتعدت عن طريقه وانتقلت إلى الرصيف الآخر .. وإذا خطر له
- من باب التسلية وإزجاء وقت الفراغ - أن ينسلى عليك ويهينك
ويهزأك وييعتر كرامتك أو يشتمك ويلعن أبو خاش جد اللى خلفوك
أو حتى يضربك أو يسرقك أو يأخذ مافى يدك أو ما معك ، فعليك
أن تتقبل ذلك صاغراً خاضعاً خائفاً لأن حضرتك أبيض بينما هو
صاحب الأمر والنهى والسكاكين والمسدسات والقبضات الحديدية
والسلاسل والجزازير .. هو أسود وأنت أبيض .. والبوليس
الانجليزى نادراً ما يتدخل فى هذه المسائل الصغيرة والخلافات
(الشخصية) بين السود والبيض لأن البوليس الإنجليزي عادة
مهذب جداً ومتربى جداً وابن ناس ، وعساكر البوليس الانجليز

الذين يتمشون فى الشوارع من باب (التواجد) فقط ، غير مسلحين ولا حتى بمسطرة طولها ٣٠ سننى .. لأن الدولة فى بريطانيا ترى أن مظهر عسكري البوليس فى الشارع لو كان مسلحا فذلك ضد الديمقراطية وفيه إرهاب للمواطنين ، ولكن أن يتسلح المواطن - الأسود - بسكين أو بجنزير أو بمسدس فذلك من حقه مادام لا يمشى فى الشارع شاهراً سكينه .. فإذا أشهر سكينه أو مسدسه وقتل به واحدا وطلع يجرى ولم يقبض عليه ، فهو قليل الأدب ووحش وأهله ما عرفوش يربوه وإخص عليه ، وبس !!

خارجا من بيتى فى لندن* ذات يوم ظهرا لأضع خطابا فى صندوق البريد ثم أعود إلى البيت .. مشوار صغير لا يزيد على ١٠ دقائق لكنه كلبنى ١٠٠ جنيه - إسترليني - بالتمام والكمال ..

وضعت الخطاب فى صندوق البريد وفى طريق عودتى إلى البيت .. على محطة الأوتوبيس القريبة يقف فتى أسود وفى يده كيس ورق فيه (فيش اند تشيس) ، سمك وبطاطس مقلى ، يأكل منه بطريقة ممزجة حدا ويده وفمه ملهتان بزيت البطاطس والسمك .. اليوم حار نسبيا لذا لم أكن ألبس الـ (يولوفر) لكننى كنت أضعه على كتفى .. أمر فى طريقى بالفتى الأسود الواقف على محطة الاونوبس .. عمره لا يزيد على ١٣ أو ١٤ سنة على الأكثر .. يشير لى بإصبعه السبابة ليمنوقفنى .. توقفت إلى جواره ظنا منى أنه يريد أن يسألنى عن شىء ما .. لكن الفتى الأسود الظريف كان يريد فقط أن يمسح يديه وفمه من الزيت فى الـ (يولوفر) بناعى .. وقبل أن أنتبه كان قد فعل ذلك فعلا : مسح يديه ومسح

فمه فى كم انه (بولوتش) !! وقبل أن ينتبه هو - ولا أنا فى الحقيقة
- كان الولد على الأرض مخرشما والدم يسيل من كل وجهه وفمه
وأنفه وأسنانه وأنا أدق رأسه فى أرض الشارع بكل الغبط والغل
والعنف الذى هبط على لحظتها .. وظللت أضرب فيه حتى رفعتنى
من فوقه ضابطا بوليس إنجلزيان ..



وقضيت ليلة فى ضيافة قسم البوليس القريب من بيتى ..
وفى اليوم التالى مباشرة عرضت على المحكمة ، وفرا القاضى
التقرير الذى كتب به البوليس ثم سألتنى : «مذنب أم غير مذنب يامستر
قدرى»؟ ! قلت : «مذنب .. مذنب جدا .. مذنب بشدة .. وسوف
نرانى عندك هنا فى المحكمة فى كل مرة بعنرض فيها طريفى
واحد من هؤلاء المصنفين بطريق الخطأ ضمن البنى آدمين ..
سوف أكون زبوننا دائما هنا ، وسأصل إلى المحكمة كل يوم قبلك ..
وايتسم القاضى وهو يخفى وجهه فى الأوراق التى أمامه -
وأنا متأكد أنه كان سعيدا - وهو يقول لى : أنا أعذر تورنك،
وعصبيتك با مستر قدرى لكننى لا أستطيع أن أعذر عنفك ..
القانون قانون يا مستر قدرى .. أنت ضريته وهو لم يضربك
وحكم على بأخف عقوبة ممكنة .. ودفعت ١٠٠ جنيه غرامة ،
وخرجت ..

أبقى زبون والا مش زبون ؟!

أم كلثوم
في فراش
امرأة
متزوجة !!



هذه الصورة التي أحكيها لكم الآن من حياتنا في المهجر تجمعت تفاصيلها أمامي على امتداد أكثر من ١٠ سنوات .. رأيت بدايتها ، ورأيت نهايتها وشاركت في أجزاء منها .. ولكنني كنت طول الوقت مندهشا ، ولا أزال مندهشا .. وتنبأت بنهايتها من قبل أن تحدث البداية ..



هناك قول مأثور يقول : [لزوم ما لايلزم] .. كأن يستطيع شخص ما أن يعد من ١٠٠٠ إلى ١ ، بالعكس يعني ، بسرعة ودون أن يتلعثم أو يخطيء .. أو أن يستطيع أن « يبرش » بعينه لمدة ١٠ دقائق متصلة دون أن يتوقف لحظة واحدة .. أو أن يستطيع أن يأكل طبقا كبيرا من الأرز « رزاية » بعد « رزاية » ، يعني يضع « رزاية » واحدة في فمه في كل مرة ، حتى ينتهي طبق الأرز .. [لزوم ما لا يلزم] هنا معناها ان هذه كلها قد تكون « خبرات » صحيحة ، واستغرقت من صاحبها وقتا طويلا حتى ندرب عليها وأجادها صحيح ، لكنها كلها خبرات نافية وغير مفيدة.

على الإطلاق .. لا تفيد صاحبها بأى شيء ولا تجعله يتقدم لوظيفة ما بهذه الخبرات ، ولا تفيد الناس والمجتمع الذى حوله ولا أى مجتمع فى الدنيا ، بأى شيء ..



والحكاية تبدأ حين دعتنى زميلة عربية كنا نعمل معا فى مجلة من المجلات العربية التى تصدر فى لندن ، دعتنى للغداء فى بيتها وعرفتني بأسرتها : أبوها رجل القانون الكبير المنقاعد واللاجيء بأسرته إلى بريطانيا ، وأمها التى كانت مديرة للتعليم فى وطنها قبل أن تهرب منه مع أسرتها ، وزوج الزميلة وهو رجل أعمال وطفلتها ، و .. أخيها ..

قدمت لى أخاها الأصغر باعتباره يدرس الهندسة فى إحدى جامعات إنجلترا .. لكن الأهم من ذلك أنه عاشق إلى حد الهوس لأم كلثوم .. يحفظ كل كلمات أغانيها - مجرد حفظ ، يعنى لا يعنى - ولديه مكتبة أشربة واسطوانات كاملة لكل ما غنته أم كلثوم ، ويعرف كل شيء كل شيء كل شيء عن أم كلثوم ، من قبل مولدها إلى بعد وفاتها : ماذا كانت تلبس ، وعدد الفساتين والأحذية والشباشب التى عندها ومتى اشترت كل منها ومن أين ، وماذا كانت تأكل فى الصباح وماذا كانت تأكل على الغداء وماذا كانت تأكل فى العشاء وماذا كانت تتناول بين الوجبات وماذا كانت تشرب وكيف كانت تجلس وكيف كانت تقف وكيف كانت تنام وكيف كانت تضحك وأين كانت تتنزه ومن هم أهلها ومن هم أقاربها وأسرتها ومن هم أصدقاؤها وكيف كانت تختار أغانيها وكيف كانت تختار الملحنين وشكل علاقاتها بهم وكيف كانت تحفظ الألحان وكيف كانت تغنى

كل أغنية ، وكل أغنية غنتها كم مرة في كم حفلة ومنى كانت أول مرة غنتها وآخر مرة غنتها ومجموع الساعات والدقائق والثواني التي غنت فيها كل أغنية وووو ... كل شيء مهما كان نافها كان يعرفه « مصطفى » ، أخو زميلنى العربية !!

وأخذنى « مصطفى » ، طالب الهندسة ، معه إلى غرفته ودلق فوق دماغى طناً من المعلومات عن أم كلثوم كنت أعرف معظمه ، والجزء الذى لم أكن أعرفه لم يكن يهمنى أصلاً أن أعرفه .. وقلت لمصطفى يومها - منذ ١٢ سنة - : « لكن هذه يا مصطفى كلها معلومات موجودة فى الكتب التى نشرت عن أم كلثوم فى حياتها وبعد وفاتها ، وفى الصحف والمجلات التى كُتبت عن أم كلثوم .. فما الجديد فى الموضوع إذن ؟! » فأجاب « مصطفى » ، فخورا وهو يشير إلى رأسه : « الجديد أنها كلها مجتمعة فى رأسى أنا هنا .. أنا موسوعة وإنسيكلوبيديا حية عن أم كلثوم !! » [لزوم مالا يلزم] هنا ..

وتصورت أن هذه الحدوثة كلها نزوة مراقة عند طالب الهندسة الشاب ، سوف تتوارى وتضمحل وتختفى بمجرد أن يتخرج فى الجامعة ويبدأ حياته العملية فينشغل بعمله ووظيفته وبما هو أهم ، ثم يتزوج وينجب ويصبح بنى آدم عاديا مثل كل الناس ورب أسرة مثل كل الناس ، وينسى حكاية أم كلثوم هذه .. وقد يتذكرها فى يوم من الأيام بعد ١٠ سنوات فيضحك لها وتضحك لها أسرته ويقولون له مداعبين : « فاكبر يا مصطفى أيام ما كنت مهووس بأم كلثوم .. هاهاهاها » ويضحك ويضحكون ...

وباعدت الأيام بينى وبين الزميلة العربية ١٠ سنوات كاملة ،
خصوصا وأن كلاً منا قد ترك المجلة التى كنا نعمل فيها معا ..
حتى أخبارها لم نعد تصلنى فظننت أنها ربما تكون قد عادت
وأُسرتها إلى وطنها .. حتى كنت فى مصر فى أجازة منذ عامين
حين رن جرس التليفون فى بيتى رنة مكالمة خارجية ، وأتأتى
صوت يتكلم بلكنة عربية : « أنا الدكتور مصطفى باكلفك من
لندن » ويتضح أنه شقيق زميلتى العربية القديمة بعد أن تخرج فى
كلية الهندسة ثم حصل على الدكتوراه فى هندسة الكمبيوتر ، وكان
قد احتفظ بأرقام تليفونى فى مصر منذ المرة الوحيدة التى التقينا
فيها فى لندن منذ ١٠ سنوات .. « مبروك يا دكتور مصطفى ..
وماذا تعمل الآن ؟! » .. وكانت المفاجأة التى لم أكن أتوقعها :
الدكتور « مصطفى » هو مدير مركز تراث أم كلثوم فى بريطانيا
(!!) .. وهل لأم كلثوم مركز تراث فى بريطانيا ؟! وأم كلثوم
مصرية وأنا مصرى ، وصحفى ، وما اعرفش ؟!

وانتهت أجازتى وعدت إلى لندن ، واستقبلنى الدكتور
« مصطفى » فى المطار ليوصلنى إلى بيتى .. وفى الطريق حكى
لى فى دقيقة ونصف أخباره وأخبار أسرته : أسرته كلهم
كويسين .. الكبار صحتهم كويسة والصغيرين كبروا .. هو تزوج
من بنت خاله - وهى مهندسة أيضا لكنها تخرجت فى الجامعة فى
وطنها - وأنجبا طفلتين و .. وبس .. كل الوقت بعد ذلك طول
الطريق من مطار هيثرو إلى بيتى ، ثم فى بيتى حتى العاشرة لبلا
- من الرابعة عصرا - و « مصطفى » يتكلم بلا انقطاع عن : أم
كلثوم !! .. ولولا أننى كنت مرهقا وتعبانا من السفر وأريد أن

أرتب أمورى بعد عودتى من الأجازة ، لفضى « مصطفى » الليلة
عندى يحدثنى عن أم كلثوم

« مصطفى » يتصل بى ٢٠ مرة فى اليوم ، ويزورنى مرتين
أو ٣ مرات فى الأسبوع ليقضى معى عدة ساعات ، وحديثه الواحد
الوحيد هو عن أم كلثوم..وأنا أحب أم كلثوم صحيح كما يحبها كل
الناس لكن ليس إلى حد أن أتكلم عنها وأسمع عنها ٦ ساعات فى
اليوم ٣ مرات فى الأسبوع + ٣ ساعات فى التلفون كل يوم بقية
أيام الأسبوع !!

ودعانى « مصطفى » إلى العشاء فى بيته .. أول مرة أرى
زوجته وطفليه وأنا أحب الأطفال كثيرا وأحب ان ألاعبهم وألعب
معهم .. لكن الدكتور « مصطفى » شغال [فول أو نوماتيك] ٢٤
ساعة فى اليوم لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا يهدم من الكلام عن
أم كلثوم .. قلت لمصطفى يومها مداعبا جاداً : « ندى أم كلثوم
أجازة النهاردة يا مصطفى .. حلبنى اتعرف على نضال زوجتك
وألعب مع أمه وساره طفلتيك .. زهقنى من أم كلثوم وخليتنى
قربت أكرها .. ده أنا لو أكلت ٥ كيلو مانجو فى يوم واحد سأكره
المانجو طول عمرى بعد كده .. وكأننى دست على « زر » عند
زوجته « نضال » دون أن آخذ بالى .. فقد انفجرت « نضال » فجأة
باكية وهى تصرخ بخليط من الانجليزية والعربية باللهجة العراقية
واللهجة المصرية ، تستغيث بى من أم كلثوم التى تعاشرها فى بيتها
منذ أن تزوجت « مصطفى » من ٨ سنوات ولا حديث له فى البيت
أو فى الغيط أو فى أى مجنم أو زيارة يذهبان إليها معا غير عن

أم كلثوم ، وأغنيات أم كلثوم وأفلام أم كلثوم وأشرطة واسطوانات
أم كلثوم شغالة في البيت ٢٤ ساعة في اليوم ، « ومصطفى » لا
يريد أن ينطق أحد في البيت بكلمة أو يتنفس مادامت أم كلثوم تغنى ،
وهي تغنى على طول وإذا غنت أم كلثوم فاستمعوا لها
وأنصتوا ..!! أم كلثوم تشاركني في بيتي وفي حياتي ولا أشاركها
في زوجي لأنه لها لوحدها .. مصطفى بتاع أم كلثوم وليس بتاع
أى حد آخر .. أم كلثوم معي في غرفة نومى والله أعلم كيف أنجبنا
الطفلين .. مركز تراث أم كلثوم الذى يديره مصطفى هو غرفة
في البيت هنا لا يدخلها إلا مصطفى فيها كل شىء عن أم كلثوم ..
كيف حصل مصطفى على دكتوراه الهندسة التى يقول أنه يحملها
إذا كان لا يعرف أى شىء فى الدنيا إلا أم كلثوم .. مصطفى لا
يعمل وليس موظفا لأنه متفرغ تماما لأم كلثوم .. والذى ينفق على بيتنا
وأولادنا هو أبوه وأمه اللذان استسلما تماما للداء المصاب به إيهما
الوحيد ، داء أم كلثوم ، واعتبره نوعا من [الصرع] لا علاج له
[لأن يشفيه الله وحده فى يوم من الأيام لكن حين يجىء هذا اليوم ،
إذا جاء ، سأكون أنا قد أصبت بانهيار عصبى وأموت شهيدة أم
كلثوم .. زهقت ، طهقت ، وسأهرب من هذه العيشة كلها فى يوم من
الأيام لن يكون بعيدا جدا ...

سافرت فى مهمة عمل وعدت إلى لندن بعد ٣ شهور .. وجاء
الدكتور « مصطفى » ليزورنى لكى يستمر فى حديثه عن أم
كلثوم ..

فى وسط الحديث سألته : « كيف حال نضال ؟! » فقال

مندهشا : « نضال مين ؟! » قلت وأنا أكثر اندهاشا : « مش عارف
نضال مين ؟! نضال زوجتك » ..

قال ببساطة : « آه .. نضال هربت وتركت البيت والبنين منذ
٣ شهور ، وطلبت الطلاق وحصلت عليه ، ولا أعرف عنها شيئا
بعد ذلك .. نرجع لأم كلثوم

الملكة
إليزابيث ..
بنيت
على !!



فى الأسبوع الماضى ، فى لندن ، وقفت موقفا
أقفه لأول مرة .. ولاخر مرة فى حياتى .. وهو موقف
قد لا يحدث لواحد بين كل مليون واحد ، من
المصريين على الأقل ..



بمناسبة حصولى على الجنسية الإنجليزية بعد ٦ سنوات من
الإقامة والعمل فى إنجلترا، كان على أن أودى أو أقسم يمين الولاء
والإخلاص للملكة « إليزابيث » ملكة بريطانيا .. فوقفت أمام قاض
خاص اسمه ، لقب وظيفته أقصد Justice of Peace، وكان أول سؤال
سأله لى القاضى : « مستر قدرى .. أنت مسلم .. أليس
كذلك ؟! » .. فلما أجبته بالإيجاب فتح درج مكتبه وأخرج منه
مصحفا كبيرا وسألنى : « هل هذا هو الكتاب الذى تؤمن به ؟! »
فقلت وأنا شديد الدهشة : « نعم » وقد تصورت أن القاضى
الإنجليزى قد فهم خطأ أننى أريد أن أشهر إسلامى، لكنه أخرجنى
من حيرتى بأى قال لى : « بما أنك مسلم فإن عليك أن تقسم على
القرآن أن تكون مخلصا للملكة « إليزابيث » ملكة بريطانيا » .. وبدا
هو يردد صيغة القسم وأنا أكرره وراءه وأنا مخضوض جدا ..
فكيف أقسم على الولاء والإخلاص لامرأة غير زوجتى ؟! وكيف

أقسم على الولاء والإخلاص للملكة « إليزابيث » وهى سيدة متزوجة؟! وماذا سيكون موقفى لو أردت أن أتزوج مرة أخرى ميلا؟! وحاوذى وشى فين من الپرنس « فيليب » زوج الملكة لو عرف بطريفة ما أننى قد أقسمت أن أكون مخلصا لزوجنه؟! وبعد أن انتهت مراسم أداء اليمين جلست قليلا مع القاضى وسكرتيرته الحساء التى كانت تسجل كناية « إجراءات القسم » فقلت لهما فجأة « أنا جاد جدا : « أليس غريبا أن أكون أنا والملكة إليزابيث أبناء عم وتنحدر من نفس الجد » دون أن نلتقى شخصا ولا مرة حتى الآن ؟! « .. فسألنى القاضى مخضوضا من أن يكون قد أعطى الجنسية الاندمايزية لمجنون خطر : « انت والملكة إليزابيث أبناء عم ؟! وهل تعرف هى ذلك ؟! « .. قلت مؤكدا وأنا اكلم بمنتهى الإلتزام « التعلل حتى أزيل من ذهن القاضى أننى مجنون : قطعاً هى تعرف ذلك .. فمثل هذا الأمر لا يخفى !!

وبعد حوار سريع كانت السكرتيرة الحساء خلاله مبهورة الأنفاس محمرة الوجنتين من شدة الانفعال ؛ فام القاضى إلى مكتبته فأخرج منها كتابا ضمخما فتحه على صفحتين متقابلتين مطبوعتين بالعرض ، فيهما رسم لسلسلة «سجده العائلة الملكية البريطانية منذ عهد الملك « ويليام الأول ، أو : ويليام الفاتح » عام ١٠٦٦ حتى الآن وقال لى : « أرنى الجد المشترك بينك وبين الملكة إليزابيث » .. فوضعت إصبعى قبل الملك « ويليام الأول » ، بمعنى أن الجد المشترك بينى وبين الملكة « إليزابيث » كان قبل الملك « ويليام الأول » أو قبل عام ١٠٦٦ !!

فنظر القاضي إلى مذهبورا وقد أيفن أنني مجنون فعلا، وأنا
لسكرتيرته بأن تتوقف عن الكتابة .. فصحكت وأنا أقول له، بل
فى الحقيقة قبل ذلك بكثير جدا .. بعدة ملايين من السنين .. فإن
الجد المشترك بينى وبين الملكة إليزابيث هو « آدم » شخصيا ..
ألسنا جميعا أبناء وأحفاد آدم وحواء ؟! .. وذلك معناه - ياسيدى
القاضى - أنني أنا وأنت أبناء عمومة كذلك !!

بهت القاضي للحظة ، لكن حين صحكت سكرتيرته بدأ هو
أيضا يصحك ويضحك حتى دمعت عيناه .. وقال لى وهو
لا يزال يضحك : « مستر قدرى .. أنت قلعما طلبت الجنسية
الإنجليزية لأنهم نفوك وطردوك من مصر .. لكننى سوف أحكى
لزوجبى الليلة هذه الحكاية ، وأعتقد أنها سوف تسر منها كثيرا » ..

لكننى رجوته أن يرسل وثيقة قسم اليمين بتاعتى إلى وزارة
الداخلية الإنجليزية قبل أن يحكى لزوجته هذه الحكاية ، لأننى لست
متأكدا من أن زوجته سوف تتقبلها كما تقبلها هو .. ولا أريده أن
يصب غضبه على نتيجة خلافات عائلية قد نحدث بينه وبين
زوجته !! فعاد الرجل يضحك من جديد وهو يقول لى : « مستر
قدرى ، أرجوك أن تنصرف الآن .. هناك آخرون فى انتظار
دورهم بعدك » ..

فانصرفت

الحلــق
والـودان
وحكاية مسز
إيثيلين دينهى !!



لا أعرف إن كانت هذه الحكاية ممكن أن ينطبق عليها المثل المصرى (يعطى الحلق للى بلا ودان) أم لا .. فالأصل فى هذا المثل هو أن تحصل على شىء ما لا تستطيع استخدامه .. كأن تعزل إلى شقة جديدة .. مثلاً يعنى - فتجد أن الساكن السابق قد ترك لك فيها مكتبة كبيرة فيها ٢٠٠٠ كتاب باللغة الإنجليزية ، بينما أنت تقرأ اللغة العربية أصلاً بصعوبة ..



أو أن تكون السيدة حرمكم - رغم ظروفكم المادية التى لا تستطيع الإنفاق على طفل واحد - تتحفك كل سنة بمولود جديد رغم أنكما قد جربتما كل وسائل منع الحمل بما فى ذلك أنكما تعيشان فى بلدين مختلفين منذ ٥ سنوات .. فيحسدك جارك فى الشقة المجاورة لك ، وهو ثرى أمثل من كبار رجال الإسيراد فى البلد : يستورد المخدرات من تركيا ، لأنه هو وزوجته يلفان على كل الأطباء منذ زواجهما من ٦٦ سنة لكى ينجبا طفلاً واحداً يضيف إلى حياتهما « نفساً » جديداً .. فيكون هذا المثل (يعطى الحلق للى بلا ودان) بمعنى أن الله يعطيك ما لست فى حاجة إليه ، أو أنه يعطيك شيئاً عندك منه الكثير ولست فى حاجة إلى مزيد ..

فإذا كان المثل صحيحا هكذا فاليكم هذه الحكاية ..

حين هاجر صاحبنا من مصر إلى إنجلترا كان شابا ناجحا ووحيداً أعزياً ، قرر أن يأخذ نجاحه ووحدته وعزوبيته معه إلى بلاد المهجر .. وفي المهجر استطاع أن يحافظ على الثلاثة معا : نجاحه ، ووحدته ، وعزوبيته ..

في المهجر الإنجليزي إزداد نجاحا .. والنجاح في دول المهجر ترجمته أموال أكثر وفلوس أكثر .. وظل أعزبا لأن هناك مثل إنجليزي قليل الأدب يقول : Why buying a cow when milk is every where أو (لماذا تزحم بيتك ببقرة بحالها إذا كان اللبن متوفرا في السوق) .. مثل قليل الأدب ووقع كما قلت لكم ، لكنه حقيقى ويعبر عن واقع الحال في إنجلترا وفي أوروبا كلها .. فاحتياجات الشاب الأعزب هنا متوفرة جداً و - على رأى المسرحية - « المقررات » هنا سهلة جداً وعلى قفا من يشيل .. فلا يحتاج الأعزب أن يفكر في الزواج إلا إذا كان غاوى هم ونكد ووجع قلب ومناهدة ..

وتمر الأيام والسنوات على صاحبنا الشاب الناجح الأعزب في المهجر ، وهو في كل يوم يزداد نجاحا ويزداد ثراء ، ويزداد عزوبية .. حتى أصبحت مشكلته مشكلة ظريفة جداً : لمن سوف يترك ثروته هذه كلها إذا وافاه الأجل المحتوم يوما ما في المهجر ، ولكل أجل كتاب ، فماذا يفعل ؟! لا شيء .. وبرضه لن يتزوج حتى لو أضطر في النهاية إلى أن يكتب في وصيته أسماء كل الحسنات الإنجليزيات من سن ١٦ وطالع ..

هذا هو الجزء الأول من حكايتنا .. نيجى للجزء الثانى :

سكن صديقنا الناجح الأعزب فى بيت فى حى من أحياء لندن الهادئة الراقية .. شقة صغيرة ظريفة محندقة فى الطابق الثانى .. جارته فى الطابق الأول شابة إنجليزية حسناء عمرها ٨٦ سنة ، شهدت عصر الملكة فيكتوريا وكانت فى شبابها - الجارة وليست الملكة فيكتوريا - وصيفة الأميرة مارجريت شقيقة الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا ..

هذه الجارة سيدة وحيدة ومقطوعة من شجرة ، لم يبق لها أهل و ليس لها أصدقاء ولا أحد يسأل عنها .. صديقنا المصرى الناجح الأعزب إنسان طيب ودمث ومهذب ولسانه حلو مع كل الناس ، وعنده نقطة ضعف شديدة بالنسبة للسناث الكبار .. فلأنه أحب أمه حبا شديداً وفقدما وهو فى مطلع شبابه ، فقد اعتبر كل (ست كبيرة) تصادفه فى أى مكان ، وكأنها أمه .. وجاءت جارته فى الطابق الأول - مسز « إيثيلين دينهى » - لكى تلعب هذا الدور فى حياته طيلة السنوات الخمس التى سكن فيها فى ذلك البيت .. كان يسأل عنها كل يوم ، وبين حين وآخر يدعوها للعشاء معه فى شقته الصغيرة وتمسهر عنده تتفرج على التليفزيون الملون ، فقد كان تليفزيونها أسود وأبيض .. وكلما سافر إلى مصر أحضر لها معه عند عودته هدية تذكارية صغيرة .. بل وتأبط ذراعها مرتين أو ثلاثا ودعاها للعشاء فى ذلك المطعم الصينى القريب من البيت .. عشاء لا يكلفه أكثر من عشرة جنيهات كان سيصرفها على أى حال.

حتى لو تعشى وحده .. لكن ذلك كان يسعد كثيرا السيدة العجوز التي ترملت منذ ٤٠ سنة .. وعرف تاريخ ميلادها - اليوم - فقط ، فهي لم تذكر له السنة أبدا - فكان يحتفل به معها بتورتاية صغيرة لا تكلفه أكثر من جنيه واحد ، يضع لها فيها شمعة واحدة بمعنى أن سنة جديدة من عمرها قد بدأت .. وحين دخلت المستشفى قبل ليلة رأس السنة بأيام ذهب إليها في المستشفى في ليلة رأس السنة ومعه هدية لها وأصر على أن يقضى الأمسية كلها إلى جوارها حتى أطفئت الأنوار في منتصف الليل إعلانا ببدء العام الجديد ، فقبلها في جبينها وخصيها وتهنى لها عاما جديدا سعيدا ..

ومررت السنوات ، واشترى صاحبنا شقة ضيقة صغيرة في حي آخر بعيد من أحياء لندن الجديدة ، إنتقل إليها .. ومع ذلك فقد نزل على الود باقياً مع جارتها العجوز مسز « إيثيلين دينهى » ، لا ينسى عيد ميلادها ، ويحضر لها معه هدية تذكارية صغيرة كلما سافر إلى مصر وعاد ، ويسأل عنها بالتليفون بين حين وآخر .. حتى عدة شهور مضت حين توقفت مسز « إيثيلين دينهى » عن الرد على التليفون في بيتها ، فظن أنها ربما تكون قد دخلت المستشفى مرة أخرى ، فاتصل بصاحب البيت تليفونيا الذى أبلغه بأنها قد ماتت ..



هل إنتهت قصة مسز « إيثيلين دينهى » من حياة صاحبنا ؟!
ليس بعد ..

بعد عدة أسابيع إتصل به محام إنجليزي ليبلغه خبرا صاعقا ..
(الحلق للى بلا ودان) حدث هنا : ماتت السيدة العجوز وتركت
وراءها ثروة قدرت بـ ١٢ مليون جنيه إسترليني ، وكان الإسم
الوحيد فى وصية مسز « إيثيلين دينهى » هو إسم صاحبنا !! وفى
يوم وليلة زادت ثروته ١٢ مليون جنيه إسترليني ، أو حوالى ٧٥
مليون جنيه مصرى !! .

اللهم لا حسد ، ولكن .. ما أنا طول عمرى كنت كويس مع
الستات الكبار !!!! .

المهندس
الإنجليزى
الذى بنى
هرم خوفو!!



MARGARET TOMLIN مارجريت توملين
صديقة إنجليزية عزيزة ، فنانة تشكيلية ، رسامة
درست الفنون الجميلة فى لندن وعملت فى أستراليا
وإنجلترا وأمريكا وإيطاليا .. عرفتھا منذ نحو ثلاثة
أعوام ، ومن وقتھا وقد أصبحنا صديقين حميمين
متلازمين لا نكاد نفترق ..



كان بيننا شيء مشترك هو أكثر ما جذبنى إليها هو احترامها
وحبها الشديد لأبيها المرحوم وحديثها الدائم عنه وعن ذكرياتها
وحكاياتھا معه .. ولأننى أحببت أبى وأمى حبا شديدا ومات كلاهما
مبكرا فلم أستطع أن أوفيهما حقهما من الحب والتكريم والولاء لذا
فأنا شديد الضعف أمام حب واحترام الأبناء لأبائهم وحب الآباء
لأبنائهم ..

فى أول يوم تعارفنا فيه أنا و«مارجريت توملين» منذ نحو ٣
سنوات وبمجرد أن عرفت ھى أننى مصرى قالت لى على الفور :
أنت اذن الذى ستحقق أمنية أبى التى طالما تمنّاھا قبل أن يموت ..
وكانت ھذه القصة ..

كانوا خمسة أشقاء أو سبطهم، إدوين أوسكار توملين EDWIN OSCAR TOMLIN الذى ولد فى (تشينجفورد CHINGFORD) إحدى ضواحي شمال لندن فى ٨ أغسطس عام ١٩٠١ .. وورث مع شقيقه شركة أبيهما لصناعة الأحذية ، ثم تخصص فى تصميم الأحذية .. تزوج فى سن مبكرة وأنجب أربعة أبناء : ٣ بنات وولد واحد : إدنا EDNA ، كيث KEITH ، مارجريت MARGARET ، و"جِيل" JILL .. لكن مارجريت كانت أحبهم جميعا إلى قلب أبيها، ومادام هو فى البيت فهى قابضة فى حجره أو جالسة على ركبتيه ، وهى المسرعة دائما إلى نلبية كل طلباته ، فإذا ذهب إلى ال (يوب PUB) أو حانة الضاحية فى مساء الجمعة كل أسبوع اصطحب معه اثنين فقط من أفراد الأسرة : طفلة الأثيرة « مارجريت »، وكلبه .. ولما كان غير مسموح للأطفال حتى سن الثامنة عشرة بدخول البار أو الحانة من الداخل، فقد كانت « مارجريت » الصغيرة تجلس مع كلبها إلى مائدة خشبية صغيرة توضع لها خصيصا على باب الحانة من الخارج ويحضر لها أبوها قدحا كبيرا من عصير الليمون أو البرتقال تجلس لترتشفه فى هدوء حتى ينتهى أبوها من سهرته مع أصدقائه .. لكن كان يكفها سعادة أنه يصطفئها هى بالذات ليأخذها معه مساء كل جمعة إلى حانة الضاحية ، وإلى أى مكان يذهب إليه ..



ومضت الحياة به « مارجريت » هادئة ناعمة بحبها لأبيها وحب أبيها لها حتى التاسعة من عمرها ، حين نفرقت الأسرة بانفصال الأب والأم فعاشت مع أمها وزوج أمها ، لكنها كانت فى مساء كل

يوم جمعة تسرع إلى البيت الذى يعيش فيه أبوها لتقضى معه عطلة نهاية الأسبوع كما اعتادت دائما .. حتى انتهت من دراستها و تخرجت فى كلية الفنون الجميلة وحصلت على عمل كرسامة، فكان أول ما فعلته أن جمعت ملابسها وحاجياتها وذهبت على الفور لتستأجر غرفة فى البيت المجاور للبيت الذى يعيش فيه أبوها، لتكون جاريته وتعود فتقضى كل وقت فراغها معه من جديد .. ولم تسكن مع أبيها فى نفس البيت لسبب بسيط جدا، هو أن مستر « توملين » كان يسكن فى غرفة واحدة من ذلك البيت، ولم تكن هذه الغرفة الواحدة لتتسع له ولابنته « مارجرىيت » معا ..

وكانت « مارجرىيت » - وما زالت - جميلة مشرقة باسمه مرحة ضحوكا .. لذا فإن وقتا طويلا لم يمض بعد تخرجها حتى كانت قد تزوجت ورحلت إلى استراليا لتقضى فيها ١١ عاما متصلة لم تعد خلالها إلى إنجلترا ولا مرة، لكنها كانت تكتب إلى أبيها دائما ويكتب إليها دائما .. حتى عادت إلى إنجلترا مرة أخرى بعد ١١ سنة من الغيبة والبعد فى استراليا ، لكن مستر « توملين » - الذى كان قد أصبح فى السادسة والستين من عمره الآن - كان قد تقاعد عن العمل وذهب ليعيش مع صديقة له « بيتى » فى مثل عمره بعد أن ترملت واحتاجت فى وحدتها إلى أنيس تترتاح إليه ، وكان صديقها القديم « إدوين أوسكار توملين » هو أقرب الناس إلى قلبها ، فدعته ليعيش معها فى بيتها الكبير فى مقاطعة (جلوسترشير) .. وذهبت « مارجرىيت » لتزور أباهما فى (جلوسترشير) بعد عودتها من استراليا ، وقضت معه أسبوعين قبل أن تعود إلى لندن لتعمل وتعيش مع أسرته الصغيرة، فقد أصبحت أما لطفلتين

جميلتين : ربيكا REBECCA وإستير ESTHER .. ثم ترحل الأسرة بعد ذلك بحكم عمل زوجها إلى إيطاليا ثم إلى أمريكا حيث قضت عدة سنوات ، قبل أن تنفصل « مارجريت » عن زوجها وتعود مع طفلتيها إلى إنجلترا .. لكن الوقت لم يتسع أمامها لترى أباه مرة أخرى ، فإنها قبل أن تستقر في بيتها الجديد في لندن كان قد بلغها نبأ وفاة مستر « توملين » الأب ..

كان مستر « إدوين أوسكار توملين » طول عمره يعتقد في تناسخ الأرواح ، وأن كل « روح » تحيا مرتين فقط .. وأن حياته هذه كمصمم أحذية إنجليزي ولد في عام ١٩٠١ هي حياته الثانية .. أما حياته الأولى فكانت قبل ذلك بعدة آلاف من السنين ، وفي مكان بعيد تماما عن إنجلترا ، بل لعل إنجلترا نفسها لم تكن موجودة في ذلك الوقت حين عاش مستر « توملين » حياته الأولى ، أو على الأقل لم تكن مأهولة أو معروفة ..

كان مستر « توملين » يعتقد أنه قد عاش حياته السابقة في : مصر الفرعونية .. وأنه كان مهندسا للعمارة في ذلك العهد القديم ، وواحد من المهندسين الذين صمموا وأقاموا هرم خوفوا الكبير .. وأنه كان سعيداً في حياته الأولى كمهندس مصري قديم عن حياته الحالية كمهندس إنجليزي الآن .. لذا فقد كانت وصيته الأخيرة هي أن يحرق جثمانه بعد وفاته وأن يقسم رماده على أبنائه الأربعة ، فمن المحتمل أن تتاح لواحد منهم فرصة أو إمكانية دفن رماد أبيه في الصحراء المحيطة بسمف هرم خوفو في مصر ، ليعود إلى أصله وإلى وطنه الأول القديم ، فقد عاش « إدوين أوسكار توملين » طول حياته يحلم بذلك ..

أبناءؤه الأربعة الآن فى أماكن متفرقة من العالم : **الإبنة الكبرى** «إدنا»هى كبيرة مرضات مستشفى ملبورن الرئيسى فى أستراليا ، « كيث » أصبح رساما ثم ممثلا كوميديا ورحل إلى هونج كونج وتزوج من صينية ثم انقطعت أخباره تماما حتى أن « مارجريت » فى رحلة من رحلاتها وضعت هونج كونج فى خط سيرها لكى تبحث عن أخيها فى آخر عنوان له عندها ، لكنها لم نعثر له على أثر .. **جيل** «الإبنة الصغرى تزوجت وعمرها ١٥ سنة وعاشت حياتها بعيدة عن الأسرة كلها التى لم تكن راضية عن زواجها فى هذه السن المبكرة وهى أقرب إلى طفلة منها إلى فتاة ، ولم تر أباه من يومها .. لذا فحين نقلت إليها وصيته فى أن يحفظ أبناءؤه برماد أبيهم لم تتحمس لهذه الفكرة،فكرة أن تحتفظ فى دولابها أو فى غرفة الإستقبال فى بيتها بإناء أو علبة فيها رماد أبيها .. وكذلك فعلت « إدنا » الابنة الكبرى ، و« كيث » الابن الوحيد مجهول العنوان .. و .. أصبح رماد مستر «توملين» جميعه من نصيب الإبنة التى أحببت أباه حيا وميتا : « مارجريت » ..

واحتفظت مارجريت برماد أبيها فى دولابها ١٠ سنوات كاملة ، سافر معها خلالها إلى أمريكا وإيطاليا وسويسرا ثم عاد معها إلى إنجلترا مرة أخرى ، وهى مصممة أنه لا بد وأن يأتى اليوم الذى سوف تحقق فيه وصية أبيها الأخيرة ..

وجاء ذلك اليوم حين عرفتني وعرفت أنني مصرى فقالت لى على الفور : أنت الذى ستحقق أمنية أبى ووصيته الأخيرة ..

وحدث ذلك فعلا

فبعد فترة من تعارفنا جاءت « مارجریت » تزورنى وهى تحمل حقيبة يد كبيرة نوعا ما ، فتحتها وأخرجت منها علبة كبيرة مستديرة من البلاستيك وضعتها أمامى .. سألتها مندهشا : ما هذا ؟ فقالت بهدوء : هذا أبى !!

كان ذلك هو الرماد الناتج عن حرق جثمان مستر « إدوين أوسكار توملين » احتفظت به ابنته مارجریت على أمل أن يأتى ذلك اليوم الذى تستطيع أن تنفذ فيه وصية أبيها بدفن رماده فى صحراء الجيزة تحت سفح هرم خوفو فى مصر ..

وظل المرحوم « توملين » موضوعا على الرف العلوى فى مكتبتى فى بيتى فى لندن بين عدد من الأليكات والتمائيل الصغيرة .. ظل فى مكانه هذا ما يقرب من تسعة شهور حتى حان موعد أجازتى التى أقضيها فى القاهرة كل عام ، فوضعت المستر « توملين » فى حقيبتى وأخذته معى إلى مصر ..

وتوالت الأحداث بعد ذلك : غريبة أحيانا ، مفاجئة أحيانا ، مرحة أحيانا ، مثيرة للدهشة أحيانا ..



وصلت إلى بيتى فى القاهرة بعد منتصف الليل مرهفا مكدودا ، فقد كنت لم أنم لعدة ليال قبل سفرى إلى مصر .. الأيام الأخيرة قبل السفر دائما تكون مزدحمة بعشرات الأمور والمسائل والترتيبات التى لا بد أن تنتهى قبل بدء الأجازة .. دخلت لأنام بمجرد وصولى وتركت مسألة تفريغ حقائبي حتى الصباح .. فى الصباح جاءت ابنة أختى « فاطمة » المحاسبة فى أحد البنوك

الكبرى فى القاهرة ، وهى التى ترعانى وتتولى كل أمورى فى مصر خلال غيابى عنها .. جاءت لتطمئن إلى وصولى ولتعد البيت لاستقبال ضيوفى الذين أسعد بهم خلال فترة أجازتى فى مصر .. ولأنها هى همزة الوصل بينى فى لندن وبين باقى الأسرة فى القاهرة فهى لا تبلغ الأسرة بوجودى فى مصر إلا بعد أن ترانى أمام عينيها فعلا ، فكثيرا ما أبلغها بسوا عيىد لعرىتى ثم أتخلف عن السفر إلى مصر لأسباب تطرأ فى آخر لحظة ..

جاءت « فاطمة » فى الصباح إذن وبدأنا معا نفرغ حقائبى وأنا أضع الهدايا جانبا : هذه الهدية لفاطمة وهذه الهدية لماما فردوس ، وهذه الهدايا لأختها نعمة وأولادها وهذه الهدية لصديقى وجارى محمد الرفاعى ، وهذه الهدية لأساذى وصديقى « عز الدين رضوان » حتى طلعت فى يدى من الحقيبة علبة كبيرة مستديرة من البلاستيك وضعتها بحرص شديد على الرف العلوى فى مكتبتى دون أن أنكر لـ « فاطمة » شيئا عنها .. فسألتنى هى بفضول :

- إيه دى يا خالو ؟!

فأجبته ببساطة :

- ده المستر توملين ..

- مستر إيه ؟!

- توملين ..

- يعنى جاييها معاك للمستر توملين والا من المستر توملين ؟!

- ولا كده ولا كده ... ده المستر توملين شخصا ..

فنظرت إلى فى شك وقالت :

- مش فاهمة ..

حكيت لها حكاية « مارجريت توملين » وأبيها المرحوم المستر « نوملين » من الندابه حتى اللحظة التى نحن فيها الآن .. فقالت « فاصمه » وقد امسح وجهها :

- يعنى عابز نفول إن حوا العلبة دى واحد راجل ميت !! ؟

- مش بالضبط . لكن واحد راجل مات وجنته أحرقت وده

رماده ..

بعد أن أفاقت « فاطمة » من إغمائها كان قرارها ألا تبغ الأسره بعودى إلى مصر فى الوقت الحالى حتى نخلص من مسألة المرحوم المسر « نوملين » ، لأن فى الأسرة عددا من مرضى القلب الذين لن تتحمل قلوبهم قطعا مسألة التواجد فى مكان واحد مع رجل ميت منذ ١١ سنه وقابع فى علبة پلاستيك يطل عليهم من الرف العلوى للمكتبة ..

وظلت « فاطمة » بعد ذلك لمدة ١٢ يوما لا تقترب من غرفة

مكبى ولا ندخلها على الإطلاق ..

لما كانت هذه هى أول تجربة من نوعها فى حياتى ، أن أدفن رماد رجل ميت ، فقد رأيت أن أؤديها على أفضل وجه ممكن ..

ولما كان المرحوم « توملين » فى آخر عهده بالحياة إنجليزيا فقد قدرت أنه لابد كان مسيحيا ، فأردت أن تتم مراسم دفنه كرجل مسيحى .. ولابد فى هذه الحالة من الانصال بأحد القساوسة ليتولى إجراء هذه المراسم .. لا أعرف أحداً من القساوسة شخصيا ، لكن جبرانى المسيحيين فى العماره الني أسكنها كثيرون ، منهم واحد من أقرب أصدقائى إلى نفسى وأقدمهم فى الوقت نفسه ، فقد لعبنا لفريق كرة السلة بالنادى الأهلى ونحن تلامذة فى ثانوى ، المحاسب « سامى سلامة ميلاد » ، أحد مديرى البنك المركزى ، وشقيقته تحت شقيقى مباشرة ..

جاء « سامى يزورنى فجلسنا - كالمعاد دائما - فى غرفة مكتبى ، وحكىته له موضوع مسير « توملين » فاسنوعه « سامى » جيدا وهو مفتوح العينين على آخرهما وقلبه بدق بعنف حتى أكاد أسمع دقاته من مقعده المقابل لى على اتساع الغرفة .. وسألنى بصوت متهدج وأنفاس متحشجة وهو يتلفت حوله بعينين زائغتين من فرط الرعب :

- والمرحوم مسير توملين فى دلوقتى !!

قلت ببساطة وأنا أشير إلى المكينة وراء ظهره :

وراك أه على الرف العلوى فى المكتبة ..

وفط « سامى » فى مكانه واقفا وهرع وهو يكاد يجرى إلى باب الشقة وهو يقول أنه سوف يتصل بالقسيس الذى يعرفه ثم يرد على بعد ساعة .. وحين تأخر « سامى » فى الإتصال بى

اتصلت به أنا بعد عدة ساعات ، فرد على فى صوت خافت محتقن
لا يكاد يبين بأنه قد تذكر أن القسيس الذى يعرفه قد مات منذ ٩
سنوات ولا يعرف قسيسا غيره .. وأضاف أنه - أى « سامى » -
مسافر غدا صباحا بدرى إلى مرسى مطروح لمدة ٩٤ شهرا منتدبا
لفرع البنك فيها .. فسألته مندهشا :

- هو البنك المركزى له فروع يا سامى؟! أمال إسمه
(المركزى) ليه ؟

لكن « سامى » وضع السماعة دون أن يرد ، ولم أره بعدها
طوال تلك الأجازة !!

وجدت حلا : أن أتولى دفن رماد المرحوم مستر « توملين »
ليس على أساس أنه المهندس الإنجليزى ، فلم تكن هذه هي
رَصيدته ، وإنما على أساس حياته السابقة كمهندس مصرى من
عصر الفراعنة .. ولما كانت الأديان لم تظهر بعد فى العصور
الفرعونيه لمصر القديمة أيام بناء الأهرامات ، إذن فالمستر
« توملين » لم يكن مسيحيا ولا مسلما فى حياته الأولى ، وبالتالي
فنستطيع أن ندفن رماده فى احتفال ليس له صبغة دينية ..

وشرحت الموضوع لعدد من الأصدقاء واقترحت عليهم
المشاركة ، بالحضور ، فى الاحتفال بدفن رماد المستر « توملين »
فى سفح الهرم .. وفى الموعد المحدد لم يحضر من ١٢ صديقا
وجهت إليهم الدعوة إلا ثلاثة أصدقاء فقط : إينة أختى المحاسبة
« فاطمة » بدافع الخوف من أن تبقى وحدها فى البيت حتى نعود ،
ورجل القانون « محمد عبد العزيز الرفاعى » أستاذ القانون الدولى

بالكلية الحربية بدافع الفضول والإثارة ، والصحفى « حاتم نصر فريد » المحرر العلمى لمجله أكتوبر المصرية بدافع الفضول العلمى إلى مشاهدة شكل الرماد المتخلف عن حرق إنسان

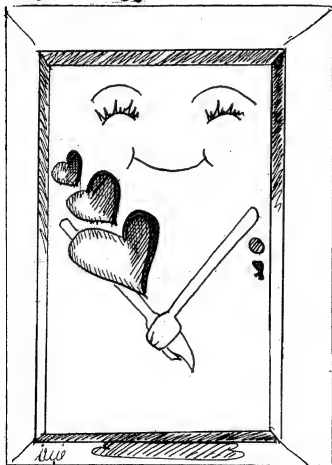
وتحرك الموكب الصغير فى سيارة واحدة فى طريقنا إلى الهرم ظهر يوم الجمعة ١١ يوليو .. وفى الطريق أفتى رجل القانون أنه بما أن المشاركين فى تشييع مسر « توملين » إلى مقره الأخير جميعا مسلمون ، وعلى اعتبار ان الأعمال بالنيات وأنا نعمل عملاً خيراً بتحقيق وصية وأمنية رجل ميت ، فحتى لو لم يكن هذا الرجل مسلماً فلا بأس من أن نصلى عليه قبل دفنه ونقرأ الفاتحة على روحه .. ووافقنا جميعاً على ذلك ، فتوقفنا عند مسجد صغير تابع لجمعية تحسين الصحة نحت سفح الهرم مباشرة ، وأدنا صلاة الجمعة ثم قرأنا الفاتحة وهبناها لروح المسر « توملين » .. ثم عاد الموكب يستكمل صعوده إلى سفح الهرم ، حيث اخترنا بقعة مناسبة تبدو من خلفها الأهرامات الثلاثة عن بعد ، حتى يظهر فى خلفية الصور التى رأيت أن نلتقطها أثناء دفن رماد المرحوم « توملين » ، لكى أهدبها إلى ابنه الوفية المخلصة المحبة لأبيها ، دليلاً على أننا قمنا بتنفيذ وصيته على الوجه الأكمل ، وحتى نحفظ بهذه الصور ضمن التذكارات العائلية التى ستجلس فى ليالى شتاء لندن الباردة بعد عشرات السنين لتحكى لأحفادها كيف ساعدها الله على أن تحقق لأبيها آمانيته ووصيته الأخيرة بدفنه فى سفح الهرم الذى مات وهو يعتقد أنه ساهم فى بنائه ..

وحفرنا فى الرمال حفرة صغيرة وضعنا فيها رماد مسر « توملين » ، ثم أهلنا الرمال فوق الرماد ونحن نقرأ الفاتحة وعدداً

من قصار سور القرآن الكريم .. ورغم أن واحدا منا نحن الأربعة لم ير مستر « توملين » في حياته ، إلا أننا شعرنا جميعا بأننا نودع صديقا عزيزا إلى مثواه الأخير ، و .. أجهشت « فاطمة » فجأة بالبكاء ، فبكينا جميعا ●

عدنا إلى بيتي بعد أن واريانا مستر « توملين » التراب - للمرة الثالثة في « حياته » - وبمجرد دخولي إلى البيت رن جرس التليفون رنيننا متواصلا دليلا على أنها مكالمة خارجية .. رفعت السماعة فأتاني صوت « مارجريت » تتكلم من لندن بصوت مختنق تقول لى : « كنت أشعر منذ أمس ليلا أنك سوف تقوم بدفن أبى اليوم بالذات » .. قلت لها إننا عائدون لتونا الآن في هذه اللحظة ، فقالت وهى تبكى جملة باللغة العربية تعلمتها منى : « الهمدو لله » ثم أضافت : « هل تعرف أن اليوم ، ١١ يوليو ، هو نفس اليوم الذى مات فيه أبى منذ ١١ سنة بالضبط » !!

كولومبيا
بينت ..
والحب من
أول نظرة !





واحدة من مشاكلى - وهى كثيرة - أننى إنسان متفائل بطبعى مستبشر بطبعى وسعيد بطبعى وقالبى ملئ بالحب للحياة وللدنيا ولكل شىء ، وأرى فى أى مصيبة تحدث مهما كان شكلها وحجمها - كالزواج مثلا - جانباً حسناً يضيف على الحياة بهجة وسعادة مهما كان وقت هذه السعادة قليلا - ٣ أيام قبل شهر العسل - لكنها سعادة وخلص ..

فأنا أبدأ كل شىء بالحب لحبى حدوث تغيير ما ، فألقى بالأمر كله وراء طهرى وأنساه وأبدأ أنلعت حولى من جديد لكى أحب شئنا آخر أسعد به - أو بها - لفتره قد بطول وقد بقصر .. لكن الحب عندى يأتى أولا ، وثانبا ، وثالثا .. وإذا فاض مكان بعد ذلك فهو للحب أيضا .. طبيعى هكذا ، مولود هكذا ، رينا خلقنى هكذا ، وأنا سعيد جدا بكونى هكذا ..

والحب فى قلبى ليس للبشر فقط ، لكننى أحب كل شىء حولى حتى لو كان « جماداً » ، وأجعل لكل شىء حولى ذكريات وحواديت وكأنها ذكريات قصة حب قديمة متجددة مسمره .. وقد كنت وأنا صغير أحتفل بعبد ميلاد قطتى ، فلما كبرت شوية ، وفهمت ،

احتفلت بعيد ميلاد جارتى الحسنة التى أهدتنى تلك الفضة .. وبدو
أن السنة وقتها كانت صغيرة جدا ، فقد كنا نحتفل بعيد ميلادها كل
يوم خميس !!

● **ومن بين « الأشياء » التى بينى وبينها قصة حب قديمة مسمرة**
منذ ١١ سنة حتى الآن : شقنى اللندنية .. وأقرأوا ما كتبته فى
مذكراتى يوم ١٧ فبراير الماضى :

● **شقنى فى مبنى [كولومبيا پوينت] .. ما أسرع ما يمر**
الأيام ، والسنين .. اليوم مرت ١١ سنة على ذلك اليوم من عام
١٩٨٣ الذى رأيت فيه هذه الشقة لأول مرة ، فوقعت فى حبها من
النظرة الأولى وهى على البلاط تماما .. لكن موقع الشقة وكونها
فى الدور الـ ١٢ مثل شقنى فى القاهرة ، والمنظر الرائع سدب
الروعة لمدينة لندن الذى تطل عليه الشقة فترى [بانوراما]
عريضه رائعة للندن بكل معالمها الشهيرة ، إبداء من نهر
« التيمس » وكوبرى « تاور بريدج » وكاندرائية « سانت پول »
وساعة الـ « بيج بن » الشهيرة نفسها ، وأيضا المنظر الخلفى الذى
تطل عليه العمارة بالبحيرة الصناعية الكبيرة الرائعة والغدير
الطويل الذى يصل بين البحيرة ونهر « التيمس » ، وناطحة
السحاب الوحيدة فى أوروبا كلها « كنارى وورف » التى هى على
مرمى البصر تبهج النظر بالنهار بتصميمها الهندسى المعمارى
البديع ، وتتألاً أضواؤها شامخة فى الليل .. والـ [شوينج سنتر]
الكبير الفاخر الرائع الشبك جدا الأنيق جدا الذى تطل عليه الشقة
من نوافذها الخلفية على بعد دقيقة واحدة سيرا على الأقدام ،

وحديقة [ساذرك پارك] الكبيرة الواسعة جدا النى هى ثالث أكبر حديقة فى لندن كلها من ناحية المساحة ، بعد حديقتي [هايد پارك] و [ريچنت بارك] ..

و - أهم من ذلك كله - أن الشقة ليست فقط نفسيقا من الداخل تفى باحتياجاتي تماما : غرفة نوم واسعة كبيرة وغرفة معيشة أوسع وأكبر وغرفة مكتب صغيرة محندقة ، لكنها أيضا رخيصة جدا فى إيجارها الذى يعتبر ملائم بالنسبة إلى إيجارات الشقق فى مدينة لندن عاصمة إنجلترا .. فقد بدأتها بـ ٢٣ جنيها فى الأسبوع ، زادت فى خلال ١١ سنة إلى ٥٤ جنيها فقط ، وهو مبلغ لا يستأجر غرفة واحدة تحت السلم فى بيت منواضع فى حى شعبي من أحياء لندن الفقيرة ، بينما شقتى فى عمارة فاخرة فى واحد من أرقى وأهدأ أحياء لندن الذى يشبه حى المعادى زمان فى القاهرة أيام كانت المعادى معادى ولم تكن قد تحولت إلى حى شعبي كعابدين والسيدة عائشة والقلعة والمغربلين كما هى الآن ..

وقد بلغ من حبي لشقتى هذه أننى ، رغم عادة سيئة فى هى أننى لا أحب أن « أتملك » أى شىء - إلا الكتب والتليفونات والكاميرات وألبومات الصور وأفلام الفيديو- « المؤدبة » - أننى بعد مرور ٣ سنوات على سكناى فيها تملك هذه الشقة ودفعت فيها ثمنها لا يشترى غرفة واحدة فى حوارى شارع الملك فيصل الآن .. ذلك لأن نظام الإسكان فى إنجلترا يجعلك تشتري الشقة إذا سكنتها لمدة ٣ سنوات فأكثر أن تدفع ثلثي ثمنها فقط ، وكلما زادت المدة التى سكنت فيها الشقة تدفع فيها ثمنها أقل .. وفى خلال الـ ٨ سنوات

التي مضت منذ اشتريتها ارفع سعرها فى السوق إلى ١١ ضعف المبلغ الذى دفعته فيها .. الأهم من ذلك أيضا - وكلها أشياء « أهم » من بعضها - أننى تسلمتها على البلاط تماما ثم أثنتها وهرستها على مزاج مزاج مزاجى قطعة قطعة وسنتى سنتى ومللى مللى ، حتى أصبحت بهجة ومنعة لى أن أقضى يوما كاملا فيها دون أن أحتاج إلى الخروج منها . وحتى أصبحت هى الشيء الوحيد الذى أفنقه فى لندن - بعد الأميرة « دايانا » طبعاً - خلال غيابى عن لندن فى مصر أو فى مهمة صحفية .. وإذا غبت عنها أياما قليلة فإننى أعود إليها بلهفة واشتياق كما لو أننى عائد إلى أمى مثلا - الله يرحمها - ولا أستطيع أن أقول وكأننى عائد إلى زوجتى لأننى - أولا - لست متزوجا ، و - ثانيا - لأنه لا أحد يشنق إلى زوجته بعد الأسبوع الأول من الزواج ، وأنا أشتاق إلى شقتى اللندنية بعد ١١ سنة من كونها « على ذمتى » !!

وكل سنة وأنا طيب ..

هاللو
ياللي
فوق !!



عندنا فى مصر شيخ الأزهر هو أكبر منصب دينى بالنسبة للإسلام .. والأزهر هو أزهر واحد وليس هناك أى جامع آخر يستطيع أن يقول أنه يلى الأزهر فى الأهمية وبالتالي يكون شيخ هذا الجامع هو الشيخ التالى فى الأهمية بعد شيخ الأزهر ..



الوضع فى إنجلترا مختلف .. والكلام عن الكنيسة الإنجليزية طبعاً فهم ليس عندهم [أزهر] .. الملكة « إليزابيث » هى رئيسة الكنيسة الإنجليزية بحكم وضعها [الملكى] .. لأن [الملكة] أو [الملك] فى إنجلترا هو رئيس الكنيسة الإنجليزية التى ابتدعها الملك المزواج « هنرى الثامن » على مزاجه لكى تكون له كنيسه الخاصة التى تنفذ له كل رغباته ونزواته بعيداً عن سلطان وسلطات القأتىكان وبابا القأتىكان ..

لكن الرئاسة الاسمية للملكة « إليزابيث » للكنيسة لا معنى أن الملكة تستطيع أو من حقها أن تفتى فى الشئون الدينية .. إنما المنصب فى الكنيسة الإنجليزية الذى يعادل منصب شيخ الأزهر عندنا هو منصب [اسقف كنتربرى] .. والذى يشغل هذا المنصب يظل يشغله حتى يموت أو حتى يتقاعد هو برغبته ومن تلقاء نفسه ، لكنه لا بحال إلى المعاش مهما بلغت سنه ما دام قادراً ، ويريد، أن

يظل في موقعه .. لا الملكة ولا رئيس الوزراء يستطيع واحد منهما أن يحبل الأسقف إلى المعاش ..

لكن هناك [أسقفاً] آخر في إنجلترا يعتبر التالي في الأهمية بعد [أسقف كنتربرى] ، هو [أسقف كنيسة دارام] .. ليس وكيلا ولا نائبا للأسقف [كنتربرى] ، لكنه أسقف وحده يفعل ما يشاء وبمضى بما يشاء دون أن تكون عليه سلطه أو رئاسة - أو رقابة - من [أسقف كنتربرى] .. بل إنه يكاد يكون معادلاً للأسقف [كنتربرى] فى كل شيء .. فأسقف [كنتربرى] يلقى كلمة للعالم المسيحى الإنجليزى فى الكريسماس أو عند ميلاد المسيح تذاع فى كل أجهزة الإعلام : الصحافه والراديو والتلفزيون .. وأسقف [دارام] يفعل نفس الشيء تماماً ..

لكن فى السنوات الأخيرة أصبح دكتور « ديفيد چينكينز » أسقف [دارام] مصدر إزعاج وقلق كبيرين للكنيسة الإنجليزىة ، وفى الوقت نفسه مصدر سعادة وسرور لأجهزة الإعلام الإنجليزىة التى عابزه جنازة وتشبع فيها لطم .. فأصبحت تجرى وراء أسقف [دارام] فى كل مناسبة دينية لتشاكسه وتنكسه حتى تستخرج منه فتوى جديده فى أمور المسيحية .. وهو من ناحيته لا يتأخر ولا يعصر ، فهو كل سنة يطلع بفتوى جديدة تلبس الكنيسة الإنجليزىة ونفرد لها أجهزة الإعلام الإنجليزىة صفحاتها الأولى وقنواتها وموحداتها .. وله فى كل كريسماس حدوته جديدة أسقف [دارام] النشيط دكتور « چينكينز » هذا ..

فى عيد الكريسماس منذ ٣ سنوات أفنى أسقف [دارام] بأنه

غير صحيح أن المسيح بعد صلبه قد صعد إلى السماء ثم عاد مرة أخرى إلى الأرض لعدة أيام رآه خلالها عدد من حوارييه ومن شعبه المسيحي .. وقال إن المسيح مات وخلص ، لم يصعد ولم ينزل ، لكنه مات وانتهى ومفيش حاجة إسمها رجوع تانى .. مات وخلص .. فاهمبس ؟!

وفى الكريسماس التالى عاد أسقف [دارام] ليريد فنواه السابعة وصوحاً وتأكيداً .. فأفنى هذه المرة بأن المسيح كان رجلاً عادياً مثله مثل أى رجل فى الدنيا ، ولم يكن لا الله نفسه ولا ابن الله ولا روح قدس ولا حاجة .. رجل عادى نزل إليه تكليف بأن يكون رسولاً للسلام والخير فى الأرض .. وقد كان .. لكنه رجل عادى مثلى ومثلك ومثل أى رجل آخر .. فاهمين ؟!

ويجربى الصحفيون إلى أسقف [كنتربرى] - رئيس الكنيسة الرسمى - يسألونه عما يقوله أسقف [دارام] .. فيقول لهم أسقف [كنتربرى] إن أسقف [دارام] رجل دين مثله تماماً وهو يعرف ما يقوله ومسئول عن كلامه ، فإذا كان يرى ذلك فهو رأيه الشخصى وهو حر فيه » !! - [وفى الحقيقة أن أسقف « دارام » كان أكبر سناً من أسقف « كنتربرى »] ..

وفى الكريسماس الماضى فجر أسقف [دارام] قنبلته الأخيرة : مريم حملت فى المسيح بطريقة طبيعية تماماً نتيجة معاشرته جنسية طبيعية تماماً مع رجل .. وبالتالي فهى لم تعد عذراء ولا يجب أن نظل نقول عنها حتى الآن « العذراء مريم » أو « السيدة العذراء » لأنه لا يمكن أن تكون « سبدة » و « عذراء »

فى نفس الوقت ، ولبس حنى منطقياً أن تحمل وبلد ثم تظل
عدراء !!

أسقف [دارام] العجوز دكتور « چسكنز » - ٦٩ سنة - بعزل
منصنه فى شهر بوليو ويعود إلى بيته لبفصى سوانه الأخيرة ..
وبفسب الكنيسة الإنجليزية الصعداء اخيراً بعد ان خلصت من
الأسقف المشاكس وفتاواه النى سير المشاكل .. حتى أن
جريدة الـ [صن] - (THE SUN) - التى توزع خمسة ملايين نسخة
بومبا فى انجلترا وحدها ، نشرت صورة ظريفة حدا لأسقف
[كنتربرى] وهو بوجه بوجهه إلى السماء وبضع يده إلى جوار
فمه وكأنه بنادى ، وكتبت تحته تعليقاً معناه أن أسقف
[كنتربرى] يعتذر ، للى فوق ، عن فتاوى أسقف [دارام]
القديم ، ويبشره بأن أسقف [دارام] الجديد « مايكل تورنبول »
يومن بالله !!

٤٢ مطارا
و٨٨ ميناء ..
والباب يفوت
١٠٠٠ جمل !!





الذى يهاجر من وطنه إلى بلد آخر ، فهو
لا يذهب إلى ذلك البلد غازياً ولا فاتحاً ولا منتصراً
لكى يفرض شروطه ورغباته ومزاجه الخاص على
البلد الذى يهاجر إليه ، بل إن العكس هو الصحيح ..

فالإنسان يهاجر من وطنه إذا لم يجد فيه سبل الحياة مبسرة ،
إذا لم يجد عملاً يناسب مؤهلاته وإمكاناته ، أو إذا لم يجد عملاً
على الإطلاق ، أو إذا كان بلده فقيراً جداً والأفواه فيه كتبرة جداً
والأقوات شحيحة .. وهناك بلاد كثيرة ينطبق عليها هذا الوصف ،
خصوصاً فى إفريقيا وأغلب دول آسيا ومعظم دول شبه القارة
الهندية وأمريكا اللاتينية .. ولو نظرنا إلى المهاجرين من أوطانهم
إلى أوطان أخرى فنسند أن ٩٩ ٪ منهم كانوا نحت مستوى حد
الفقر فى بلادهم وكانت الهجرة إلى وطن آخر ممكن أن يجدوا فيه
لحمة عيش ، أفضل من الموت جوعاً ومرضاً فى أوطانهم
الأصلية .. والـ ١ ٪ الباقون هم الذس نستطيع أن نصنفهم تحت
بند [الباحثين عن فرصة عمل أفضل] ، مثل الدكارة والمهندسين
والصحفيين والعلماء عموماً .. وهؤلاء غالباً قد طفشوا من أوطانهم

الأصلية بعد أن نكد عليهم فيها الموظفون الإداريون البيروقراطيون المتمترسون وراء مكاتبهم يعطيلون المراكب السابرة ويلعبون الأمور ، أعضاء [إدارة مكافحة الموابه] و [الإدارة العامة للتعقيدات] .. وقد حكى الدكتور « مجدى يعقوب » أنه طفش من مصر لهذا السبب بالذات ، وفى بريطانيا النى هاجر إليها أعمت عليه الملكة « إليزابيث » بلف [سير] ، وهو لعب لو تعلمون عظيم .. وحكى الدكتور « فاروق الباز » أنه أيضاً قد هاجر من مصر لنفس السبب ، وفى أمريكا استطاع أن يكون واحداً من أبرر وأمع علماء الفضاء ..

لكن الباقين من المهاجرين ليسوا « يعقوب » أو « باز » .. بل معظمهم كانوا مش لاقين ياكلوا فى أوطانهم الأصلية .. وبمجرد أن يستقر بهم المقام فى أوطانهم الجديدة ويجدون عملاً ويجدون سقفاً ويجدون ٣ وجبات كل يوم ، فهم يبدأون فوراً فى النمردة والتبطرو وتصوروا أنهم جاءوا إلى هذا الوطن الجديد لكي يصلحوا من شأنه ويجعلونه مثل وطنهم الذى هاجروا منه (!!) فإذا كانوا بوزنيين - مثلاً - فإنك تقابل المسيرات البوذية بدق الطبول فى شوارع لندن كل يوم ، يدعون للديانة التى جاءوا بها معهم من وطنهم القديم ، وإذا كانوا يهوداً تعاملوا مع أهل الوطن الجديد باحتقار وعال وحاولوا أن يسيطروا عليه من الداخل ، وإذا كانوا مسلمين ملأوا الدنيا ضوضاء وكفروا كل الناس وحاولوا أن يرعموا النساء والبنات الإنجليزيات على الحجاب والتقاب والرجال الإنجليز على إطلاق الذقون على الصدور وليس الجلالتب البيضاء والصنادل ، وجادلوا ولجوا مع أجهزة الدولة طالبيين السماح بإذاعة

الأذان للصلاة من مكبرات الصوت خمس مرات في اليوم من عشرات المساجد الصغيرة والروايا التي بنشروها في كل مكان .. فإذا قيل لهم أن إنحلثرا دولة مسيحية ومع ذلك فغير مسموح لكنائسها بإذاعة التراتيل عبر مكبرات الصوت ، قاوحوا واتراخلوا وقالوا : لأن المسيحية ليس فيها آذان للصلاة ، لكن الإسلام فيه « !! .. وحين حدثت أزمة الكاتب « سلمان رشدي » الشهيرة بسبب روايته - الرائعة - [آبات شيطانته] صرح واحد من كبار المتحدثين باسم الاسلام في بريطانيا لصحيفة الـ [دانلي ميرور] بأنه لو قابل « سلمان رشدي » في الشارع فسوف يطلق عليه النار !! هكذا .. فكان نتيجة ذلك أنه في اليوم التالي مباشرة أدلى وزير الداخلية الإنجليزى بحديث إلى نفس الصحيفة قال فيه أن على المسلمين الذين يعيشون بيننا في بريطانيا أن يفهموا جيدا أنهم ضيوف عندنا في بلدنا ، وأن قانوننا نحن الذي يسرى على الجميع يسرى عليهم هم أيضا .. فإذا لم يعجبهم ذلك فبريطانيا جزيرة صححيح لكن فيها ٤٢ مطاراً و ٨٨ ميناء والباب يفوت ١٠٠٠ جمل ، فليفضلوا مع ألف سلامة يعودوا الى بلادهم التي جاءوا منها يتنططوا فيها هناك زى ما هم عايزين .. هذه هي آخر مرة أسمع فيها هلوسة وجعجة من هذا النوع .. وفي أى مرة أخرى أسمع فيها مثل هذه الهلوسة سأضع صاحبها على أول طائرته تغادر مطارات إنجلترا فجراً .. فاهمين « ؟! .. فانخرسوا جميعا ولم يظهر لهم صوت بعد ذلك ..

كل هذه المقدمة كتبها بسبب خبر أذاعه التلفزيون الإنجليزي اليوم - ٥ رمضان - .. قال الخبر أن صاحب عمل في مدينة [ليدز] الإنجليزية قد رُفد من مصنعه ١٣ عاملاً مسلماً آسيوياً - هنوداً وباكستانيين وبنجلاديشيين وأفغان - لأنهم أصروا على أن يحصلوا على أجازة في أول يوم من شهر رمضان باعتبار أنه [عيد ديني] عندهم ، وحين رفض صاحب العمل أن يعطيهم أجازة في ذلك اليوم لم يذهبوا جميعاً إلى العمل يوم أول رمضان ووضعوا صاحب العمل أمام الأمر الواقع ، فرفضهم صاحب العمل فوراً .. وكان مبرره في ذلك الرُفد الفوري هو أن غياب ١٣ عاملاً مرة واحدة عن العمل أضرب العمل وعطل الإنتاج وجعله يخسر في ذلك اليوم بدلاً من أن يكسب ، وهو يدفع لهم أجورهم عن الإنتاج وليس عن « عدم الإنتاج » ، كما أنه لو كان قد سمح لهم بأجازة في ذلك اليوم باعتباره [عيداً دينياً] لفتح على نفسه فتحة لا أول لها ولا آخر ، لأنه - أولاً - يعرف أن أعياد المسلمين الدينية كثره جداً ، وثانياً لأنه لو سمح بذلك اليوم فسيكون قد سمح بالبدء نفسه وسوف يصبح حصولهم على أجازة في كل عيد ديني لهم كمسلمين حقاً مكتسباً لا يستطيع الإضراب عليه مادام قد وافق عليه أول مرة ، وثالثاً أن زملاءهم من العمال المسيحيين واليهود والبوذيين والصينيين واليابانيين وأصحاب ١٢٠ ديانة أخرى سوف يطالبون بأن يعاملوا بالمثل وأن يحصلوا على أجازات في أعيادهم الدنسة هم أيضاً .. وذلك المبدأ ليس معمولاً به في أى مكان في العالم ، لأنه لا دخل للدين بالعمل ، ورابعاً - وهو أهم ما استند إليه صاحب العمل في قراره برفضهم ودافع به أمام المحكمة - هو أن [أول

رمضان [لا يعتبر عبداً دينياً يحصل فيه المسلمون على أجازة في
أى بلد عربى أو إسلامى .. فكيف يريد هؤلاء العمال المسلمون
أن يحصلوا على أجازة وهم يعملون فى بلد مسيحي ،
لا يحصلون عليها حين يعملون فى بلدهم الإسلامى ؟!
هل عرفتم - والسؤال للقراء - لماذا يكره الغرب المسلمين ؟!

أصبحت
مليونيرا
بسبب
مقال
نشرته ..!





يصلنى فى غربتى فى لندن من أصدقائى فى مصر ما بين ٢٠ - ٢٥ رسالة كل شهر .. فأنا رجل كثير الأصدقاء كثير المعارف ، وبينى وبين الأصدقاء خيوط وخطوط مودة لا تنقطع إلا بانتقال واحد منهم إلى رحمة الله ، أو إلى رحمة واحدة ست ، كأن يتزوج مثلاً فتصبح عنده همومه الخاصة التى تمنعه عن الإتصال بأى حد إلا بمحررى أبواب مشاكل القراء فى الصحف ، ثم بالمحامين الشرعيين بعد ذلك فى مرحلة لاحقة ..

بعض الأصدقاء يكتب لى مرتين فى الشهر ، وبعضهم يكتب لى ٧ - ٨ مرات فى السنة كلما إتسع وقته وساحت ظروفه .. وأنا أرد على كل رسائل الأصدقاء والمعارف - والقراء - التى تصلنى فى لندن ، وأجد فى ذلك متعتين : متعة أن الأصدقاء فى مصر لا ينسونى رغم البعد ، ومتعة أن أخبار مصر تجد طريقها إلى دائما عبر هذه الخطابات والرسائل ..

فى شهر ديسمبر الماضى لاحظت ملاحظة غريبة .. فقد قفز بريدى من القاهرة ، ولنقل من مصر ، من ٢٠ : ٢٥ رساله فى

الشهر إلى - فجأة - ما يقرب من ٣٠٠ رسالة .. معظمها من أصدقاء إختلفوا من حياتي منذ سنوات بعيدة ، ومعارف درجة رابعة ، بمعنى أن العلاقة بيننا لم نزد في يوم من الأيام عن : « أهلا ، إزيك ، إزى الصحة والأحوال ، سلامو عليكم » .. ومن أقارب لم يزوروني في بيتي مرة واحدة من قبل ، بل وأكد أعرف أنهم أقارب [سماعي] ، يعني أسمع أن تغيدة بنت بنت بنت خاله عمه جده أمي ، عندها ولد اسمه « محمد » ، فيكتب لي « محمد نفيدة » هذا في شهر ديسمبر الماضي خطابا كله موده وحب وحرص على استمرار وتأكيد « الروابط والأواصر العائلية » - التي عمرها ما كانت موجودة أصلا - وبلح في أن أتصل بهم في رقم نليفون النفال اللي بحت بينهم بمجرد وصولي إلى مصر ، حتى يحضروا جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً وعبالاً لزيارة قريبهم العزيز المهم - اللي هو أنا - بعد فتره طويله لم يروني فيها ، وهم لم يروني طول عمرهم ولم أرهم في حياتي!

فجأة وجدتني قد أصبحت مهماً عند ناس كثيرين لم أكن من قبل مهماً عندهم ، وفجأة تذكرني كل الأصدقاء القدامى الذين كانوا قد شطبوا إسمي من نوتة نليفوناتهم بمجرد هجرتي من مصر - وكأنهم ما صدقوا خلصوا مني .. وفجأة تذكرني الـ ١٨٩ واحدا الذين تخرجوا معي في نفس دفعتي ، فكتبوا لي - بعد أن حصلوا على عنواني في لندن ما اعرفش منين - يعتذرون عن عدم كتابتهم لي قبل ذلك خلال الـ ٤٠ سنة الماضية منذ نخرجنا بأن « الدنيا تلاهي والظروف الصعبة ومشاكل الحياة » ويعدون - كل منهم على حدة - بأنهم من الآن فصاعدا سوف يظلون على اتصال دائم بي

وسيسعدهم أن يحنفوا بى ويعزمونى فى بيوتهم عند عودنى إلى مصر فى أجازى القادمة .. وبكسب لى كل واحد منهم ١٠ أرقام تليفونات فى مكتبه وفى بيته وبنوت الجبران والأهل والأقارب حتى لا يكون لى أى عذر فى عدم الإقبال بى عند عودنى إلى مصر فى المرة القادمة !!

إيه الحكاية بالضبط ؟! ده أنا لو مت مش حايشى فى جنازتى إلا ١٠ أو ١٥ صديقا على الأكثر ، وسوف بفرح أقارى وأهلى فى مصر حب بفرأون أسماءهم مطبوعة فى النعى الذى سيشتر على فى جريدته الأهرام - الذى دفعت بمئه مقدما من جيبى الشخصى فى العام الماضى - لكن أحدا منهم لن يكلف نفسه عناء الذهاب إلى جامع عمر مكرم بالليل لتسبيل العزاء فى ، مدعبا - وعلى رأسهم شبقى الأكبر ملى - بأنه تعرفنى مجرد معرفة سطحية وأنه لم يرنى طول حياته منذ أن ولدنا - فى سنس متالينى - غير مره واحده أو مريين .. وسوف سناحر أسرى فى مصر صف كراسى واحد على باب جامع عمر مكرم من الخارج لكى يستقبلوا فيه المعزين ، وسوف يعملون [قرعة] على الواحد الذى سيتحمل عبء الذهاب الى عمر مكرم لبلا لتسبيل المعزين ، وغالبا سوف يحجز هذا الواحد له ولزوجته - ان وجدت - تذكرس فى سينما قصر النيل لكى يحضرا حفلة السواربه من ٩ لـ ١٢ بعد انتهاء العزاء ، الذى قطعاً لن يسمر أكثر من نصف وصلة من المفريء الذى سوف بحتم د ، صدق الله العظيم " وهو فى منتصف السوره التى بقرأها حتى ولو كانت [قل هو الله أحد] ويلم جيبه وبمضى بعد أن نجد

أنه يقرأ لنفسه .ولا أحد يستمع إليه فى صف الكراسى ولا حنى الكراسى نفسها ..

ما الذى جعلنى فجأة مهماً إلى هذا الحد ؟! رسالة فى شهر واحد ؟! ليه ؟! ما الذى جد ؟! ما الذى حدث ؟! إلا إذا كانت الناس فى مصر إتجننت ومش لاقيين حاجة يعملوها فكتبوا إلى من باب التسلية وإزجاء وقت الفراغ ، ولكن .. ثمانين قرشا ثمن طابع البريد على كل خطاب إلى فى لندن هى قطعا تضحية كبيره لا يقدم عليها إلا من فى نفسه غرض أو فى قلبه هوى .. فإيه الحكاية .
بالضبط ؟!

وحين حيرتنى هذه المسألة طويلا ، فضفضت بها إلى صديق الأثير القريب إلى نفسى ، الصحفي المصرى « أنيس الجوهري جارى فى السكن فى لندن ، والذى نلتفى كل يوم تغريبا طيلة ال ١٤ سنة الماضية طالما أنا فى لندن .. فضحك « أنيس » طويلا وقال لى : « كنت أظنك نبيها وستفهم هذا الذى جد بعد قراءتك لأول خطاب » .. قلت له مندهشا : « معلى ، المرة دى طلعت مت نبيه ، فنبهنى أنت » .. فقال : « إنه ذلك المقال الذى نشرته فى شهر نوفمبر الماضى ، الذى حكيت فيه عن ذلك الشاب المصرى المهاجر إلى لندن الذى كان عطوفا على جارتة الإنجليزية العجوز مسز « إيفيلين دينهى » ، فكتبت السيدة العجوز فى وصيتها كل ثروتها له ، فأصبح الآن مليونيرا يمتلك ٧٥ مليون جنيه مصرى .. فيبدو أن القراء قد تصوروا بعد قراءة المقال أنك أنت شخصا هذا الشاب المحظوظ الذى أصبح فى يوم وليلة مليونيرا .. فكتب اليك

٣٠٠ من الأهل والأصدقاء والمعارف يذكرونك بأنفسهم علشان
ينوبهم من الطيب نصيب .. وبالمناسبة - [وأخرج « أنيس » من
جيبه مظروفا مغلقا عليه اسمى وعنوانى اللندنى ، وناولته
لى] - فخذ هذا الخطاب منى أنا شخصيا لكى يصبحوا ٣٠١ ..
وقد فضلت أن أسلمه لك باليد حتى أوفر ثمن طابع البريد « !!
دمياطى « أنيس » ، وحا يفضل طول عمره دمياطى !!

هل
السفر
إلى
الإسكندرية
حرام
شرعاً؟!



الحكاية التى أحكيها لكم اليوم لم تحدث فى
أوروبا لكنها حدثت فى مصر .. والشئ الأوروبى
فيها هو أن أحد أطرافها أوروبى : الفنانة التشكيلية
الإنجليزية « مارجريت توملين » ..



« مارجريت توملين » صديقة إنجليزية حميمة قديمة عرفتني فى
أمريكا حين تجاورنا فى السكن خلال الفترة التى عمل فيها كل منا
فى أمريكا ، ثم توطدت صلتنا أكثر بعد أن إنتقل كل منا للعمل فى
إنجلترا .. وللدقة فأنا (إنتقلت) للعمل فى إنجلترا ، وهى
(عادت) إلى وطنها إنجلترا بعد سنوات طويلة من الإغتراب بين
أستراليا وسويسرا وإيطاليا وأمريكا ..

●
فى صيف عام ١٩٩٠ دعوت « مارجريت توملين » لتقضى
شهرًا فى ضيافتى فى مصر .. ولم تكن دعوتى لها خالصة لوجه
الصداقة القديمة والإعزاز والمودة التى أكنها لها ، لكن كانت
دعوتى بغرض أن أكتب عن إنطباعاتها عن مصر وعن المصريين
وعن الحياة المصرية خلال هذه الزيارة .. وبالفعل نشرت عددا من
الموضوعات عن زيارة « مارجريت » لمصر فى مجلة (نصف
الدنيا) بعنوان (منكرات سائح مصرى فى مصر) ، ثم نشرت

كاملة فى كتاب بنفس العنوان صدر فى سلسلة (إقرأ) نى العام
التالى ..

لكن الحكاية التى أحكيها لكم اليوم لم تنشر لا فى الحلقات التى
نشرت فى مجلة (نصف الدنيا) ، ولم تنشر أيضا فى الكتاب الذى
صدر فى سلسلة (إقرأ) .. لماذا ؟! هذه قصة أخرى سأحكيها لكم
فى فصل فادم .. لأنها بالفعل قصة تستحق أن تروى ..

وإليكم الآن حكاية اليوم ، نغلا عن دفتر يوميانى وقتها :

● الإثنين ٩ يوليو ١٩٩٠ ●

وجاء يوم السفر إلى الإسكندرية .. وكانت بدايته سيئة .. سبتة
جدا .. كانت « مارجريت » معى أول أمس حين ذهبت إلى محطة
السكة الحديد الرئيسية فى ميدان رمسيس فى القاهرة ، لأحجز
تذاكر فى الفطار النربنى لنسافر اليوم - الإثنين - إلى
الإسكندرية .. حين وصلنا إلى شباك التذاكر وجدنا الشباك مفتوحا
وطابورا طويلا ينتظر أمامه ، لكن الموظف لم يكن فى الشباك ..
وحين طالت وقفنا ربع ساعة دون أن يظهر الموظف سألت أنا
« فىن الموظف اللى فى الشباك ؟! » .. فأشار لى بعض الواقفين
فى الطابور إليه واقفا فى ركن الغرفة : بيصلى الظهر !! ..
وسألننى « مارجريت » عما يحدث فنكرته لها .. فذلك هو الغرض
من رحلتها بالضبط : أن ترى كل ما يمكن أن يراه السائح العادى
ويصادفه ويتعامل معه ، ويعلق عليه .. إتشالت « مارجريت »
وانتهبت : « بيصلى ؟! الآن ؟! فى ذروة وقت العمل ؟! الناس فى أوروبا
تذهب إلى الكنيسة فى يوم أجازتها ، يوم الأحد .. وأنتم هنا أجازتكم

يوم الجمعة ، واللى عايز يصلى يصلى فى يوم أجازته .. لكننى لا أتصور أبداً أن موظفاً يترك مكتبه ويترك عمله ويترك الناس ملطوعة فى انتظاره ، لكى يصلى .. إننا واقفان هنا منذ ربع ساعة وهولسه بيصلى ولم ينته بعد ، فهل يفعل ذلك ٥ مرات فى اليوم أيضا ؟! وهل الدولة تدفع له أجر هذا الوقت الذى يستقطعه من ساعات عمله ليصلى فيه أم تخصم من مرتبه قيمة هذا الوقت ؟! .. أراهنك على أنها لو كانت تخصم منه دقيقة واحدة من مرتبه لكان قد أجل الصلاة إلى أجازته السنوية وليس إلى يوم الجمعة فقط .. المفروض أن يصلى فى وقته هو وليس على حساب وقت الناس .. وإذا لم تعاقبه الدولة التى تستخدمه لكى يؤدي عمله على أكمل وجه ، فهل يظن أن الله سوف يقبل منه صلاته هذه وهو يعطل مصالح الناس هكذا ؟! .. لقد قرأت فيما قرأت عن الإسلام أن (العمل عبادة) ، فهل العمل فى شباك تذاكر السكة الحديد بالذات مستثنى من ذلك ؟! أو لعل السفر إلى الإسكندرية حرام شرعاً لذا يحاول موظف الشباك أن يضع فى سبيله العقبات لكى يصرف الناس عنه ، من باب الجهاد فى سبيل الله !!

وجاء أخيراً موظف الشباك ، وحجزنا التذاكر وانصرفنا دون أن أتكلّم معه كلمة واحدة .. أولاً لأن رئيسه يجلس فى نفس الغرفة ويرى ما يحدث أمامه ولا يحرك ساكناً .. إذن فالذى يسأل ويحاسب عن ذلك هو رئيسه قبل أن يحاسب الموظف نفسه . وثانياً لأننى أعمل هذا الموضوع كسائح وليس كصحفى .. والمشاخ

يرى ويشاهد ويتألم لكنه يسكت ويلم لسانه ، لأنه غريب وأجنبي
عن البلد ويخشى البهذلة لو فتح فمه بكلمة .. كما أنه ليس مكلفا
بإصلاح الكون المصرى .. لكن المؤكد أنه سوف ينقل أى صورة
سيئة يراها إلى كل أسرته وأهله وأصدقائه عندما يعود إلى وطنه ..

وما حدث بعد ذلك كان ألعن .. فاليوم وأنا أضع التذاكر فى
الشنطة التى سأأخذها معى إلى الإسكندرية إكتشفت أن فضيلة مولانا
موظف الشباك التقى الورع المصلى الذى يريد أن يدخل الجنة على
حسابى وعلى حساب بقية المواطنين الذين كانوا واقفين فى الطابور
ينتظرون حتى ينتهى فضيلته من صلاته ولم يصطفوا للصلاة
وراءه ، إكتشفت أنه لم يعطنى لا رقم عربة القطار التى سركب
فيها ولا أرقام مقاعدنا المحجوزة فى العربة !! .. ثم إكتشفت
« مارجريت » شيئا أسوأ كثيرا : تذاكرنا محجوزة ليوم الخميس
وليس لليوم : الإثنين !! (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن
يتقنه) و (من غش أمتى فليس منى) ..

واضطرت فى محطة السكة الحديد أن أظهر بطاقتى
الصحفية - التى تكرهها « مارجريت » كثيرا - لرئيس مكتب
الحجز ، الذى بادر على الفور باستبدال تذاكرنا بتذاكر أخرى
لليوم ، ولحقنا بالقطار فى آخر لحظة قبل تحركه ..

انفجار!!





- الزمان : صيف عام ١٩٧٦ ..
- المكان : مدينة (فيزمار) -ألمانيا الشرقية ..

حدثت لي اليوم موقف يعتبر أخرج موقف صادفني في حياتي
الصحفية كلها ، حتى الآن ..

دخلنا ، « سلمى » و « خيرى » وأنا ، محل (كوفهاوس
ماجنيت Kooftause Magnet) أكبر محلات المدينة الصغيرة ..
وهو من عدة طوابق بنظام المحلات الكبيرة الشهيرة في أوروبا ،
ومثل محلات شيكورييل وشملا وصينناوى وعمر أفندى وجاتينيوى
عندنا في مصر .. وبعد أن طالت جولتنا في طوابقه المتعددة أكثر
من ساعة ، نزلنا مرة أخرى إلى الطابق الأرضي لنغادر المحل ..
وفى طريقنا إلى باب الخروج لفت نظر « سلمى » زجاجة
(پارفان) ظريفة جدا على شكل جبل جليد عائم ، فوقه فى مكان
الغطاء يقف تمثال للدب القطبى شعار روسيا .. وطلبت « سلمى »
أن تشتري الزجاجة ..

ولما كانت الزجاجة موضوعة فى قاترينة زجاجية مغلقة فقد
أدريتها أنا للبائعة الألمانية الصغيرة الحسنة لكى تحضر لنا واحدة

مثلاً - مثل زجاجة البارفان وليس مثل البائعة الحسنة طبعاً - لكن يبدو أن هذه الزجاجة كانت الأخيرة عندهم في المحل ، لذا فقد بدأت البائعة الحسنة توزيع الصلصة الزجاجية من مكانها بيديها الإثنتين لكي تخرج لي الزجاجة من القاترينه ، وأنا واقف إلى جوارها أرقبها وأنا شديد الإشفاق عليها وهي تحمل بيديها الرقيقتين الناعمتين ذلك اللوح الزجاجي الواضح أنه ثقيل جداً فعلاً .. لذا فما أن أراحته - بعد مجهود - من مكانه ، حتى أردت أن أتصرف أنا كـ « جنّلمان » وأساعدها حتى لا أحملها عناء ركن اللوح الزجاجي الكبير على الأرض وسنده على جدار القاترينه ريثما تمد يدها إلى داخل القاترينه لتحضر لي الزجاجة من مكانها .. أردت أن أوفر عليها هذا كله فمددت أنا يدي بسرعة إلى داخل القاترينه والتقطت زجاجة الـ (بارفان) ورفعتها من مكانها .. وكأنني دسّت على زر أطلق شحنة من المفرقات تكفي لنسف المدينة كلها : تدريكت الدنيا في لحظة واحدة في داخل القاترينه وانهارت كل زجاجات البارفان والعطور والكولونيا من مكانها داخل القاترينه على الأرض في فرقعة وقرقعة شديدة مدوية وسقطت الرفوف الزجاجية على بلاط الأرض لترطم به بعنف في أعلى صوت رنين وصليل وجلجلة ممكن أن تتخيلها في مكان هادئ جداً يدور كل شيء فيه همساً ...

ونزل على سهم الله وأنا أرى نفسي فجأة وقد هدمت المحل والزجاج المفرق المتطاير المتناثر حولي في كل مكان .. والفتاة البائعة المسكينة راكعة على ركبتيها أمامي على الأرض متشبّهة باللوح الزجاجي الكبير الذي بين يديها كأنها تحتسى به وهي لا تعرف بالضبط - ولا أنا - ما الذي حدث !! وكل الناس الذين فـ

المتجر يهرعون برعب وهلع شديدين فى اتجاهنا وكأن قبلة زمنية
شديدة الانفجار قد فرقت فى المحل .. وأنا واقف فى مكانى
متصلياً مخشياً متلبساً كطفل صغير ضبط متلبساً بذنب لا يعرفه ،
وقد أوشكت أن ألقى بنفسى على الأرض منبطحا على الأرض
لأحتمى من الانفجار الذى تصورته .. وكان المنظر على بعضه
يؤكد أن شيئاً رهيباً قد حدث .. ولو كان ذلك قد حدث فى متجر
فى نيويورك مثلاً لأخرج حراس المحل مسدساتهم وأطلقوها على
فورا قبل أن يسألوا عما حدث !!

وانتهت فرقتات الزجاج والبللور بعد أن استقر كل شىء على
الأرض فى كومة كبيرة واسعة من حطام زجاجات البارافان
والكولونيات والعطور وعلب وأدوات الماكياج وشظايا الزجاج
المهشم المكسور ... ونهضت البائعة من ركعتها بهدوء شديد بعد
أن أسندت اللوح الزجاجى الذى كان لا يزال فى يديها على جدار
القائرينه ، وهى نبتم لى لتطمئننى وتهدئنى بعد أن رأيت شحوب
وجهى ومقدار إحساسى بهول ما فعلت .. وبدأ الناس الذين كانوا قد
تجمعوا حولنا على صوت الانفجار العظيم وهم يتمتمون بكلمات
وعبارات باللغة الألمانية لم أفهم منها حرفاً واحداً طبعاً ، بدأوا
ينحسرون ليعودوا إلى ما كانوا فيه .. وبدأت أنا أسترد أنفاسى قليلاً
وأنا فى شدة الخجل والكسوف وأنا لا أدرى ماذا أفعل ولا كيف
أتصرف فى هذه المصيبة .. كل ما استطعت أن أفعله هو أن أعذر
بخجل شديد للبائعة الحسنة وأبدى استعدادى لدفع قيمة كل الخسائر
التي تسببت فيها . وابتسمت لى ابتسامة رقيقة مهدئة واستأذنتنى .

وغابت عني أقل من نصف دقيقة في غرفة جانبية صغيرة ، ثم عادت لتأخذ زجاجة الـ (يارفان) من يدي وتلفها لي ، وتأخذ من يدي ثمنها فقط وتدق على الماكينة الحاسبة أمامها ، وأعطتني الفاتورة كأن شيئاً لم يكن فسألتها وأنا مندهش : « والخسائر التي أحدثتها ؟! » فنجبيني وابتسامة عذبة تضيء على شفتيها الجميلتين : « لا تشغل بالك بما حدث .. إنساه .. وسوف يسعدنا أن نراك دائما عندنا » ...

ونحن في طريقنا إلى خارج المتجر بعد أقل من ٥ دقائق كان كل شيء في الفاترينة قد عاد إلى مكانه تماما ، والرفوف الزجاجية وزجاجات الـ يارفان التي تحطمت قد حلت محلها رفوف جديدة وزجاجات جديدة وليست هناك شظية زجاج واحدة في الأرض ، وكان شيئاً لم يحدث على الإطلاق ، وكأن حسين قدرى لم يمر من هنا ..

ونحن نضع أقدامنا على بداية سلم السفينة توقفت « سلمى » لحظة وقد بدا عليها أنها تفكر في شيء .. وتوقفت أنا أيضا والتفتت إليها متسائلا .. قالت متفكرة : « تعرف .. قزازه الـ يارفان مش عاجباني أوى .. تعالى نروح نرجعها ونأخذ ثمنها !!! .. »

ما الذي نريده
من
الأهرام
الدولية؟!



لسنوات طويلة طويلة طويلة في مصر ، قبل أن
تجىء إلى غربتنا المثلجة هذه في المهجر ، كان
« الأهرام » دائما بالنسبة إلى الكثيرين منا يمثل
جزءا من شأى الصباح ، وغالبا قبله .. وحين كانت
ابنتى نهلة طفلة صغيرة فى الثالثة أو الرابعة من
عمرها ، ولأنها شاهدت الأهرامات على الطبيعة فى
الجيزة فقد ميزت شكلها كخلفية لإسم « الأهرام »
الجريدة ..



ولأنها كانت تستيقظ قبلى فقد كانت تسرع إلى خلف باب الشقة
ثم تجىء لتوقظنى وهى تحمل بين ذراعيها الصغيرين كومة من
الصحف والمجلات و : « بابا إصحبى ، الأهرام جه » .. فقد ظلت
سنوات عديدة وهى تعتقد أن كل الصحف والمجلات هى جميعها
« الأهرام » إنما فى أشكال مختلفة .. وأحيانا كانت تقول لى :
« الأهرام فيه صورة حلوة خالص لسعاد حسنى » ولا أكون قد
لاحظت أن هناك صورة ما لسعاد حسنى فى « الأهرام » ذلك

اليوم ، فأطلب منها أن ترينى هذه الصورة ، فتشير لى على صورة
لسعاد حسنى فى مجلة « الكواكب » مثلاً ، فكل الصحف عند ابنتى
« أهرام » !

كان « الأهرام » إذن جزءاً مكماً للصباح نفسه ونحن فى مصر
قبل مجيئنا إلى الغربى أو إلى المهجر ، نفتح أعيننا عليه فى الصباح
كأنه النافذة التى نطل منها على الحياة اليومية فى مصر قبل نزولنا
إليها من بيوتنا ، فنعرف منه أخبار مصر التى نعيش فيها وأخبار
العالم البعيد عنا أو الذى نحن بعيدين عنه ..

الآن ، هنا فى الغربى وفى المهجر ، تغيرنا نحن كثيراً وتغير
شكل حياتنا كثيراً بحكم الظروف المحيطة بنا والجو الجديد الذى
وجدنا أنفسنا فيه .. تغيرنا نحن ولم يتغير « الأهرام » ، ولم نكن
نريده أن يتغير .. بقى « الأهرام » تماماً كما كان : النافذة التى نطل
منها على الحياة اليومية فى مصر ونحن بعيدين عنها ، ونعرف من
خلالها أخبار مصر وما يدور فى مصر يوماً بيوم ، تماماً كما كنا
نعرفها ونحن فى مصر .. ولم نعد نذهب إلى مصر فى أجازاتنا
السوية كسياح أو كغرباء لكى نفاجأ بها وقد تغيرت من سنة إلى
سنة ، بل نحن ننزل إلى مصر الآن فى أجازاتنا ونحن نعرف تماماً
كل ما يدور ويحدث ويجرى فيها .. والمصريون الذين ذهبوا إلى
مصر فى أجازاتهم الصيفية فى سبتمبر عام ١٩٨٠ ذهبوا وهم
يعرفون أنهم لن يأكلوا اللحم فى مصر فى تلك الأجازة لأنه كان
ممنوعاً فى ذلك الوقت لمدة شهر كامل .. والذين ينزلون إلى مصر الآن يعرفون
تماماً ما هم « مقبلون عليه » من أزمة التاكسيات وزحمة

الأونوبيسات والشوارع المحفورة والأرصفة المبقورة ومشاكل الجمعيات الاستهلاكية والأمن الغذائي (الجهاز المركزى للفول والطعمية) وتوفيق عبد الحى ورشاد عثمان وعصمت السادات والكفراوى وباختصار كل ما يحدث فى مصر نعرفه هنا ولسنا منفصلين عنه ولا بعيدين عنه .. بفضل « الأهرام » وباقى الصحف المصرية التى تصلنا هنا الآن بانتظام ، ونعرف من مات - ومن لم يميت بعد - من خلال صفحة أو صفحات الوفيات ، ونشارك فى العزاء ببرقيات وخطابات التعزية والمواساة من هنا إذا نوفى صديق أو قريب ..

أذكر أننى قبل أن أستقر تماما هنا ، كنت قد قضيت بضعة شهور فى لندن أيضا عام ١٩٧٣ فى مهمة صحفية ، ولم تكن الصحف المصرية فى ذلك الوقت تصل إلى لندن ، فكنا نعيش فى عزلة رهيبة عن أخبار مصر منقطعين عنها تماما .. وياخت من كان له صديق فى السفارة المصرية فيحصل منه بين حين وآخر على بعض الصحف المصرية متأخرة كثيرا عن موعدها ، وياخت من كان له صديق فى مكتب مصر للطيران هنا فيحصل منه ، ليس دائما ، على نسخة من صحيفة مصرية من تلك النى نصل على طائرة مصر للطيران .. وكانت الهدية الثمينة حقيقة التى يحضرها لنا الأصدقاء القادمون من مصر هى مجموعة من الصحف والمجلات المصرية .. وحين وقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى مصر وتوقف الطيران بين مصر وكل دول العالم نتيجة إغلاق مطار القاهرة لطروف الحرب إنقطعت الصلة بيننا فى انجلترا

وبين الوطن ناما ولم نعد نعرف أخبار مصر إلا من خلال الصحف
الإنجليزية والتلفزيون الإنجليزي ..

لكن الوضع الآن قد تغير ، والصحف المصرية تصل إلى لندن
بالطائرة في نفس يوم صدورها في مصر فعلا ، لكن لأنها تصل
متأخرة جدا نمنا لمواعيد الطائرة ، فإنها لا تظهر عند باعة
الصحف الإنجليزية إلا في صباح اليوم التالي .. وبقى « الأهرام » -
وباقى الصحف المصرية - هو النافذة التي نطل منها على مصر
وعلى أخبار أهلنا فيها ، تماما كما كنا نفعل عندما كنا نعش في
مصر .. بفارق بسيط جدا ، هو أن اهتمامنا الآن أصبح مركزا على
قراءة الأخبار المحلية أو الأخبار الداخلية فقط ، ولم نعد نهتم بقراءة
أخبار العالم الخارجي ، لأن هذه الأخبار نكون قد عرفناها قبل
وصول « الأهرام » إلى أيدينا بيومين كاملين على الأقل .. إنما كل
ما يهمنا الآن في « الأهرام » وباقي الصحف المصرية التي تصل
إلى هنا - هو أخبار مصر وماذا في مصر وماذا عن مصر ..

وإذا كانت « الأهرام » وباقي الصحف والمجلات المصرية
الأخرى الآن ، إينداء من الصحف القومية والصحف الحزبية إلى
صحف الأهلى والزمالك والاهلوية ، توزع في لندن في اليوم التالي
لصدورها في مصر ، فإن ذلك في الحقيقة ليس شيئا خطيرا ولا
أمرا جللا ولا يقدم ولا يؤخر في شيء على الإطلاق .. لأننا -
المصريون هنا في المهجر - نقرأ الصحف المصرية الآن من باب
إبقاء الصلة متصلة ودائمة بالوطن الأم مصر ، ولكي تظل صورة
ما يحدث في الوطن واضحة أمام أعيننا .. بمعنى أنه ليس هناك

(سبق) ما فى أن نقرأها فى نفس اليوم أو اليوم التالى أو حتى بعد أسبوع .. وأنا شخصيا تصلنى مجموعة الصحف والمجلات المصرية كاملة يوم الأربعاء من كل أسبوع ، فأقرأها كلها فى أمسية واحدة وفى قعدة واحدة دون أن أشعر أننى فقدت عنصر المتابعة اليومية ودون أن أشعر أننى قد فقدت شيئا كثيرا ولا قليلا بعدم قراءتى لها يوما بيوم أو فى نفس يوم صدورها .. وكثيرون غيرى يشتركون « الأهرام » أو غيره من الصحف المصرية كل يوم على مدار الأسبوع ، ثم « يركنونها » على جنب حتى يقرأوها على مهل فى عطلة نهاية الأسبوع - يومى السبت والأحد - حين يتسع الوقت للقراءة المتأنية وعلى المهل .. ذلك لأن كل ما يهمنا فى الصحف المصرية الآن - كما سبق أن ذكرت - هو صفحات الأخبار المحلية والداخلية والأدب والفنون والثقافة والأعمدة الصحفية والمقالات ، وصفحة الوفيات بالطبع .. وهناك طبعاً مصريون آخرون هنا فى الغربية قد تهتمهم صفحات أخرى غير ذلك ، كصفحات الرياضة والاقتصاد وغيرها ، لكننا جميعاً نشترك فى أن الصفحات التى لم نقرأها أو نهتم بها هى : صفحات أخبار العالم أو الأخبار الخارجية ..

لماذا ؟

لأننا ، كما ذكرت قبلاً أيضاً ، نعرف أخبار العالم الخارجى الذى نعيش فيه الآن قبل أن نعرفها الصحف المصرية نفسها بيومين كاملين ، وقبل أن تصل إلى مصر أصلاً عن طريق وكالات الأنباء ، بل وقبل أن تنشرها الصحف الإنجليزية التى تصدر فى

إنجلترا نفسها بيوم كامل . !

ذلك لأن التلفزيون الإنجليزي هنا بقنواته الأربع : BBC.I
CHANNEL 4 + ITV + BBC. 2 كل منها تذيع عددا من
نشرات الأخبار يوميا ، وكل قناة تذيع نشرات أخبارها في مواعيد
مختلفة طبعاً عن مواعيد نشرات الأخبار في القنوات الأخرى ،
بحيث إنه في أى وقت تفتح فيه التلفزيون الإنجليزي سوف تجد نشرة
أخبار ما تذيعها قناة ما .. ليس ذلك فقط ، بل إن هناك أيضا ذلك
الاختراع الجديد الذى لم نسمع عنه فى مصر بعد ، وهو ال (سى
فاكس) على قناتى التلفزيون الحكوميتين (بى . بى . سى . واحد
(و) بى . بى . سى . إثنين) ، والـ (تليكسيت) على قناتى التلفزيون
المستقلتين أو التجاريين (آى . تى . فى) و (القناة الرابعة) ..
وهو عبارة عن نشرة أخبار « مكتوبة » على شاشة التلفزيون
ومستمرة ٢٤ ساعة فى اليوم ومتجددة دائما ومتغيرة دائما حسب
تطورات الأخبار لحظة بلحظة .. ويمكن بواسطة جهاز صغير فى
حجم كف اليد أن نستقبلها على شاشة تليفزيونك فى أى وقت من
أوقات الليل أو النهار ..

●
وليس المهم فى التلفزيون الإنجليزي هو تعدد وكثرة نشرات
أخباره ، بل الكيفية التى يغطون بها نشرات الأخبار هذه .. ونحن -
أنا وزملائى الصحفيون المصريون هنا فى لندن - نجلس أمام
نشرات أخبار التلفزيون الإنجليزي مبهورين كعلامدة فى مدرسة
ابتدائية يشاهدون لأول مرة فى حياتهم مناقشة رسالة دكتوراه ..
فإن عملية التغطية التليفزيونية هنا للأخبار والأحداث شئ عظيم
تماما ومبهر بماما ودرس فى فنون التغطية الإخبارية .. بحيث

يجعلنى فى كثير من الأحيان أتصور أن التلفزيون الإنجليزى يعلم بالأحداث قبل وقوعها ، حتى العادية جدا منها ، ويغطيها تغطية شاملة من كل النواحي وبكم هائل من المراسلين المنتشرين فى كل شبر من أرجاء الكرة الأرضية ، على قدر وافر من الخبرة والدراسة والمعلومات عن الحدث الذى يقدمونه وعن البلد الذى يقدمون الحدث منه .. بل إنهم عندما يقدمون أخبارا ما عن مصر ، بلدنا الذى نعرفه جيدا ، يدهشنا ما يذكرونه من تفاصيل التفاصيل التى لانظن أن التلفزيون المصرى ولا الصحف المصرية قد أذاعتها أو نشرتها أو اهتمت بها ، ولا أقول توصلت إليها . !

الذى يتابع نشرات الأخبار فى التلفزيون الإنجليزى إذن ، لن يهمله كثيرا أن يقرأ الـ (تايمز) أو الـ (جارديان) أو الـ (دايلي ميل) أو الـ (إيثننج ستاندارد) أو غيرها من الصحف الإنجليزية نفسها ، إلا إذا كان يبحث عن المقالات والتعليقات السياسية ووجهات النظر الصحفية فى الأحداث الجارية .. فما بالك بمتابعة الأخبار العالمية من الصحف المصرية !!

●
نعود الآن إلى السؤال الذى كان بداية هذا المقال : ما الذى نريده ونتوقعه من (الأهرام الدولى) أو (الطبعة الدولية من الأهرام) ؟!

إن « الأهرام » وباقى الصحف المصرية هي النافذة التى نطل منها ونحن فى الغربة هنا على أخبار الوطن الأم مصر . ونعرف ما يدور فيها يوما بيوم ، فلا تنقطع صلتنا بالوطن أولا ، ولا نفاجأ بما كنا لا نعرفه حين ننزل إلى مصر فى أجازات .. ونحن مكتفون تماما بشكل « الأهرام » الحالى الذى نتصور أنه الآن فى أقصى

درجات عطائه الصحفى .. وكل ما ينشر فيه من الأخبار المحلية والداخلية يهمنا ويرضينا كما وكيفا ، إبتداء من صفحات جلسات مجلس الشعب إلى صفحات الأخبار الداخلية إلى الثقافة والأدب والفنون والإسلاميات والرياضة والحوادث ، وحتى صفحة . أو صفحات الوفيات .. لكن هذه النافذة التى بيننا وبين الوطن هى فى الحقيقة وللأسف ، نافذة مصنوعة من الزجاج (الفيميه) الغامق الذى ترى من خلاله من ناحية واحدة ، وإذا نظرت فيه من الناحية الأخرى لا ترى شيئا على الإطلاق .. نحن هنا نرى مصر جيدا من خلال « الأهرام » العادى الذى يصلنا الآن ، لكن مصر لا ترانا ولا تشعر بنا ولا تحس بمناعبنا ومشاكلنا ولا شكل حياتنا هنا .. نحن نرى الأهل والأصدقاء والشارع المصرى وشكل الحياة فى مصر على صفحات « الأهرام » لكن الأهل فى مصر لا يروننا إلا من خلال الخطابات السريعة القصيرة المتباعدة التى نرسلها لهم بين الحين والحين كلما اتسع الوقت ، ولا نتعدى فى الغالب السلامة والتحيات والسؤال عن الصحة والأحوال .. وحين يجلسون أمام التليفزيون فى مصر ويجىء خبر فى نشرة الأخبار عن إنجلترا فهو إما عن البرد الشديد فى إنجلترا ، أو انفجار قنبلة أيرلندية ما فى مكان ما فى لندن أو فى إحدى المدن الإنجليزية .. ويفزع الأهل والأصدقاء فى مصر .. فإذا أذاع التليفزيون أن مواطنا قد تجمد ومات من شدة البرد فى إنجلترا فلا بد أن هذا المرحوم المتجمد هو ابنهم قد مات برداً فى الغربية ، وإذا أذاع أن قنبلة قد انفجرت وقتلت واحدا وأصابت ثلاثة فلا بد أن هذا القتل هو ابنهم دون غيره ، أو على الأقل فهو الثلاثة المصابون معا !

فإذا اختفت من التليفزيون المصرى وفى الصحف المصرية أخبار البرد وأخبار القنابل ، انقطع قلق الأهل علينا هنا ، لكى تطل برأسها الصورة التقليدية للمغترب أو المهاجر كما كانت لدينا نحن أنفسنا ونحن فى مصر قبل أن نجىء إلى هنا ونحمل لقب (مهاجر) : صورة المهاجر الذى بعد سنة واحدة فى المهجر أصبح يركب الد (رولز رويس) ويدخن السيجار ويدير ١٠ شركات فى وقت واحد من مكتبه الفاخر فى حى المال ولديه مئات الموظفين الإنجليز ، ويقضى وقت فراغه - القليل - فى ترتيب وتنظيم ورص أكداش رزم البنكنوت فى خزائنه السرية المخفية خلف التابلوهات الكبيرة فى غرفة الصالون الشاسعة فى قصره الفخم ! .. ويصبح عنوان (المهاجر) فى لندن ، مثلاً فى أيدي كثيرين ممن يعرفهم ومن لا يعرفهم ، إبتداء من أفراد الأسرة والأصدقاء والجيران والمعارف ، إلى معارف الأصدقاء وأصدقاء المعارف وجيران الإثنين معا .. ويفاجأ الواحد منا هنا ، كما حدث معى أكثر من مرة ومع الكثيرين هنا مرات لاتعد ، بأن يعود إلى بيته فى لندن يوماً ليجد على باب البيت شاباً يجلس فوق حقيبة سفره ينتظر عودته .. وقد يكون لم ير هذا « الشاب » منذ أن كان طفلاً ، أو لعله لم يره فى حياته من قبل على الإطلاق ، لكن الأهل والأصدقاء فى مصر وضعوا فى يده عنوان « المهاجر » وقالوا له : « روح له إنت بس وما تحملش هم حاجة أبداً .. ده بيته مفتوح لكل المصريين » !! .. ويحىء الضيفات المصرى .. الذى غالباً لا تعرفه .. وهو ينوِّع أن تستقبله فى الدعطار سيارته الرولز رويس ، يستقبلها الإنجليز ذى اليونيفورم ، وأن تستقبله فى « قصره »

أو على الأقل « قيللتك » ، ويتوقع أن تكون متفرغا له تماما لكي تكون له مرشدا سياحيا تفسحه في لندن وفي إنجلترا وتصحبه طول اليوم في اللف والدوران على المحلات في جولاته الشرائية !! كأن لا عمل لك في إنجلترا إلا إنتظار تشريفه ووضع نفسك في خدمته ورهن إشارته طوال فترة وجوده في لندن ..

هذا من ناحية الضيوف العابرين .. أما الذين « يطبون » عليك وينتظرون منك أن تبحث لهم عن أعمال ووظائف ، وأما العرايس اللى جاين لي تجهزوا من لندن ، وأما العرايس والعريسان معا اللى جاينين ليقضوا شهر العمل في لندن ، وأما الذين يوفدهم الأهل لكي تتولى أنت إلحاقهم بالمدارس والجامعات في إنجلترا لأنهم فشلوا في الحصول على الإعدادية في مصر أو لأنهم لم يحصلوا على مجموع يؤهلهم لدخول الجامعات المصرية ، وأما الشباب المنطوون على أنفسهم الذين يرسلهم الأهل والأصدقاء اليك لكي « تلحلحهم شوية » - وذلك حدث معى ٣ مرات حتى الآن - ولن يستطيع أحد أن يتخيل ماذا كان مطلوبا منى أن أفعله « بالتحديد » لكي أجعل هذا الشاب الخجول في مصر « يتلحح شوية » في إنجلترا !! .. وأما وأما وأما فتلك حواديت وقصص لاتنتهى ، وذلك كله بسبب أن الناس في مصر ليست لديها أى فكرة عن شكل حياتنا هنا في الغربية وفى المهجر ..

وأتصور أن تكون هذه هى مهمة « الأهرام الدولى » أو « الطبعة الدولية من الأهرام » .. وأتصور أن ذلك نفسه هو الغرض الذى من أجله أنشئت وزارة (شئون الهجرة والمصريين فى الخارج)

فى مصر .. إن فى « الأهرام » الحالى - غير الدولى - عن مصر
مافيه الكفاية ويزيد .. وإذا كان « الأهرام الدولى » ينوى أن
يخصص عددا من صفحاته للمصريين فى الغربية أو فى المهجر
فلتكن لإعطاء صورة عن حياتهم ومشاكلهم ومتاعبهم مع المجتمع
الجديد الذى وجدوا أنفسهم فيه .. صورة حقيقية صادقة غير مزيفة
ولا مزوقة ولا مفبركة .. صورة تبين أن من بين المصريين فى
الغربة من هم الدكتور « مجدى يعقوب » والعالم « فاروق الباز »
ومديرى بنوك وشركات ورؤساء تحرير ، وأيضا من بينهم
« حبيب » الذى يغسل الأطباق و « كمال » الجرسون فى مطعم و
« عبد الحميد » الطباخ و « مرتضى » السائق و « عبد الرزاق »
الساعى و « مصطفى » الذى لم يجد عملا حتى الآن بعد ٣ سنوات
فى لندن .. ليس كل من فى الغربية علماء ودكاترة ولاهم أيضا
جرسونات وطباخين .. إنما هو مجتمع مصرى متكامل انتقل بكل
حياته إلى المهجر ليصبح قطعاً من مصر مبعثرة فى كل مكان فى
أوروبا وأمريكا ..



ويتبقى شىء هام ألقت النظر إليه من الآن .. هو ألا تصبح
تلك الصفحات التى سوف يخصصها « الأهرام الدولى » للمصريين
فى الغربية أو المهجر كصفحات الصحف الإقليمية فى مصر ،
مخصصة لأخبار وتحركات وتنقلات وحفلات واستقبالات ومقابلات
السيد الوزير المحافظ ثم السيد نائب المحافظ والسيد سكرتير عام
المحافظة والسيد السكرتير العام المساعد والسيد مدير الأمن ،
نزولا إلى السيد مدير التربية والتعليم والسيد مدير الشؤون الصحية

والسيد مدير التموين .. فإنه إذا تصدرت صفحات المغتربين في « الأهرام الدولي » كل أسبوع صورة السيد السفير وصورة السيد الوزير المفوض وصورة السيد القنصل العام والسيد القنصل العام المساعد والمستشار التجارى والمستشار الثقافى ووو .. إلى آخره .. فإن المواطن المصرى فى الغربة سوف يغلق صفحات « الأهرام » - الدولي وغير الدولي - كلها ، ويعود ليجلس أمام التليفزيون الإنجليزى أرحم ..

وأنا أتكلم عن انجلترا فقط لأننى أعيش فى إنجلترا .. وقد يتساءل البعض : وماذا عن المصريين فى بقية دول المهجر ؟ فى أمريكا وكندا وأستراليا وفرنسا وألمانيا واليونان وهولندا وغيرها من دول العالم التى بها جاليات وتجمعات مصرية مهاجرة ؟ أين مكان هذه الجاليات المصرية على صفحات « الأهرام » الدولي ؟

والإجابة ببساطة هى أن « الأهرام » يصدر سبعة أيام فى الأسبوع .. فلو خصصنا يوماً واحداً كل أسبوع للمهاجرين المصريين فى دولة واحدة فإننى أتصور أن التغطية سوف تكون وافية وشاملة بإذن الله ..

أما مسألة التحرير والمادة الصحفية فهذه هى مهمة « الأهرام » ، بمكاتبه ومراسليه واتصالاته بأندية الجاليات المصرية فى الخارج ، ويمثات الصحفيين المصريين الذين أصبحوا الآن منتشرين فى كل مكان فى أوروبا وفى أمريكا ، والذين قطعوا لن

يترددوا لحظة واحدة في التعاون مع « الأهرام الدولي » في سبيل
ذلك .. لأنه - كما قلت في البداية - جزء من حياتنا ومن
ذكرياتنا في الوطن الأم مصر ، وعودنا عليه تعودنا على شأى
الصباح ..

لماذا لا
نستطيع
فى المهجر
أن نغنى
«المصريين آهه»؟



لماذا ليس للمهاجرين المصريين أى تأثير أو نفوذ فى الدول التى هاجروا إليها : أمريكا وبريطانيا وأستراليا وألمانيا والتمسا وبقية الدول الأوروبية ؟ مع أن لكل الأقليات فى دول المهجر تأثيرا ونفوذا وكلمة مسموعة ، أو على الأقل صوتا مسموعا ، ولهم صحافتهم وإذاعاتهم وتليفزيوناتهم ، وتهتم بهم وترعاهم صحافات وإذاعات وتليفزيونات هذه الدول وتخصص لهم جانبا من وقتها .. ما عدا الجالية المصرية ..



الإنسان حين يهاجر من وطنه الأصلي إلى وطن آخر ، فلأنه قطعاً لم يجد فى وطنه الأصلي أسباب العيش ميسرة وسهلة بالشكل الذى يريده أو يرجوه ، أو لأن طموحاته وإمكانياته أكبر من أن تستوعبها ظروف وطنه الأصلي فى الوقت الحالى .. فيأخذ معه آماله وأحلامه وطموحاته ويهاجر بها إلى وطن آخر جديد يستطيع

فيه ببعض الجهد - قليل أو كثير - أن يصل إلى ما يتمنى ويحقق كل أحلامه أو بعضها ..

وعلى الرغم من أن عددا من الأسماء المصرية قد لمعت في دول المهجر - وأنا أتكلم عن إنجلترا بالذات التي أعرفها وعشت فيها مهاجرا سنوات طويلة - لمعت أسماء مثل الطبيبين « مجدى يعقوب » و « محمد زهنى فراج » وقبلهما « حمدى السيد » ، والعديد من الأطباء الآخرين .. لمع فيها أساتذة جامعة أمثال « بروفيسور » عبد المحسن بكير « (جامعة كمبريدج) و « مصطفى بدوى » (جامعة أوكسفورد) و « محمد ملوخية » و « أناة ملوخية » (جامعة ليفرپول) .. ولمع فيها مهندسون ورجال بنوك وصحفيون وكتاب وكثيرون من أصحاب المهن الأخرى .. إلا أنه يظل - مع ذلك - ليس لهم أى ثقل مؤثر لا فى السياسة ولا فى المجتمع الأوروبى الذى انتقلوا إليه .. لسبب بسيط جدا وغريب جدا ، هو أنهم قلة جدا .. هؤلاء المهاجرون اللامعون قلة جدا ، وغير مترابطين ولا متحدين ، ولا حتى متصلين ببعضهم البعض على الإطلاق .. بينما الأغلبية من المهاجرين المصريين الآخرين هم من الصيع والشبيحة والزلنطحية والأفاقين المصريين الذين تركوا « التلطع » على النواصى وعلى المقاهى فى مصر وهاجروا إلى بريطانيا ، بعد أن وضعوا نفس أخلاقهم ونفس سوءاتهم وتشبيحهم فى حقيبتهم التى أخذوها معهم إلى دول المهجر .. فتصرفوا فى المهجر بنفس الطريقة التى كانوا يتصرفون بها فى مصر .. وبدلا من أن يبذلوا جهداً لكى يصلوا إلى شىء ما أو وضع

ما فى الوطن الجديد الذى هاجروا إليه ، كانت أسهل طريقة أمامهم - يمكن لأنها الطريقة الوحيدة التى يعرفونها - هى أن يتعاملوا بنفس الطريقة التى كانوا يتعاملون بها فى مصر ، مع بعضهم بعضا هنا .. حتى أصبحت القاعدة هنا - فى إنجلترا التى أتكلّم عنها ، ولا أظنها تختلف كثيرا عن غيرها من دول المهجر - هو أن المصريين يحاربون بعضهم بعضا ويغتابون بعضهم بعضا ويدسون لبعضهم بعضا وينقضون على بعضهم بعضا ..

● زميل صحفى مصرى هاجر إلى إنجلترا فى أواخر السبعينات .. وفى أوائل الثمانينات عين رئيسا لتحرير مجلة للأطفال قررت مؤسسة صحفية عربية أن تصدرها فى لندن .. بمجرد تعيينه إتصل به رسام مصرى كان يعرفه منذ زمان بعيد ، بل وحتى بلدياته من نفس المدينة فى مصر ، وشكا إليه ظروفه السيئة وأنه لا يعمل منذ فترة وأنه خلاص موشك أن يموت جوعا هو وأسرته !! ولما كان رساما ممتازا بالفعل فقد فتح له رئيس التحرير ، بلدياته ، الباب وعينه فورا مديرا فنيا للمجلة الجديدة ..

بعد أسبوع واحد استغنت المؤسسة الصحفية العربية عن خدمات رئيس التحرير بعد أن استطاع الرسام - بلدياته - أن يصل إلى أصحاب المؤسسة ويقنعهم بأن رئيس التحرير الذى عينوه لا علاقة له بمجلات الأطفال ولا يفهم فى الكتابة للأطفال ، وأن الرسام - الذى كان موشكا أن يموت جوعا منذ أسبوع واحد - هو رحده الخبير بمجلات الأطفال ومستعد أن يقبل وظيفة رئيس تحرير المجلة الجديدة بنصف المرتب الذى يتقاضاه صديقه وبلدياته الذى

أنقذه من الموت جوعاً !! فرقد أصحاب المؤسسة الصحفية رئيس التحرير وعينوا الرسام بدلاً منه .. وبعد أسبوع واحد آخر رقدوا الرسام أيضاً بعد أن ظهرت أخلاقه على حقيقتها وحاول أن يهيمن على المؤسسة كلها .. وتوقف مشروع مجلة الأطفال كله ولم تقم له قائمة بعدها .. وأصبحت سمعة المصريين سيئة في المؤسسة كلها التي بدأت تستغنى عن خدمات المصريين فيها واحداً بعد الآخر .. حتى إنه في وقت ما كان في هذه المؤسسة بالذات ٤ رؤساء تحرير لـ ٤ مجلات تصدرها المؤسسة ، والآن ليس فيها رئيس تحرير مصرى واحد !!

● المركز الثقافى المصرى فى لندن ، لأنه أكثر المراكز الثقافية العربية فى بريطانيا احتراماً وانضباطاً وبعداً عن لعبة السياسة والتجمعات والتكتلات السياسية ، فقد فتح أبوابه لكل المثقفين العرب وأصبح يحاضر فيه محاضرون من أى جنسية عربية ..

أقام المركز الثقافى المصرى معرضاً لرسمات سورية شابة ، وطبع الدعوات لافتتاح هذا المعرض فى مطبعة صغيرة يملكها مصرى أراد المركز الثقافى « المصرى » تشجيعه .. بالفنائة والفهولة المصرية المعتادة طبعت المطبعة (المصرية) الدعوات وفيها خطأ كبير ملحوظ يهدم فكرة المعرض من أساسها ، خصوصاً أن عدداً كبيراً من هذه الدعوات سيرسل إلى الصحف والمجلات ووسائل الإعلام البريطانية .. وحين طلب المركز الثقافى (المصرى) من المطبعة (المصرية) إعادة طبع الدعوات

من جديد بصورتها الصحيحة ، رفضت المطبعة أن تصحح خطأها إلا إذا دفع المركز الثقافي المصرى ٥٠٠ جنيه أخرى تكلفة طبع الدعوات الصحيحة .. ولما كان الوقت الباقى على افتتاح المعرض لا يسمح بالدخول فى مشاكل مع المطبعة (المصرية) ممكن أن تصل إلى القضاء ولا يقام المعرض نفسه ، فقد سلم المركز الثقافى المصرى أمره لله ووزع الدعوات المطبوعة خطأ ، على أن تقوم الاتصالات التليفونية بكل المدعوين لحفل افتتاح المعرض لتنبيههم إلى الخطأ المطبوع فى الدعوات .. لكن توبة من التعامل مع هذه المطبعة (المصرية) مرة أخرى ..

وغيره وغيره وغيره ، والنماذج كثيرة والمساحة المتاحة لى هنا قليلة ومحدودة .. لكننى قد أعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ..

هل عرفتم الآن لماذا لا نستطيع نحن المصريين المهاجرين أن نغنى ونحن فى دول المهجر : (المصريين أهمه) !؟

رأيت
التاريخ
وهو
يكتب .. !



أنقل لكم من دفتر مذكراتي في لندن :

□ ١٥ يوليو عام ١٩٩٣ □



في مثل هذه الأيام ، الوسطى من شهر يوليو ، منذ ٢٠ سنة بالضبط ، عام ١٩٧٣ ، جئت إلى لندن لكي أعمل تحقيقا صحفيا عن الطلبة المصريين الذين يجيئون ليعملوا في لندن خلال أجازات الصيف .. وكنت مقدرًا أنني سوف أبقى أسبوعاً واحداً وأكتب تحقيقاً واحداً ، أو على الأكثر تحقيقين .. لكن الذي حدث هو أنني بدلاً من أن أبقى أسبوعاً واحداً بقيت أربعة شهور ، وبدلاً من أن أكتب موضوعاً واحداً أو موضوعين كتبت ١٨ تحقيقاً صحفياً كبيراً نشرت تباعاً في مجلة [الإذاعة والتلفزيون] في أوائل عام ١٩٧٤ ، ثم نشرت في كتاب صدر في يوليو من نفس العام ليكون أشهر كتبى على الإطلاق حتى الآن [مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق في لندن] ، الذى كان أول عدد في تاريخ سلسلة [اقرأ] يكتب

عليه [عدد ممتاز] ويصدر فى ٣٢٠ صفحة هى
ضعف عدد صفحات الكتاب العادى فى [إقرأ] وقتها
وحتى الآن - ١٦٠ صفحة - وطبع منه طبعة ثانية
فى العام التالى مباشرة ، ثم توالى طبعاته بعد ذلك ،
وصدر منه طبعتان مختلفتان باللغة الانجليزية ، واحدة
فى أمريكا وواحدة فى انجلترا .. ومازالت الناس
تتذكرنى به وتذكرنى به حتى الآن وكأنه كتابى
الوحيد ، مع أنه قد صدرت لى بعده ٨ كتب أخرى ..

وكانت نتيجة زيارتى للندن عام ١٩٧٣ وإقامتى لأربعة
شهور كاملة ، إننى أحببت لندن كثيرا وشعرت بالألفة معها كثيرا .
حتى أننى أصبحت أضعها فى برنامج سفرياتى ورحلاتى الصحفية
بعد ذلك فى كل مرة أخرج فيها من مصر إلى أى دولة ، فزرت لندن
١٦ مرة فى خلال الـ ٤ سنوات التالية .. حتى جئت إليها فى عام
١٩٧٧ فى طريق عودتى من أمريكا وفى نيتى أن أقضى فيها
أسبوعا واحدا .. لكن ما حدث فى عام ١٩٧٣ تكرر مرة أخرى
فى عام ١٩٧٧ على أكثر كثيرا وبصورة لم تكن على البال ولا
الخاطر .. فقد طال هذا الأسبوع الواحد إلى ١٦ سنة حتى الآن ..
ونتج عن هذا الأسبوع الواحد أننى أصبحت الآن مواطنا إنجليزيا
أحمل الجنسية الإنجليزية وجواز سفر إنجليزى - إلى جانب
الجنسية المصرية وجواز السفر المصرى طبعاً - لكن تظل البداية
كلها هى زيارتى الطويلة الأولى للندن فى مثل هذه الأيام من ٢٠
سنة ، عام ١٩٧٣ ..

□ ٢ يونيو ١٩٩٣ □

اليوم هو العيد الـ ٤٠ لذكرى تتويج الملكة «إليزابيث الثانية» على عرش بريطانيا فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٥٣ .. فأذاع التلفزيون الإنجليزى بقنواته الأربع برامج رائعة فى ذكرى التتويج ، سجلت أنا بعضاً منها لأحتفظ بها فى مكتبتى للذكرى والتاريخ ..

وقد حضرت مناسبات تاريخية كثيرة طوال السنوات الماضية التى مرت على هنا فى إنجلترا .. منها ٣ احتفالات بذكرى تتويج الملكة [١٩٧٣ - ١٩٨٣ - ١٩٩٣] ، فهم يحتفلون بهذه الذكرى مرة كل ١٠ سنوات وليس مرة كل سنة .. حضرت زواج الأمير « أن » ابنة الملكة « إليزابيث » من الكابتن « مارك فيليبس » فى عام ١٩٧٣ ، ثم حضرت طلاقها منه بعد أن تبادلوا الاتهامات بالخيانة الزوجية - وكان كلاهما صادقاً (!!) - ثم حضرت زواج « أن » مرة أخرى من الضابط البحرى « تيموثى » الذى كانت قد أحبته وهى مازالت زوجة لـ « مارك فيليبس » .. حضرت احتفالات زواج الأمير « تشارلز » الابن الأكبر للملكة وولى عهد بريطانيا من العصفورة الرقيقة الرشيقة « ليدى دايانا سبنسر » فى عام ١٩٨١ ، ثم حضرت أيضا انفصالهما عام ١٩٩٢ ، وها هما الآن على وشك الطلاق ، وسوف أحضره أيضا !! .. حضرت احتفالات زواج الأمير « أندرو » الابن الأوسط للملكة من الشمحطجية الشبيحة « سارة فيرجسون » ، وكنت الوحيد فى الذين حولى الذى تنبأت بفشل هذا الزواج وبأنه لن يستمر طويلا ، وقد كان ،

فحضرت أيضا طلاقهما بعد فضيحة مدوية لـ « سارة فيرجسون » أكدت وجهة نظري في أن [اللى فيه طبع ما بيغيروش] وإن [الهلاس هلاس وعمره ما بيتوب] .. حضرت مصرع لورد « مونتباتن » نائب الملك في الهند وأحب أعضاء الأسرة الملكية للشعب البريطانى ، كما حضرت ٤ حوادث اعتداء على أعضاء الأسرة الملكية : نصف سيارة الأميرة « آن » ، إطلاق الرصاص على الملكة « إليزابيث » أثناء عرض عسكري ، إطلاق الرصاص على الأمير « تشارلز » أثناء إلقائه خطابا فى حفل عام فى استراليا ، وعلى الأميرة « دايانا » خلال إحدى الزيارات التى كانت تقوم بها .. حضرت ٤ اعتداءات على « حرمة » قصر باكنجهام الملكى : الأولى من الشابين الألمانين اللذين قفزا من فوق السور العالى للقصر وناما ليلتهما فى حديقة القصر ظناً منهما - أو هكذا قالوا - أنها حديقة [هايدپارك] الشهيرة ! والثانية من ذلك الشاب الظريف « مايكل فاجان » الذى - قيل عنه بعد ذلك إنه مجنون - الذى استيقظت الملكة ذات ليلة فوجدته جالسا على حافة سريرها بعد أن استطاع أن يقفز من فوق السور ويتسلل إلى داخل القصر ويتمشى فيه على مهله حتى يصل إلى غرفة الملكة بالذات فى أعماق القصر !! وذلك الشاب الأمريكى الذى جاء من أمريكا خصيصا لكى يقفز بالبراشوت فوق سطح قصر باكنجهام فى عز النهار ويخلع ملابسه عاريا تماما ويظل يتحنجل ويتراقص ويلوح للمارة بيديه حتى جاء الحراس وقبضوا عليه ، واقتحام جناح الأمير « تشارلز » فى قصر الملكة الأم القريب من قصر باكنجهام وسرقته ، كما يحدث لأى بيت عادى من بيوت لندن .. حضرت

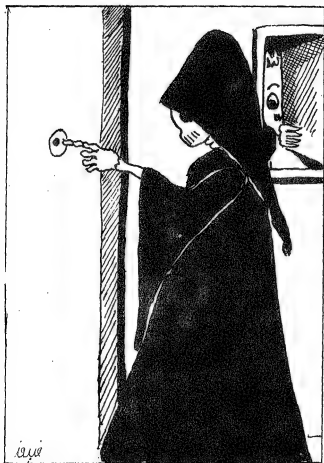
٤ انتخابات عامة فى بريطانيا شاركت فى ثلاثة منها بصوتى
الإنجليزى .. حضرت صعود «مارجريت تاتشر» كأول امرأة
ترأس الوزارة فى بريطانيا ، كما حضرت خروجها مطرودة طرداً
بشعاً من رئاسة الوزارة من حزبيها هى شخصياً .. حضرت حرب
الـ [فولكلاند] بين بريطانيا والأرجنتين ، حضرت حرب
الإرهاب الأيرلندية التى تتصاعد ببشاعة ولا يبدو أنها سوف تنتهى
هذا القرن ، حضرت الإحصار الرهيب الذى اجتاح بريطانيا بليل
فى شتاء عام ١٩٨٧ وكاد يقتلع عمارتى - ٢٠ طابقاً - من
أساسها ، لأنها عاملة زى زعزوعة القصب فى وسط الفيئات التى
حولها التى لا تزيد أعلاها على طابقين .. حضرت محاولة إغتيال
«مارجريت تاتشر» بنسف الفندق الذى كانت تقيم فيه فى مدينة
«برايتون» أثناء انعقاد مؤتمر لحزب المحافظين .. حضرت
تعمير وبناء منطقة الـ [دوكلاندز] فى جنوب شرقى لندن لتكون
هى [لندن الجديدة] وبناء أول ناطحة سحاب فى أوروبا كلها فى
هذه المنطقة : [كنارى وورف] .. حضرت بناء سد عال على
نهر الـ [تيمس] فى لندن : [لندن بارىارز] لكى يحمى مدينة
لندن من فيضان النهر الذى كان يهددها دائماً حين يحدث كل عام
بدرجة أو بأخرى ، حتى إنه فى عام ١٩٢٨ وصل ارتفاع المياه
فى شوارع لندن حتى غطى السيارات العادية وإلى نصف ارتفاع
الأوتوبيسات .. حضرت افتتاح القناة التليفزيونية الرابعة
(Channel 4) وبعدها كل القنوات التليفزيونية الفضائية .. حضرت
احتفال إنجلترا بمضى ٥٠ عاماً على نزول قوات الحلفاء إلى

شاطيء [نورماندى] فى فرنسا فى ٦ يونيو عام ١٩٤٤ لبدء
تحرير أوروبا من الغزو الألمانى ..

•

أتصور أننى قد حضرت فى انجلترا ١٧ سنة كلها مهمة فى
تاريخ بريطانيا وتاريخ الشعب الإنجليزى ، ورأيت التاريخ وهو
يكتب أمامى فى هذه السنوات الحافلة ..
وكل سنة وأنا طيب ..

الموت
فى
الغربة...!



فى أواخر السبعينيات حدثت هجمة إعلامية
مصرية على لندن .. العديد من الصحف العربية ،
يومية وأسبوعية ، والعديد من المجلات العربية ،
أسبوعية ونصف شهرية وشهرية بدأت تصدر من
لندن .. إما صحفا جديدة تصدر لأول مرة بأسماء
جديدة على الساحة تماما ، أو صحفا مهاجرة كانت
تصدر فى أوطانها الأصلية ثم لظروف جدت . على الوطن -
كالحرب الأهلية فى بيروت مثلا - هاجرت هذه الصحف إلى
لندن .. أو كانت تصدر فى أماكن أخرى خارج أوطانها ثم انتقلت
إلى لندن لأن لندن تظل ، رغم كل شيء ، من أرخص العواصم
الأوروبية ..



ولأن المصريين هم الأساتذة وهم الفراودة وهم الكباتن فى
عالم الصحافة العربية ولا تقوم للصحافة العربية قائمة بغير
الصحفيين المصريين .. رغم الـ ١٤٩ هيكال والـ ٦١٦ تابعى
والـ ١٤٢٨ مصطفى وعلى أمين من الأسماء غير المصرية التى
تملأ هذه الصحف طنطنة وجعجة وقعقة وهلزمة ، ويظنون
أنفسهم أساتذة أكابر وهم ليسوا إلا محافظ مليئة بالفلوس وقدرة على

الوصول إلى الحكام في المنطقة العربية وتسولهم أحياناً وابتزازهم في أغلب الأحيان .. لكن يتبقى بعد ذلك أن المصريين هم الأساتذة وهم المعلمون - بضم الميم الأولى أو بكسرهما ، سيان - إذا تعلق الأمر بالصحافة كصحافة .. ولا كل من ركب الحصان خيال ولا كل من مسك الريابة شاعر ولا كل من عنده قلم حبر باركر كاتب ولا كل من كان عضواً في نقابة الصحفيين في بلده صحفى .. واسحب الأسماء المصرية من أى صحيفة عربية فلن يقرأها أحد ولا حتى عمال المطبعة التي تطبعها .. أعرف أن ذلك تعصب وعنصرية ، لكنه هو الحقيقة ولو كره الكارهون ..



المهم .. جاء إلى لندن مع هذه الهجمة الصحفية العربية في أوائل السبعينات ما يقرب من ١٠٠ صحفى وكاتب مصرى ، لكى تقوم الصحافة العربية فى إنجلترا على أكتافهم .. لعل أبرزهم - حتى لا أكتب أسماء الـ ١٠٠ جميعهم - محمود السعدنى وألفريد فرج وأحمد عباس صالح و .. على شلش .. « الدكتور » على شلش فيما بعد ..

على شلش زاملنى منذ بداية خطواتنا الصحفية معا فى مجلة [التحرير] فى أواخر الخمسينيات .. ثم جمعت بيننا مرة أخرى مجلة [الإذاعة والتليفزيون] فى أواسط الستينيات حتى استقال هو منها فى منتصف الثمانينيات لأنه كان قد استقر تماماً فى إنجلترا وأصبح له بيت إنجليزى وزوجة أمريكية وطفلتان ، ولم يجد مبرراً فى أن يستمر فى [أجازة بدون مرتب] من المجلة مادام لن يعود إليها ، فأخرج نفسه معاشاً مبكراً لكى يتفرغ للكتابة فى لندن ..

وكنا نلتقى كثيرا أنا و « على » .. والمدهش أننا كنا نلتقى فى مصر أكثر مما نلتقى فى لندن .. لأن كلا منا مشغول على الآخر فى لندن لكننا كنا نجىء إلى مصر بـ [روح الأجازة] .. لذا فوقتنا فى مصر أكثر براحا واتساعا وإمكانية اللقاء .. وكنا - ولا نزال - نجىء إلى مصر كثيرا ، ٣ أو ٤ مرات كل سنة ، ننتهز أى فرصة ونتركك على أى مناسبة لكى نجىء إلى مصر .. وفى أكتوبر الماضى كنت فى أجازة فى مصر وجاء « على شلش » بعدى ليحضر مؤتمرا عن الشعر .. و : مات « على شلش » بالسكتة القلبية فجأة فى أول يوم من أيام المؤتمر !!

وحضرت جنازة « على شلش » فى جامع عمر مكرم .. وحين خرج النعش من المسجد ورأيتَه فجأة أمامى مباشرة أحسست بأن رأسى قد سخن وأن الدم قد صعد إلى نافوخي يضغط عليه بشدة حتى ليكاد يخرج منه .. وكدت أبكى وأنا أتذكر آخر لقاء بينى وبين الوديع المذهب الدمث « على شلش » على التلفون فى ١٢ مايو الماضى لكى أهنئه بعيد ميلاده كعادتى منذ عرفنا بعض .. ولم أكن أعرف أو أتصور أن هذه سوف تكون آخر مرة أسمع فيها صوت « على شلش » وآخر عيد ميلاد له أهنئه به .. فعلى شلش مسجى الآن أفقيا فى داخل هذا الصندوق الخشبى فى آخر لحظات له فوق سطح الأرض ، وبعد لحظات سوف يغيب فى باطنها إلى الأبد وينتهى كائن حى « كان » اسمه على شلش ، أحبه واحترمه كل من عرفه أو تعامل معه أو اقترب منه ، وتنقطع صلته تماما بعالمنا .. فعصر ذلك قلبى عصرا ، وتخيلتنى فى مكانه بعد فترة ما لن تكون

بعيدة جدا ، وقد تجيئنى فجأة كما جاءتة فجأة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون فى موعد لا نعرفه ..

وعدت إلى لندن بعدها بأيام ، وفى اليوم التالى اتصل بى صديقى « مصطفى أنور جعفر » مدير إدارة الأخبار فى إذاعة لندن العربية - الـ BBC - وقال لى إنه يتصل بى كل يوم فى انتظار عودتى من مصر منذ أن سمع خبر وفاة « على شلش » .. « مصطفى » مفزوع جدا من وفاة « على شلش » المفاجئة غير المتوقعة ، لأن « مصطفى » فى نفس ظروف « على » : كل منهما متزوج ومستقر وله بيت فى إنجلترا ولا ينوى أن يعود إلى مصر ، وكل منهما له طفلتان فى نفس السن تقريبا ، وكل منهما يسافر إلى مصر كثيرا بحكم عمله ، و « على شلش » سافر إلى مصر فى مهمة لم يعد منها ومات هناك بعيدا عن زوجته وطفليه لم يرهن ولن يرينه مرة أخرى !!

« مصطفى أنور » عنده حق قطعاً .. وأنا أكثر منه فزعا من نفس المصير .. لأننى ممكن أن أموت وحدى هنا فى بيتى فى لندن دون أن يشعر بى أحد من جيرانى لأنهم يعرفون أننى أسافر كثيرا ، وكلما اختفيت عن أنظارهم فترة ظنوا أننى مسافر فى مهمة صحفية أو أننى فى أجازة فى مصر .. ولن يكتشف أحد موتى إلا بعد شهر طويل ، ويمكن بعد سنوات .. لأننى أدفع إيجار شقتى وكل فواتير التليفون والكهرباء وما إليها ، عن طريق البنك مباشرة .. يعنى أن الفواتير لا تجىء لى لكنها ترسل إلى البنك والبنك يدفعها .. لذا استظل فواتيرى تسدد لمدة طويلة قبل أن ينتهى

رصيدي تماما بعد عدة سنوات ، فيتوقف البنك عن سداد الفواتير ، وتنقطع الكهرباء والتليفونات عن شقتي ، ويتوقف سداد إيجار شقتي إلى إدارة الإسكان صاحبة العمارة التي أسكن فيها .. وستمهلني إدارة الإسكان عدة شهور ، وترسل لي إنذارا بعد إنذار ، ثم تستصدر حكما من المحكمة بطردى من الشقة لعدم سدادى الإيجار .. ويجيء المحضر الإنجليزى ليدق بابى ، فإذا لم يتلق رداً استعان بالبوليس - [القوة الجبرية] كما نسميه فى مصر - ويكسرون باب الشقة ليجدوا جثتى متعفنة من زمان وقد فاجأنى الموت وأنا جالس إلى مكتبى أكتب مقالاً عن جمال وظرف « الحياة » فى المهجر .. وقد سمعت مؤخراً فى التليفزيون الإنجليزى عن مواطن إنجليزى حدثت له نفس الظروف ، وحين اكتشفوا جثته كان قد مات قبلها بثلاث سنوات !!

فكرت ، للحظة ، فى أن أتزوج حتى لا أموت وحيدا هكذا .. لكننى عدت وفكرت فوجدت أن الموت وحيدا أرحم كثيراً ..

فهرس

- الإهداء ٣
- حكايات أوروبية ٥
- الـ « هايد بارك » يوم الأحد ٩
- هاجر منذ ٣٥ سنة ، والسبب صورة ٢١
- هانت شلن وتعالى نحرق لندن ٢٩
- حكاية بنت إنجليزية إسمها عيشة ٣٥
- حدث ذات مترو ٤١
- مشاهدنا الأعزاء .. هل بلغكم نبأ الـ « سى فاكس » ٤٥
- منه لله اللى كان السبب ٥٧
- وحكاية بنت إيطالية إسمها عليه ٦٣
- الذهاب إلى الجنة ، عن طريق ليفربول ٦٧
- فى البدء كانت حواء ، ثم جاء الـ « سوير ماركت » ٧٣
- والعاقبة عندكم فى الأوتوبيسات ٨١
- حكاية بنت إسمها « نهى » ٨٧
- والسبب : بدلة حمراء ٩٧
- من أجل حفنة بصلات ١٠٣
- حكاية بنت إسمها « بيفرلى » ١٠٩
- تائه فى باريس ١٢٣
- ها، مغلوب :! المدرس أن يقوم بدور بابا وماما ؟! .. ١٢٧
- لا مزيد ولا مطامع ١٣٣
- أظفرتنا ظهورنا الأشوس .. وأظفرتنا ؟! ١٣٩

- رمضان فى الغربية : ٣٨ يوما !! ١٤٥
- دكتور حسن .. جاء من ليفربول ليقابل عبدالوهاب ١٥١
- أنا أَدفع .. إذن فأنا زبون ١٦٣
- أم كلثوم .. فى فراش امرأة متزوجة !! ١٧١
- الملكة اليزابيث .. بنت عمى !! ١٧٩
- الحلق والودان .. وحكاية مسز ايفيلين دينهى !! ١٨٣
- المهندس الإنجليزى الذى بنى هرم خوفو !! ١٨٩
- كولومبيا بوينت .. والحب من أول نظرة ٢٠٣
- هاللو يا الله فوق ٢٠٩
- ٤٢ مطارا و ٨٨ ميناء والباب يفوت ١٠٠٠ جمل ٢١٥
- أصبحت مليونيرا بسبب مقال نشرته ٢٢١
- هل السفر إلى الإسكندرية حرام شرعا ٢٢٧
- إنفجار ٢٣٣
- ما الذى نريده من « الأهرام الدولى » ؟! ٢٣٩
- لماذا لانستطيع فى المهجر أن نغنى [المصريين أهـه] ٢٥٣
- رأيت التاريخ وهو يكتب ٢٥٩
- الموت فى الغربية ٢٦٧



كتب للمؤلف

- رحلة إلى جزر الكناريا (دار المعارف - ١٩٧٣)
- مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن
- (سلسلة اقرأ - دار المعارف - ١٩٧٤)
- رحلة إلى دولة ترانزستور - قبرص (دار الشعب - ١٩٧٤)
- راكبان على السفينة - رحلة إلى المحيط الأطلنطى
- (كتاب اليوم - ١٩٧٥)
- هو والذين كانوا معه (القاهرة للثقافة العربية - ١٩٧٦)
- هروب إلى الفضاء (دار المعارف - ١٩٨١)
- مغامرات خالد - مجموعة قصص للأطفال
- (دار الهلال - ١٩٨٥)
- مذكرات سائح مصرى فى مصر
- (سلسلة اقرأ - دار المعارف - ١٩٩٢)
- يوميات سفينة مجنونة (دار التعاون - ١٩٩٣)
- حكايات أوروبية [دار الشعب - ١٩٩٥]

تحت الطبع

- لارا .. إقرافاف امراءة مئزوجة .. [رواية باللغة الإنجليزية] .
- مئكراف مهابر مصرى فى لئفن ..
- حكايااف أوروپية [الؤء الثانى] .
- لئساف لئفن وءءها ..
- لعبة الأيام .. حكاية صورة قءيمة .
- أوراق قءيمة .. صفءاف من الؤكرايااف والمئكراف .
- كلام فى الحب .. وفى غير الحب ..
- أيام من حياافهم ..
- صعلكة فى بئرواف ..
- يوميااف أمريكية ..
- مئكراف زوؤة أؤنبية فى مصر ..
- حمار فى الطابق الخامس .. مؤموعة پورأريهااف ..
- ١٨ سئة فى المهبأر .. فى إنؤلأرا ..
- ١١٧ يوما فى الصأراء ..



سلسلة ثقافية وإعلامية

تصدرها :

مؤسسة دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر



رئيس قطاع النشر والتسويق
سعاد قنديل

الغلاف والرسوم الداخلية :

- ياسر جعينة
- فيروز سمير
- محمد سند أمين

• رقم الانداع بدار الكتب ١٠٢٠٩/١٩٩٥ م

هذا الكتاب

■ حكايات حكايات حكايات .. كل كتب حسين قدرى مليئة بالحكايات .. وحسين قدرى لا يكبر أبدا .. فمنذ أن قرأت له أول كتبه منذ ٢٠ سنة وهو لا زال كما هو حتى الآن .. نفس أسلوبه المرح المتوثب ، الشقى ، المليء بالحياة والتدفق و . العفوية . . الذى يستطيع أن يحكى لك حكاية تحدث كل يوم لكل الناس ، لكنها حين تحدث له يجعل منها قصة ورواية حتى ليخيل إليك أن هذه الحكاية لم تحدث إلا لحسين قدرى ولا يستطيع أن يحكيها هكذا إلا حسين قدرى .. وأنت حين تقرأ له فأنت لا تقرأ لكاتب يخاطب قراءه لكنك تقرأ لصديق يحكى لأصدقائه .. والألفة الشديدة مع ما يكتبه تجعلك تتصور أنك تعرف حسين قدرى طول عمرك ، مع أنك قد تكون لم تره طول عمرك ..

هذا هو ثانياً كتاب تنشره | دار الشعب | لحسين قدرى بعد | رحلة إلى دولة ترانز ستور | ، وبين الكتابين ٢٠ سنة .. لكننا نتمنى أن ننشر له كتاباً جديداً كل سنة ..

